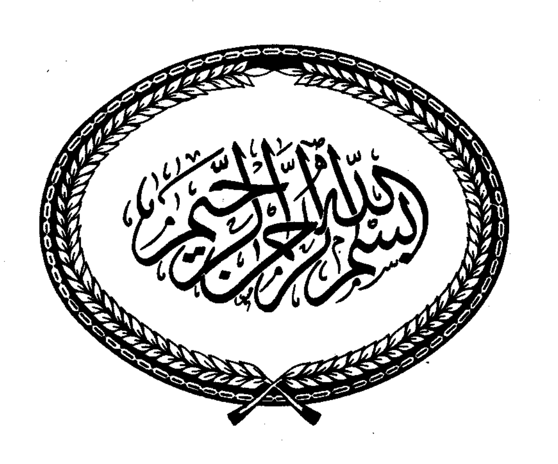
مجلة

الجامعة الإسلامية



العدد ١١٤ ـ السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها.

ب – أن تكون خاصّة بالمجلّة.

ج – أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.

هـ – أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة؛ قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير).

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يقلّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة.

ز – أن تُصدّر بنبذة مختصرة – لا تزيد عن نصف صفحة – للتّعريف بها.

ح – أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط – أن يقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

ي – أن تقدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنيّة التّالية:

١ –البرنامج وورد ٢٠٠٠ أو ما يماثله.

٢ – نوع الحرف Traditional Arabic

٣ – نوع حرف الآية القرانيّة Decotype Naskh Special

٤ – مقاس الصّفحة الكلّي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥ – حرف المتن : ١٦ أسود.

٦ – حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧ – رأس الصّفحة : ١٢ أسود.

٨ – العنوان الرّئيسيّ : ٢٠ أسود.

٩ – العنوان الجانبيّ : ١٨ أسود.

١٠ – الأقراص تكون من النوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات على نظام DOC .

ك – أن يُقدّم البحث ــ في صورته النّهائيّة ــ في ثلاث نسخ ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .

ل – لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر.

عنوان المراسلات: تكون المراسلات باسم مدير التّحرير:
(ص.ب ١٧٠ ــ المدينة المنوّرة ــ هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa).

المَوادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصّفحة



الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز

إعداد
د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين
الأستاذ المشارك في كلية القرآن الكريم بالجامعة

والأخــذ بالــتجويد حــتم لازم   مــن لم يجــود القــرآن آثم
لأنــه بــه الإلــه أنــزلا   وهكــذا مــنه إليــنا وصــلا
وهــو أيضــاً حــلية الــتلاوة   وزيــنة الأداء والقــراءة

محمدبن محمد بن محمد الجزري

المقدمة

الحمد لله الذي أنــزل على عبده الكتاب مرتلاً، ووعد من قرأه على كل حرف منه عشر حسنات إحساناً منه وتفضلاً.

والصــلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفصح من نطق بالضاد، من تلا كتاب ربه فتفطرت لسماعه قلوب العباد.

وعــلى آلــه وصحبه الذين عرفوا لحروفه الحق والمستحق فهمسوا التاء وجهــروا بالجــيم ففازوا برضوان من الله والله ذو فضل عظيم فضبطوا حروفه وهيئاته، وصانوه عن اللحن الذميم وبعد:

فــإني متناول بالبحث والدرس إن شاء الله تعالى جانباً من جوانب الكتاب العزيــز تناقلــته الأمة جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا محاطاً بالرعاية والإتقــان معلوم القواعد بالتحديد مقرب الموارد بالتمهيد إنه «الأخذ بالتجويد»

لقد كان الأئمة وسلفنا الصالح لا يفرقون بين القرآن وتجويده لأنهم يعلمون عــلم اليقين أن القرآن نــزل مرتلاً مجوداً من العزيز الحكيم، فبه قرءوا القرآن وأقرءوه ومن تلقى عنهم به ألزموه.

فــلما ضعفت الهمم وتباعد الناس عن أخذ كتاب ربهم من أفواه الشيوخ الضابطين ظهر دعاة الفصل بين القرآن وتجويده.

ونادى فريق بتجريد القرآن من رسمه وضبطه، بل إن واقع الأمة اليوم منذر بتركه وهجره.

وأمام هذه التحديات والتعديات التي أثارت البلبلة في أذهان أهل العلم بله الناشئة.

كــان لا بــدّ من وقفة يُجْلى فيها الحق وتُبْرأ فيها الذمة، ويعود فيها أهل القرآن إلى تجويد كتاب ربهم بعزيمة وهمة.

وهــذا ما سأحاول الوصول إليه من خلال كتابة هذا البحث بعد القراءة

الطويـــلة في هـــذا الموضوع وجمع مادته من كتب شتى. ويمتاز هذا البحث عن نظائـــره بما سيلحظه القارئ من حضور لأئمة الإقراء أصحاب الأسانيد العالية، فمـــن كتـــبهم أســـتمد مادتي، وبأقوالهم أقوّي حُجّتي، وعلى الله أولاً وآخراً اعتمادي وعُدّتي.

فيا رب أنت الله حسبي وعدتي   عليك اعتمادي ضارعاً متوكلا[1]

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [2]

واقتضى العمل في هذا البحث أن تأتي خطته على ما يأتي :

مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

المقدمـــة : وفيهـــا لمحـــة عـــن اهـــتمام الســـلف بالـــتجويد والسبب الباعث على تأليف هذا البحث.

المبحث الأول : تعريف التجويد لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : نشأة التجويد.

المبحث الثالث : عناية الأمة بالأخذ بالتجويد.

المبحث الرابع : كيف يتلقى القرآن.

المبحث الخامس : حكم الأخذ بالتجويد.

المبحث السادس : اللحن في القراءة.

الـــخـــــــــــاتـــمة.

---

(١) حرز الأماني للشاطبي : ٨

(٢) سورة الممتحنة آية : ٤

المبحث الأول: تعريف التجويد لغة واصطلاحاً

تعريفه لغة :

يقال : جاد الشيء جُودة أي صار جيداً، وأجدت الشيء فجاد، والتجويد مثله[١].

فالتجويد: مصدر من جوّد تجويداً إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الجور في النطق بها.

ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه وبلوغ النهاية في تحسينه، ولهذا يقال جوّد فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة. [٢]

ويقال لقارئ القرآن الكريم المحسّن تلاوته (مجوِّد) بكسر الواو إذا أتى بالقراءة مجوَّدة الألفاظ، بريئة من الجور والتحريف حال النطق بها[٣].

وفي الاصطلاح :

هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف.

وهو حلية التلاوة وزينة القراءة. [٤]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣٥/٣ مادة : جود

(٢) التحديد لحقيقة الإتقان والتجويد للداني : ٧٠، التمهيد في علم التجويد لابن الجزري : ٥٩، النشر : ٢١٢/١

(٣) هداية القاري : ٤٥/١

(٤) التحديد للداني: ٧٠، التمهيد: ٥٩، النشر: ٢١٢/١، المصباح الزاهر: ١٤٦٨/٤

ويقــول الهذلي[1] في كامله : فأما تجويد الحروف فمعرفة ألفاظها وقراءتها، وأصــولها وفــروعها وحدودهــا وحقوقها وقطعها ووصلها، ومدّها وحدرها وتحقيقهــا وترســيلها وترتيلها، ومذاهب القراء فيها، وهو حلية التلاوة وزينة القراءة. [2]

وعَــرَّفه المتأخرون فقالوا : هو إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات. [3]

---

(١) يوســف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل أبو يوسف بن علي القاسم الهذلي، ولد في حدود التسعين وثلاثمائة.

قــال ابن الجزري عنه: لا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي من لقــي مــن الشيوخ، قال في كتابه الكامل: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم علي في هذه الطبقة في جيع بلاد الإسلام لقصدته، من أبرز شيوخه: أحمد بن محمد بــن عــلان، أحمــد بــن نفيس، الحسن بن علي بن إبراهيم المالكي، قرأ عليه: أبو العز القلانسي، وإسماعيل بن الأخشيد. توفي سنة (٤٦٥هـ).

غاية النهاية: ٣٩٧/٢، العبر في خبر من عبر الذهبي : ٣٢٠/٢

(٢) الكامل للهذلي لوحة : ١٩/ب

(٣) نهايــة القــول المفيد محمد مكي نصر : ١٢، فتح المجيد لحمد بن خلف الحسيني الشهير بالحداد : ٣، هداية القارئ : ٤٥/١

وحــق الحــرف من الصفات أي الصفات اللازمة الثابتة التي لا تنفك عنه بحال كالجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والقلقلة.

والمســتحق : أي مــن الصفات العارضة التي تعرض له في بعض الأحوال وتنفك عنه في البعض الآخر لسبب من الأسباب كالترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام والمد والقصر وغير ذلك.

هداية القارئ : ٤٥/١

المبحث الثاني: نشأة التجويد

نشأ التجويد على وجه التحديد منذ الوهلة الأولى التي نــزل فيها القرآن الكريم على قلب سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربكَ الذي خلق. خلقَ الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾.(١)

هــذه الآيــات قرأها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتلة، فحفظهــا رســول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الكيفيــة التي تلقاها بها وأداها كما سمعها.

يشهد لذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينــزل على النبي صلى الله عليه وسلم يرتله ترتيلاً).(٢)

فقوله : يرتله ترتيلاً هذا اللفظ يحتمل كل ما يرد فيه من معان فيحتمل نــزوله على مكث وتمهل، ويحتمل بيان حروفه وحركاته، وإعطاء كل حرف منه حقه ومستحقه.

ولقائل أن يقول: إذا كان القرآن نــزل بادئ ذي بدء مرتلاً مجوداً وقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنــزل فما معنى أمر الله لرسوله بالترتيل في آيــة المزمل ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(٣) وهي متأخرة النــزول عن آيات سورة العلق السابقة.

---

(١) سورة العلق الآيات : ١-٥

(٢) المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي : ٢/٢٢٣

(٣) سورة المزمل آية : ٤

ويجاب عن ذلك بأن الخطاب وإن كان له صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد أمته فهم مطالبون بترتيل وتجويد ما نزل إليهم من ربهم.

ولذلك نظائر كثيرة في كتاب الله من توجيه الخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، من ذلك قوله تعالى : ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾[1]. فمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يجعل مع الله إلهاً آخر ولا يقعد مذموماً مخذولاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾[2]، ومعلوم أن والديه صلى الله عليه وسلم قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم[3]. ومثل ذلك كثير.

فآية المزمل إنما تفيد التأكيد والالتزام بتلك الكيفية التي نزل عليها القرآن وبيان أنها أفضل مراتب القراءة وحض الأمة على الأخذ بها.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول لهذه الأمة تلاوة كتاب ربهم وقراءته امتثالاً لأمر ربه حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[4].

وتواتر ذلك في السنة : فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٢

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣

(٣) أضواء البيان : ٤٩٤/٣

(٤) سورة المائدة آية : ٦٧

الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن»[١].

وعـــن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عـــليه وســـلم عشر آيات لم نتعلم من العشر الذي نـــزلت بعدها حتى نعلم ما فيه»[٢].

وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أمرني أن أعرض القرآن عليك. فقال: أسمّاني لك ربك. قال: نعم. فقال أبي: بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما تجمعون»[٣].

قـــال أبو عبيد القاسم بن سلام[٤]: معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله صـــلى الله عـــليه وســـلم إنما أراد بذلك العرضِ على أبي أن يتعلم منه القراءة ويتثبت فيها وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي صلى الله عليه وسلم منه شيئاً بذلك العرض[٥].

---

(١) مسلم : ٢٠٤/١

(٢) المستدرك : ٥٧٧/١

(٣) فتح الباري : ١٢٦/٧، مسلم : ٨٥/٦، المسند : ١٣٠/٣، ١٣٧

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري أحد الأعلام المجتهدين أخذ القراءة عرضا وسماعـــا عن علي بن حمزة الكسائي، وإسماعيل بن جعفر وسليم بن عيسى. روى القراءة عـــنه أحمد بن إبراهيم وراق خلف، وأحمد بن يوسف التغلبي وله اختيار في القراءة وافق عليه العربية والأثر. توفي سنة (٢٤٤هـ)

غاية النهاية : ١٧/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٥٥/٧، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٥٠٩/٦

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٣٥٩

قال السخاوي[١]: كان القراء في الأمر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداء برســـول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يتلو كتاب الله عز وجل على الناس كما أمره الله عز وجل[٢]. فعلمهم صلى الله عليه وسلم القرآن مرتلاً مجوداً كما نـــزل.

ويؤكد هذه الصلة الوثيقة بين القرآن والتجويد قول ابن الجزري[٣]:

لأنه به الإله أنـــزلا وهكذا منه إلينا وصلا[٤]

فالضـــمير في لأنـــه عائد إلى القرآن وفي به يعود على التجويد أي أن الله

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد علم الدين السخاوي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق قرأ على أبي القاسم الشاطبي، وعلى أبي اليمن الكندي، وأبي الفضل محمد بن يوسف. قرأ عليه أبو الفتح محمد بن علي الأنصاري وأبو شامة، والقاضي عبدالسلام الزواوي وغيرهم. أقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق. توفي سنة (٦٤٣هـ).

غاية النهاية : ٥٦٨/١، سير أعلام النبلاء الذهبي : ١٢٢/٢٣، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٩٧/٨، وفيات الأعيان ابن خلكان: ٣٤٠/٣

(٢) جمال القراء : ٤٤٦/٢

(٣) شمـــس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، إمام المقرئين وخاتمة الحفاظ المحققـــين، قرأ على أبي محمد عبدالوهاب ابن السلار، وعلى أبي المعالي محمد بن أحمد بن اللـــبان، وقرأ على أبي بكر عبدالله بن الجندي وغيرهم، وقرأ عليه الكثيرون منهم ابنه أبو بكـــر أحمد والمحب محمد بن أحمد بن الهائم، ومحمد بن علي بن نفيس وغيرهـــم. تـــوفي سنة (٨٣٣هـ).

غاية النهاية: ٢٤٧/٢، إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر: ٢٤٥/٨، الضوء اللامع، للسخاوي: ٢٥٥/٩، البدر الطالع للشوكاني: ٢٥٧/٢.

(٤) المقدمة الجزرية : ٨

أنـــزل القرآن بالتجويد وهذا ما يجب أن يفهمه كل من تدبر وعقل النصوص واســتنبط منها ما يليق بكمال الله وجلاله في ذاته وأسمائه وصفاته فله الكمال المطلق سبحانه.

فالقــرآن أكمل الكتب نــزل بأكمل الهيئات على أفضل الرسل لخير أمة أخرجت للناس ثم نقله الصحابة كما علّموا فلم يغيروا ولم يبدّلوا وتناقلته الأمة بعدهــم جيــلاً بعــد جيل على تلك الكيفية التي نــزل بها فغاصوا في معانيه وحــافظوا على مبانيه وعملوا بما فيه فكان الأخذ بالتجويد سمة القراء المتقنين، ومنهج الأئمة المسندين، ومضماراً للمتنافسين.

قال الداني[1]: وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق فمــنهم مــن يعلم ذلك قياساً وتميزاً وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليداً وهو الغبي الفهيه، والعلم فطنة ودراية آكد منه سماعاً ورواية، وللدراية ضبطها ونظمها وللرواية نقلها وتعلمها، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2].

ظل التجويد يتلقى مع القرآن من أفواه الشيوخ الضابطين فالمخل بالتجويد مخل بالقراءة مهما كان حفظه للحروف.

---

(١) عــثمان بــن ســعيد بن عثمان أبو عمرو الداني القرطبي المعروف بابن الصيرفي، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين أخذ القراءة عن خلف بن إبراهيم بن خاقان، وطاهر بن عبدالمــنعم بن غلبون، وأبي الفتح فارس بن أحمد وغيرهم. قرأ عليه: أبو داود سليمان بن نجاح، ومحمد بن عيسى المغامي، ومحمد بن يحيى بن مزاحم وغيرهم. توفي سنة (٤٤٤هـ). غايــة النهاية : ٥٠٣/١، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١١٢٠/٣، الصلة لابن بشكوال : ٢/ ٥٩٢، جذوة المقتبس للحميدي : ٤٨٣/٢

(٢) التحديد للداني : ٦٩، والفهيه: العييّ، اللسان: ٥٢٥/١٣.

أورد الداني بسنده عن أبي هاشم الرفاعي[١] عن سليم[٢] عن حمزة[٣] قال: إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً أو قال ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء.

قال الداني معقباً على هذه الرواية: يريد أنه لا يقيم قراءته على حدّها، ولا يؤدي ألفاظه على حقها، ولا يوفّي الحروف صيغتها، ولا ينزلها منازلها من التلخيص والتبيين والإشباع والتمكين، ولا يميز بين سين وصاد، ولا ظاء ولا ضاد، ولا يفرق بين مشدد ومخفف ومدغم ومظهر، ومفخم ومرقق، ومفتوح وممال، وممدود ومقصور، ومهموز وغير مهموز، وغير ذلك من غامض القراءة، وخفاء التلاوة الذي لا يعلمه إلا المهرة من المقرئين، ولا يميزه إلا الحذّاق من المتصدرين الذين تلقوا ذلك أداءً وأخذوه مشافهة، وضبطوه وقيدوه، وميزوا

---

(١) محمد بن يزيد بن رفاعة بن سماعة أبو هاشم الرفاعي، أخذ القراءة عرضا عن سليم سمع قراءة الأعشى على أبي بكر وروى عن الكسائي، روى القراءة عنه موسى بن إسحاق القاضي، وعلي بن الحسن القطيعي توفي سنة (٢٤٨هـ)
غاية النهاية : ٢/٢٨٠، تاريخ بغداد : ٣/٣٧٥

(٢) سليم بن عيسى بن سليم أبو عيسى، عرض على حمزة وهو أخص أصحابه وأضبطهم وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة، قرأ عليه حفص بن عمر الدوري وخلف بن هشام. توفي سنة (١٨٨هـ)
غاية النهاية : ١/٣١٨، الثقات لابن حبان : ٨/٢٩٥

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة الكوفي أحد القراء السبعة ولد سنة (٨٠هـ) أدرك الصحابة بالسن، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم والحسن بن عطية، وخلاد بن خالد. توفي سنة (١٥٦هـ)
غاية النهاية : ١/٢٦١

جليّه وأدركوا خفيّه وهم قليل من الناس[١].

وربما قرأ الرجل فأعجب بنفسه وأعجب الحاضرون بقراءته ولكن أئمة التجويد والقراءة بحكم خبرهم وثاقب نظرهم يردون عليه ما قرأ ولا يعتبرونه شيئاً لإخلاله بقواعد التجويد من حيث لا يشعر.

أورد الداني بسنده عن هشام بن بكير[٢] وكان هو وأبوه من القراء قال كنت عند عاصم[٣] ورجل يقرأ عليه قال فما أنكرت من قراءته شيئاً قال فلما فرغ قال له عاصم والله ما قرأت حرفاً.

قال الداني معقباً على هذه الرواية: يريد أنك لم تقم القراءة على حدها ولم توف الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء، وهذا وما قدمناه دال على توكيد علم التجويد والأخذ بالتحقيق والله ولي التوفيق[٤].

قلت : نعم إن للقراء فطنة ودراية عجيبة في استكشاف اللحن مهما دق وخفي فآذاهم أدق من موازين الذهب. وملاحظاتهم تنبيك بالعجب.

ولقد أدركت من شيوخ الإقراء من هذا حاله. فقد تلقيت في سن الطلب

---

(١) التحديد للداني : ٨٤

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود أبو بكر الأسدي شيخ الإقراء بالكوفة. أحد القراء السبعة اختلف في سنة وفاته فقيل (١٢٧هـ) وقيل (١٢٨هـ)، قرأ على أنس بن مالك، وأخذ القراءة عرضاً على زر بن حبيش، وأبي عبدالرحمن السلمي، روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وحماد بن سلمة.

غاية النهاية : ٣٤٦/١، مشاهير علماء الأمصار : ١٦٥

(٤) التحديد : ٨٥

بالسنة الرابعة بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية على نخبة من أساتذة القراءات ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ عبد الفتاح القاضي[(١)] رحمه الله تعالى تلقينا عليه القراءات الثلاث بمضمّن متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر لابن الجزري فكان أحدنا يقرأ كالمقيد يقوم ويسقط من كثرة إشاراته لنا بالوقوع في اللحن رغم ما كان يتمتع به البعض من جودة في القراءة وصوت حسن نطرب لسماعه.

ولكنها ملكة وهبهم الله إياها لكثرة ممارستهم وفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مما تقدم نلحظ منهج أئمة الإقراء في أخذهم بالتجويد كل من رام القراءة عليهم وأنهم لا يصدرونه متى أخل بشيء من قواعده بل ولا يعدونه قارئاً.

فما كل من يتلو الكتاب يقيمه

وما كل من في الناس يقرئهم مقري[(٢)]

فلما بدأت عصور التدوين كان لعلم التجويد منها حظ ونصيب فأفردت

---

(١) الشيخ العلامة عبدالفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي، ولد في مدينة دمنهور سنة (١٣٢٠هـ). حفظ القرآن على الشيخ علي عيادة وتلقى القراءات العشر على الشيخ همام قطب، والشيخ حسن الصبحي وغيرهما. رحل إلى المدينة سنة (١٣٩٤هـ) وعين رئيساً لقسم القراءات منذ إنشائه وكانت له جهوده الطيبة المباركة في تطوير كلية القرآن الكريم وتلقي عنه الكثير، وكنت ممن تلقى عنه بالكلية القراءات الثلاث، وكتابه الفرائد الحسان في عد الآي، من نظمه. توفي رحمه الله تعالى سنة (١٤٠٣هـ).

ترجم له الشيخ المرصفي في كتابه هداية القارئ : ٦٥٨/٢، والدكتور عبدالعزيز القارئ في مجلة كلية القرآن الكريم العدد الأول : ٢٩٧

(٢) من قصيدة الخاقاني: انظر : قصيدتان في تجويد القرآن : ١٨

مباحثه وقواعده بالتأليف وضمَّن بعض القراء كتبهم بعض أبوابه ومسائله فمنهم المقل ومنهم المكثر.

ولعل أول من أفرده بالتصنيف أبو مزاحم موسى بن عبيدالله الخاقاني البغدادي المتوفى سنة (٣٢٥هـ)[١] في قصيدته الخاقانية الرائعة والتي من أبياتها :

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك الله الجزيل من الأجر

فما كل من يتلو الكتاب يقيمه وما كل من في الناس يقرئهم مقري

وإن لنا أخذ القراءة سنة عن الأولين المقرئين ذوي الستر[٢]

٢- ثم علي بن جعفر بن سعيد أبو الحسن السعيدي الرازي الحذاء المتوفى في جدود سنة ٤١٠هـ في كتابه: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي[٣].

٣- مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ) وكتابه : الرعاية لتجود القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.[٤]

٤- أبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) وكتابه: التحديد في الإتقان والتجويد[٥]. وذكر في مقدمته سبب تأليفه بأنه راجع إلى ما رآه من إهمال القراء والمقرئين في عصره تجويد التلاوة وتحقيق القراءة وتركهم استعمال ما ندب الله إليه وحث نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته عليه من تلاوة التنزيل بالترسل

(١) غاية النهاية : ٣٢١/٢

(٢) قصيدتان في تجويد القرآن : ١٨

(٣) غاية النهاية : ٥٢٩/١ وهو مطبوع

(٤) مطبوع

(٥) مطبوع

والترتيل[1].

٥- أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة (٥٣٩هـ) وكتابه: نهاية الإتقان في تجويد تلاوة القرآن. [2]

٦- علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) وكتابه: عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد. [3]

٧- نجم الدين محمد بن قيصر بن عبدالله البغدادي المارديني المتوفى سنة (٧٢١هـ) وكتابه: الدر النضيد في معرفة التجويد. [4]

٨- تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة (٧٣٢هـ) وكتابه: عقود الجمان في تجويد القرآن. [5]

٩- شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ) خاتمة المحققين ورافع لواء القراء والمجودين وكتابه: التمهيد في علم التجويد. [6]

وذكر في مقدمته أن سبب تأليفه: أنه لما رأى الناشئة من قراء زمانه وكثيراً من منتهيهم قد غفلوا عن تجويد ألفاظهم، وأهملوا تصفيتها من كدره، وتخليصها من درنه، رأيت الحاجة داعية إلى تأليف مختصر ابتكر فيه مقالاً يهز عطف

---

(١) التحديد : ٩٨

(٢) مخطوط

(٣) مطبوع

(٤) مخطوط وهو نظم

(٥) مخطوط

(٦) مطبوع

الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم. [١]

ثم أتبع ذلك بنظم المقدمة الجزرية[٢] ضمنها كثيراً من مباحث علم التجويد وقد كتب لهذه المقدمة القبول بين طلاب العلم وتناولها العلماء بالشرح والتعليق حتى ربت شروحها على الحصر الدقيق.

١٠- بـــرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) وكتابه: القول المعتبر في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد[٣].

١١- زين الدين أبو الفتح جعفر بن إبراهيم السنهوري المتوفى سنة (٨٩٤هـ) وكتابه: الجامع المفيد في صناعة التجويد[٤].

١٢- أحمـــد بن نصر الميداني المقرئ المتوفى سنة (٩٢٣هـ) وكتابه: قواعد التجويد[٥].

وغـــير هؤلاء كثير يطول حصرهم وما ذكرته فيه الكفاية، إذ ليس الغرض الحصر والاستقصاء بل العلم والدراية.

---

(١) التمهيد : ٥٢

(٢) مطبوع

(٣) مخطوط

(٤) مخطوط

(٥) مخطوط

المبحث الثالث: عناية الأمة بالأخذ بالتجويد

قدمت في المبحث السابق أن القرآن نــزل مرتلاً مجوداً وأن الرسول صلى الله عــليه وسلم تلقاه كذلك وبلّغ أمته ما نــزل عليه بحروفه وهيئاته. بقي أن نعرف ما المراد بالترتيل المأمور به في قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾.

الرتل: حسن تناسق الشيء.

وثغر رتَل ورتِل حسن التنضيد مستو النبات.

وقيل المفلج وقيل بين أسنانه فروج لا يركب بعضه على بعض.

ورتّل الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه.

والترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين من غير بغي.

قــال علي رضي الله عنه حينما سئل عن معنى الترتيل: (هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)[1].

قــال أبــو العباس: ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين أراد في قراءة القرآن.

وقال مجاهد: الترتيل الترسل.

قال: ورتله ترتيلا بعضه على إثر بعض.

قال أبو منصور: ذهب به إلى قولهم ثغر رتل إذا كان حسن التنضيد.

وقال ابن عباس في معنى الآية: قال : بينه تبييناً.

قال أبو إسحاق: والتبيين بأن يجعل في القراءة وإنما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقها من الإشباع.

وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً.

---

[1] الكامل للهذلي: لوحة: ١٩/ب، النشر: ١/٢٠٩

وقال الفراء: اقرأه على هينتك ترسلاً[١].

وقال الراغب: الرتل اتساق الشيء وانتظامه على استقامة يقال رجل رتَل الأسنان، والترتيل إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة[٢].

وقال الخازن في تفسيره: وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والإفهام وتبيين القراءة حرفاً حرفاً إثره في إثر بعض بالمد والإشباع والتحقيق[٣].

وقال القرطبي في تفسيره: الترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنَوْرِ الأقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن[٤].

وقال الزمخشري في الكشاف: ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنَوْرِ الأقحوان وأن لا يهذّه هذّاً ولا يسرده سرداً[٥].

وقال الشيرازي[٦] في كتابه الموضح: الترتيل هو من قولهم ثغر رتَل إذا كان مفلجاً وذلك إذا انفرج ما بين الأسنان على استواء فيها، وترتل في مسيره إذا

---

(١) لسان العرب: ١١/٢٦٥ مادة (ر ت ل)، معاني القرآن للزجاج: ٥/٢٣٩، معاني القرآن للفراء: ٣/١٩٧، جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: ٢٩/١٢٦

(٢) المفردات للراغب : ١٨٧

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل : ٤/٣٢١

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١/١٧

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري : ٤/١٧٥

(٦) هو الإمام نصر بن علي بن محمد أبو عبدالله الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم قرأ على محمود بن حمزة بن نصر. قال عنه ابن الجزري: إمام كبير المحل. توفي بعد سنة (٥٦٥هـ). غاية النهاية : ٢/٣٣٧، انباه الرواة على أبناء النحاة للقفطي : ٣/٣٤٤

تــتابعت خطاه من غير سرعة، فكذلك الترتيل هو التأني في القراءة مع تفصيل الكلم بعضها من بعض جامع لشرائط التجويد والتقويم[1].

وقــال ابن الجزري: وقال علماؤنا: أي تلبث في قراءته وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض[2].

بعد هذا العرض تبين لنا معنى الترتيل المأمور به، وأنه تبيين القراءة وإتباع بعضها بعضاً على تأن وتؤدة مع تجويد اللفظ وحسن تأديته وتقويمه وإخراجه من مخــرجه، فهــو الأصل ولذلك نوه الله بشأنه حينما أكد الفعل بالمصدر تعظيما لشأنه وترغيباً في ثوابه، ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾[3]، ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾[4].

وعلى هذا جاءت قراءته صلى الله عليه وسلم.

كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ســئل كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.[5]

قــال الــداني مبيناً وجه الاستدلال من هذا الحديث على وجوب الأخذ بالتجويد: وهذا حديث مخرّج من الصحيح، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفــاظ، وإخــراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صــيغتها، وكــل حــق هو لها، من تلخيص وتبيين ومدّ وتمكين وإطباق وتفش وصفير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من

---

(١) الموضح في وجوه القراءات للشيرازي : ١٥٤/١

(٢) التمهيد لابن الجزري : ٦١

(٣) سورة المزمل آية : ٤

(٤) سورة الفرقان آية : ٣٢

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٩١/٩

غير زيادة ولا نقصان[١].

رحم الله الداني ما أوسع علمه، وأجزل لفظه، وأحكم عبارته كيف لا وهو حصن حصين وسند في القراءة متين.

فقد رأيت من تخبط في فهم هذا الحديث فلم يعرف المراد بالمد فيه فقال: القراء لا يثبتون مداً في هذه المواضع الثلاثة...

ومن قائل: إذا كان أداء القرآن – تجويده – متلقى بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أين دليله النصي ؟

وهل مقدار الحركة منضبط أو هو مختلف باختلاف سرعة القارئ وبطئه... الخ .

ولست هنا في مقام تتبع الأخطاء والهفوات بل هي وقفة تأمل وإنعام نظر فقد كفانا صاحب المنجد[٢] في هذه المسائل شر الانقسام.

وأقول لهؤلاء جميعاً لابد من مراجعة علماء القراءات وما دونوه قديماً وحديثاً فما أشكل عليكم حله وصعب عليكم فهمه فإن لديهم الدواء النافع والبيان الساطع، والحكم القاطع، وكل علم يسأل عنه أهله.

ومن ذلك ما روي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته قاعداً قط حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعداً، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[٣].

---

(١) التحديد للداني : ٨٠

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري: الباب السادس، الفصل الثاني: في أن القراءات العشر متواترة فرشاً وأصولاً حال اجتماعهم وافتراقهم: ٥٧

(٣) موطأ الإمام مالك. ما جاء في صلاة القاعد : ٩٨، سنن الدرامي : ١/٢٦٢

وعـــن أم ســـلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفاً حرفاً. [1]

قـــال ابن القيم: وكانت قراءته ترتيلاً لا هذّا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد فيمد الرحمن ويمد الرحيم. [2]

أقـــول: لقد تلقت الأمة القرآن الكريم بحروفه وقراءته وكيفية النطق بتلك الحروف والهيئات والصيغ التي جاءت بها على أنها سنة متبعة يجب الحفاظ عليها والالتزام بها وتعليمها كما جاءت عنه صلوات الله وسلامه عليه واتباع هديه في ذلك.

أورد ابـــن مجاهد بأسانيده جملة من الأحاديث والآثار الدالة على وجوب الاتباع في نقل القراءة وترك الابتداع.

من ذلك ما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «قال لنا علي بن أبي طـــالب إن رســـول الله صـــلى الله عـــليه وسلم يأمركم أن تقرءوا كلما علمتم»[3].

وأورد بســـنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: القراءة سنة[4].
وفي رواية أخرى عن خارجة قال: القراءة سنة فاقرءوا كما تجدونه[5].

وبسنده عن عروة بن الزبير قال: إنما القراءة سنة من السنن فاقرءوه كما

(١) الترمذي: ٢٥٤/٤، سنن أبي داود: ٧٣/٢، المصنف لابن أبي شيبة: ٥٥٢/١٠

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد : ٤٨٢/١

(٣) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٤٧

(٤) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٤٩

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٠

علمتموه[١]. وفي رواية: فاقرءوه كما أقرئتموه[٢].

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلاً فقرأ الرجل ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[٣] مرسلة فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف أقرأكها؟ قال: أقرأنيها: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[٤] فمدها.

فابن مسعود وهو مَن علمنا إتقانا وضبطا وحسن أداء، مَنْ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه: «من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[٥].

أنكر رضي الله عنه على هذا الرجل أن يقرأ كلمة (الفقراء) من غير مد ولم يرخص له في ذلك[٦] مع أن فعله وتركه سواء في عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها ولكن لما كانت القراءة سنة متبعة وكيفياتها كذلك لم يقبل ابن مسعود من هذا الرجل أن يقرأ بغير ما قرأ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون غاشا له موافقا له على ما لم يقرأ به.

ويؤكد ابن مسعود رضي الله عنه الحض على الأخذ بالتجويد وأنه زينة

---

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٢

(٢) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٢

(٣) سورة التوبة آية : ٦٠

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : ٢٢١/٤، النشر : ٣١٥/١

(٥) المسند بتحقيق أحمد شاكر : ٢٣٠/١، ٢٧٠

(٦) قال ابن الجزري مبينا أن قصر المتصل لم يصح عن أحد من القراء : وقد تتبعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة بل رأيت النص بمده.

النشر : ٣١٥/١

الــتلاوة فيقــول فيما رواه عنه الضحاك قال: قال عبدالله بن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به[١].

وعــن زر بن حبيش رحمه الله تعالى قال: قرأ رجل على عبدالله بن مسعود (طه) ولم يكسر –أي لم يمل– فقال عبدالله بن مسعود (طه) وكسر ثم قال: والله هكذا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وجاء رجــل إلى الإمــام نافــع[٣] ليقــرأ عليه بالــحدر[٤] فوجهه نافع إلى ما هو أنفع له من الحدر وهو بيان الكيفية التي يجب أن يقرأ بها كتاب الله عز وجل والمنهج القويم الذي سلكه الصحابة والتابعون في الأخذ والأداء.

أورد الداني بسنده قال: جاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ على الحدر، فقال نــافع مــا الحدر؟ ما أعرفها أسمعنا قال فقرأ الرجل فقال نافع: الحدر، أو قال حدرنا، أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشددا، ولا نشدد مخففا، ولا نقصر ممدودا، ولا نمد مقصورا، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل جزل، لا نمضغ ولا نلوك، ننبر ولا نبتهر، نسهل ولا نشــدد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفت إلى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغر عن أكابر مليّ عن وفيّ، ديننا دين العجائز، وقراءتنا

(١) النشر : ٢١٠/١

(٢) جمال القراء : ٤٩٨/٢، النشر : ٣١/٢

(٣) نــافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم، ويقال أبو نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب قرأ على سبعين من التابعين وهو أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩هـ غاية النهاية: ٣٣٠/٢، التيسير لأبي عمرو الداني: ٤، السبعة لابن مجاهد : ٥٣

(٤) يأتي تعريفه ص: ٣٥، ٣٦، ٣٧.

قـــراءة المشايخ، نسمع في القرآن، ولا نستعمل فيه بالرأي، ثم تلا نافع[١]: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٢].

قال الداني معقبا على هذه الرواية: «وهذا كلام من أيّد ووفّق ونُصر وفُهّم وجُعل إماماً عالماً وعلماً يُقْتفى أثره ويُتّبع سننه».

وهـــذه الطريقة التي وصفها وبينها وأوضحها وعرّف أن الصحابة رضوان الله عـــليهم احـــتذوها هي التي يجب على قراء القرآن أن يمتثلوها في التحقيق، ويســـلكوها في التجويد وينبذوا ما سواها مما هو مخالف لها وخارج عنها وعلى ذلك وجدنا الأئمة من القراء والأكابر من أهل الأداء.[٣]

نعـــم لقد عمل أئمة الإقراء الذين خصهم الله بحمل كتابه وشرفهم بالذب عـــن حياضـــه في كـــل عصر ومصر بهذه العبارات النيرة والتوجيهات الخيرة الصـــادرة من إمام دار الهجرة ورأس القراء السبعة الإمام نافع فجاءت مؤلفاتهم وأقوالهـــم شارحة وموضحة لذلك المنهج القويم والمسلك السليم ولا يشذ عنهم إلا من لا يعتد بقوله، فهم الحفظة الناقلون، والقراء المجودون.

ولعلي في هذه العجالة أن أقتبس بعض الشواهد على ما ذكرت من حضهم على الأخذ بالتجويد قولاً وعملاً، وعلى أي صفة كانت القراءة ترتيلاً أو تحقيقاً أو حدراً.

قال مكي[٤] رحمه الله تعالى في باب صفة من يجب أن يقرأ عليه وينقل عنه:

---

(١) التحديد للداني : ٩٣

(٢) سورة الإسراء آية : ٨٨

(٣) التحديد للداني : ٩٤

(٤) مكـــي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القيرواني الأندلسي إمام علامة محقق أستاذ القراء

=

يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم.

فإذا اجتمع للمقرئ صحة الدين والسلامة في النقل والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن كملت حالته ووجبت إمامته، وقد وصف من تقدمنا من العلماء المقرئين القراء فقال: القراء يتفاضلون في علم التجويد فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً فذلك الوهن الضعيف لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف إذا لم يبن على أصل ولا نقل عن فهم. [1]

وقال في موضع آخر بعد فراغه من أبواب التجويد والفصول التي أوضح فيها القواعد اللازمة لذلك: والمقرئ إلى جميع ما ذكرناه في كتابنا هذا أحوج من القارئ لأنه إذا علمَه علَّمه، وإذا لم يعلَمْه لم يعلّمه فاستوى في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ ويضل القارئ بضلال المقرئ فلا فضل لأحدهما على الآخر. [2]

وقال الداني مبيناً الطريقة التي ينبغي للقارئ أن يسلكها حال القراءة قال: ينبغي للقارئ أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف التي لا يوصل إلى حقيقة اللفظ

=

والمجودين. قرأ القراءات على أبي الطيب عبدالمنعم بن غلبون، وسمع من أبي بكر محمد بن علي الأذفوي، قرأ عليه يحيى بن إبراهيم البياز وموسى بن سليمان اللخمي، ومحمد بن محمد بن أصبغ وغيرهم. توفي سنة (٤٣٧هـ).

غاية النهاية : ٣٠٩/٢، معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبي : ٣١٦/٢

(١) الرعاية : ٨٩

(٢) الرعاية : ١٥٣

بهـا إلا بالرياضـة الشديدة والتلاوة الكثيرة مع العلم بحقائقها والمعرفة بمنازلها فيعطي كل حرف منها حقه من المد إن كان ممدودا ومن التمكين إن كان مُمكّنا ومن الهمز إن كان مهموزا ومن الإدغام إن كان مدغما، ومن الإظهار إن كان مظهرا ومن الإخفاء إن كان مخفيا، ومن الحركة إن كان محركا ومن السكون إن كان مسكنا.

ومـتى لم يفعل ذلك القارئ ولم يستعمل اللفظ به كذلك صار عند علماء هذه الصناعة لاحناً.[1]

ويوجه الهذلي قارئ كتاب الله إلى الأخذ بأسباب التجويد مبينا له القواعد الـتي يجب عليه الاهتمام بها حتى يصير قارئا مصدرا ومتى أخل بشيء من تلك التوجيهات لم يجز له أن يقرئ أحداً من الناس.

قـال رحمـه الله: والأصل أن يتفقد الإنسان لفظه ويعتبر النظم والترتيل والتحقيق والحدر.

والترتيل: القراءة بتفكر.

والـتحقيق إعطاء الحروف حقوقها من غير زيادة ولا نقصان ولا تكلف، وإتعاب نفس برفع صوت، ولا مبالغة في النفس فينقطع.

ولا يخلط آية رحمة بعذاب إذا لم يكن موضع الوقف.

والحـدر: أن يقـرأ بغير تفكر في المعاني ولا يمضغ، ولا يزيد ولا ينقص، وليكن صوته على وتيرة واحدة، ويجتهد في مخارج الحروف وذلك بعد أن يعرف مخارجها على اختلاف أقاويل العرب، ويعلم مجهورها من مهموسهـا وزائدهـا من أصليها، ومبدلها مما لا يثبت فيه البدل، ومطبقها من المنخفض منها، ونطعيها من لثويها، وذلقيها من أسليها، وحلقيها من حنكيها، وأشباه ذلك مما فيه طول

(١) التحديد للداني : لوحة : ٩٨/أ

فمن لم يعلم مثل هذا ولم يفهمه لم يجز له أن يقرئ أحداً من الناس ولا يأخذ على أحد حرفا، ويحرم عليه ذلك في هذه الصناعة. [1]

وقال الشهرزوري[2] في المصباح الزاهر: إن من لم يعط الحرف حقه من الصفات اللازمة والعارضة، ويخرجه من مخرجه المحدد له فقد صرفه عن مبناه وحاد به عن معناه.

قال: اعلم أن التجويد حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه ولفظ النطق به؛ لأنه متى ما تغير عما ذكرته لك من وصفه زال عن وضعه ورصفه. [3]

ويقول الشيرازي إن حسن الأداء فرض واجب على من رام قراءة شيء من كتاب الله سواء رتل، أو حقق أو حدر.

قال: وأما الحدر فهو تسهيل القراءة وهو يراد للتحفظ والاستكثار من الدرس، وهو أيضا يرتضى إذا لم يفارق التجويد وذلك بأن تعطى الحروف

---

(١) الكامل للهذلي : لوحة : ٢٤/ب، ٣١/أ

(٢) المبارك بن الحسن بن أحمد أبو الكرم الشهرزوري إمام كبير، ثقة محقق، قرأ على أحمد بن الحسن بن خيرون، وأحمد بن على الهاشمي، وأحمد بن على بن سوار، وغيرهم. قرأ عليه هبة الله بن يحيى الشيرازي، وعبد الوهاب بن سكينة وغيرهما، وكتابه المصباح من أحسن ما ألف في القراءات. توفي رحمه الله تعالى سنة (٥٥٠هـ).

غاية النهاية : ٢/٣٨.

(٣) المصباح الزاهر : ٤/١٤٦٩.

حقوقها من مخارجها ومسالكها ويوفر عليها حظوظهـا من حركاتها وسكناتهـا من غير زيادة مجاوزة للحد، ولا نقصان مؤد للقدح، فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن من أن يجد التغيير واللحن إليه سبيلا. (١)

ويوضح ابن أم قاسم المرادي(٢) أن الأخذ بالتجويد هو منهج القراء جميعا لا خلاف بينهم في ذلك، والقارئ مطالب به في كل الأحوال.

قـال: اعـلم وفقنا الله وإياك أن التجويد هو إعطاء كل حرف حقه من مخـرجه وصفته، والقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة من تـرتيل وحـدر وتوسـط، وربما توهم قوم أن التجويد إنما يكون مع الترتيل لاعتقادهم أن التجويد إنما هو الإفراط في المد وإشباع الحركات ونحو ذلك مما لا يـتأتى مـع الحدر وليس كما توهموه وإنما حقيقة تجويد القرآن ما قدمته لك، وذلـك متأت مع الحدر كما يتأتى مع الترتيل، ولا يُنكر أن الأخذ بالترتيل أتم مـدا وتحـريكا وإسكانا من الأخذ بالحدر، ولكن لابد في جميع ذلك من إقامة مخارج الحروف وصفاتها. (٣)

ثم نقل عن الأهوازي قوله: وأما الحدر فإنه القراءة السهلة السمحة العذبة الألفاظ التي لا تخرج القارئ عن طباع العرب وعما تكلمت به الفصحاء بعد أن يأتي بالرواية عن الإمام من أئمة القراءة على ما نقل عنه من المد والهمز والقطع

---

(١) الموضح في وجوه القراءات للشيرازي : ١٥٦/١

(٢) الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المالكي المشهور بابن أم قاسم نسبة إلى جدته أم أبيه. قرأ القراءات على مجد الدين إسماعيل، وأخذ عن أبي حيان. توفي سنة (٧٤٩هـ) غاية النهاية: ٢٢٧/١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ بن حجر: ١١٦/٢

(٣) المفيد في شرح عمدة المجيد، الحسن بن قاسم المرادي : ٣٨

والوصل والتشديد والتخفيف والإمالة والتفخيم والاختلاس والإشباع فإن خالف شيئا من ذلك كان مخطئا.[١]

ثم يأتي خاتمة المحققين من فاق أقرانه وساوى بعض المتقدمين في الأسانيد المتصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله رب العالمين فيعلن وجوب الأخذ بالتجويد وإثم التارك له تهاوناً استناداً إلى أقوال الأئمة وسلف هذه الأمة من القراء الذين عليهم مدار أسانيد القراءات وإليهم يعزى اختلاف الطرق والروايات فالقول الفصل قولهم والخارق لإجماعهم لا يضرهم.

فقال في المقدمة[٢] :

والأخذ بالتجويد حتم لازم — من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا — وهكذا منه إلينا وصلا

ثم بين ذلك أوضح بيان في النشر فقال:

ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم، أو معذور.

فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح استغناء بنفسه واستبدادا برأيه وحدسه واتكالا على ما ألف من حفظه، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك، وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية،

---

(١) المفيد في شرح عمدة المجيد، الحسن بن قاسم المرادي : ٣٩

(٢) المقدمة الجزرية ضمن كتاب : مجموعة في فن التجويد : ٩

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[(١)].

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها[(٢)].

أقول: لم يكن ابن الجزري بدعا من الناس فيما صرح به من وجوب الأخذ بالتجويد لكتاب الله وتأثيم المتهاون بتطبيق قواعده الموافقة للغة العرب لمن استطاع إليها سبيلا فقد سبقه إلى ذلك علماء القراءات العالمون بحقائقها ودقائقها وقد تقدم عن الداني ومكي والهذلي والشهرزوري والشيرازي ما يفيد ذلك فأئمة الإقراء كلهم مجمعون على وجوب الأخذ به.

قال الداني مبيناً أن الأخذ بالتجويد من ألزم الأشياء للقارئ وأنه منهج السلف:

من ألزم الأشياء للقراء ... تجويد لفظ الحرف في الأداء
وكل حرف من حروف الذكر ... مما جرى قبل ومالم يجر
فحقه التفكيك والتمكين ... وحكمه التحقيق والتبيين
فاستعمل التجويد عند لفظكا ... بكل حرف من كلام ربكا
فعن قريب بالجزيل تجزى ... وبنعيم الخلد سوف تحظى
قد جاء في الماهر بالقرآن ... من الشفاء ومن البيان
ما فيه مقنع لمن تدبره ... بأنه مع الكرام السفره
هذا مقال الصادق المصدوق ... فليرغب القراء في التحقيق
وليسلكوا فيه طريق من مضى ... من الأئمة مصابيح الدجى[(٣)]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٧/٢

(٢) النشر : ٢١٠/١

(٣) الأرجوزة المنبهة: للداني: ٢٩٧

المبحث الرابع: كيف يتلقى القرآن

مما تقدم تبين لنا أن أخذ القراءة سنة متبعة يجب على الآخذ أن يتلقاها من أفواه الشيوخ الضابطين ويؤديها كما أديت إليه سنة الله في حفظه لهذا الكتاب العظيم وصونا له عن التحـــريف واللحن ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [1]

فهـــذا سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدارس جبريل بالقرآن ويعارضـــه بـــه في كل رمضان فلما كان العام الـــذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين. [2]

ولا شك أن تلك المعارضة لم تكن قاصرة على الحفظ فقط بل كانت شاملة له وللكيفية التي تتلى بها حروف القرآن وتؤدى بها على أكمل وجه وأحسنه.

قـــال الكـــرماني: وفائدة درس جبريل تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم تجويـــد لفظه وتصحيح الحروف من مخارجها وليكون سنة في حق الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ في قراءاتهم[3].

ثم إنه صلى الله عليه وسلم تأكيداً لقاعدة أخذ القرآن مشافهة قرأ على أبيّ بـــن كعب كما في الحديث المتقدم ليعلمه طريقة التلاوة وترتيلها وعلى أي صفة تكـــون قراءة القرآن ليكون ذلك سنة في الإقراء والتعليم ولتكون المشافهة هي الوســـيلة لـــنقل كـــتاب رب العالمين لما فيها من الضبط والإتقان لا غيرها من الوسائل.

قال الداني مبينا الحكمة من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي:

---

(١) سورة الحجر آية : ٩

(٢) فتح الباري : ١/٣٠

(٣) لطائف الإشارات للقسطلاني : ٢٠٩

في هـــذا الحديث أيضا أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ وكيفية النطق بالحـــروف عـــلى هيئتها وصيغتها وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه

وواجـــب عـــلى جميع المتصدرين أن يأخـــذوه ويعلموه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به واتباعا له على ما أكده بفعله ليكون سنة يتبعها القراء ويقتدي بها العلماء. (١)

وبالمشافهة تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعرضوا عليه وسمعوا منه.

فهـــذا ابن مسعود يقول: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة. (٢)

وبالمشافهة تلقى التابعون عن الصحابة وهكذا تناقلت الأمة القرآن وأخذته بالمشافهة جيلا بعد جيل حتى وصل إلينا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونـــبه ابن الجزري إلى أن من أراد أن يحكم القراءة والتجويد ويتلو كتاب ربـــه كما نـــزل فعليه بترويض اللسان وتعويده النطق الصحيح المتلقى من فم المحسن المتقن.

قال: ولا أعلم سببا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن. (٣)

وينظم ذلك المعنى في المقدمة فيقول:

---

(١) التحديد للداني : ٨١

(٢) فتح الباري : ٦٤/٩

(٣) النشر : ٢١٣/١

وليــس بينــه وبــين تركه إلا رياضــة امــرئ بفكــه[1]

فمــن أراد قــراءة شيء من كتاب الله سواء كان ذلك المقروء للحفظ أو لمجرد القراءة وجب عليه تصحيح ذلك القدر المقروء.

ولا يــتأتى تصحيحه إلا بعرضه وأخذه من أفواه الشيوخ الضابطين، ومتى اســتنكف عن ذلك استكبارا واعتدادا بالنفس فقد وقع في الخطأ لا محالة ومن هنا لحقه الإثم الذي ذكره العلماء:

مــن لم يجــود القــرآن آثم

فــإن لرسم المصحف قواعده وضوابطه، ولكل حرف منه مخرجه وصفاته، ولكل لفظ منه كيفيته وأداءه.

وقد قيل في حال من يأخذ العلم عن الشيوخ ومن لم يأخذه عنهم:

من يأخذ العلم عن شيخه مشافهة يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم

ومن يكن آخذاً للعلم من صُحف فعــلمه عند أهل العلم كالعدم[2]

وقيل: لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي.[3]

وإن تعجــب فعجــب قول البعض إن القرآن نــزل بلغة العرب والعربي يستطيع قراءته بطبعه فلا يحتاج إلى من يعلمه كيفية النطق به.

وهــذا القول لا يصدر إلا ممن خانه فهمه، ولم يكن عن أهل الذكر آخذا عــلمه فــإن أصاب فعلى غير هدى، وإن أخطأ فهــو به أجــدى ﴿أفمن يمشي

(١) المقدمة الجزرية : ٨

(٢) القول السديد : ٧

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف للعسكري: ١٠

مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم﴾ [١].

فـــإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد قد تلقى القرآن من جبريل عرضا وسماعا وأمر بالإنصات والإصغاء التام حتى يفرغ جبريل من القراءة ثم يقرأ هو بعد ذلك حسب ما سمع وتلقى كما في قوله تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه ۞ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ۞ ثم إن علينا بيانه﴾ [٢]

وقـــال تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قـــال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنـــزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فأنـــزل الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾

قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾

قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ ثم إن علينا أن تقرأه.

فكـــان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه. [٤]

ويستفاد من هذه الآيات ما يأتي :

أولا : حفظ النص القرآني وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إن علينا جمعه﴾ أي في صدرك فتحفظ نصه.

ثانياً : القراءة وكيفيتها وصفة أدائها وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وقرآنه﴾

---

(١) سورة الملك آية : ٢٢

(٢) سورة القيامة آية : ١٦، ١٧، ١٨

(٣) سورة طه آية : ١١٤

(٤) فتح الباري : ٢٩/١

أي وعلينا تعليمك قراءته، فالقرآن هنا مصدر بمعنى القراءة وليس علماً.

ثالثاً : معرفة ما في القرآن من العلم والعمل وهـــذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي علينا تعليمك حلاله وحرامه كما علمناك قراءته. (١)

وأحـــاديث مدارســـة جـــبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في كل رمضان واعتبار الصحابة القراءة سنة متبعة يجب العمل بها والمصير إليها مما تقدم بيانه كل ذلك يستفاد منه أن الأخذ والتلقي والعرض والسماع أمور لابد منها لطالب القرآن مهما بلغت منـــزلته وعلا كعبه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان.

روى الـــداني بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقرأ في سورة يوسف (ليسجننه عتى حين) فقال له عمر: من أقرأكها؟ قال أقرأنيها ابن مسعود.

فكـــتب عمر إلى ابن مسعود رضي الله عنه: سلام عليك أما بعد فإن الله أنـــزل هذا القرآن فجعله قرآناً عربياً مبيناً، وأنـــزله بلغة هذا الحي من قريش، فـــإذا جـــاءك كـــتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيـــل والسلام. (٢)

قال الداني معقباً على هذه الرواية: وهذا الخبر أصل كبير ومعناه تعليم عمر عبدالله رضي الله عنهما – رياضة الألسنة، وأمره إياه أن يأخذ من يقرئه بالتفرقة بـــين الحروف المتشابهة في اللفظ المتقاربة في المخرج، حتى يؤدى القرآن على ما أنـــزل عـــليه من القراءات واللغات دون ما يجوز من ذلك من كلام العرب

---

(١) سنن القراء د. عبدالعزيز قاري : ٢٤٤

(٢) التحديد: ٨٢، المحتسب:١/٣٤٣، الكشاف:٢/٣١٧، والعرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقارهما في المخرج.

ولغاهًا إذا كان مخالفا لما أنــزل عليه من الأحرف، ألا ترى أن الفرق بين العين والحاء بحّة الحاء، ولولا هي لكانت عيناً.

وإنما كانت ذات بحة لهمسها وجهر العين، فميز عمر رضي الله عنه الفرق بينها، وأمر عبدالله رضي الله عنه بتتبع ذلك على القارئين وتلخيص بيانه للتالين فيلزم سائر القراء وجميع أهل الأداء استعمال ذلك وتفقده حتى يلفظ بالحروف على هيئتها وينطق بها على مراتبها. (١)

ومن تتبع كلام الأئمة في المحاذير التي تعرض لكل حرف من حروف الهجاء وســلامة النطق به حال القراءة واجتماعه مع غيره علم علم اليقين أن الطريق ليس سالكا لكل من رامه ولو كان من أرباب الفصاحة والبلاغة بل لابد فيه من القائد الخبير ورياضة باللسان تذلل العسير.

قال في النشر: أول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صــفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالا يصير ذلك له طبعا وسليقة.

فكــل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج.

كالهمــزة والهاء: اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالا وانفردت الهمزة بالجهر والشدة.

والعــين والحاء: اشتركا مخرجا واستفالا وانفتاحا وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة.

والغــين والخاء: اشتركا مخرجا ورخاوة واستعلاء وانفتاحا وانفردت الغين

---

(١) التجديد : ٨٣

بالجهر.

والجيم والشين والياء اشتركت مخرجا وانفتاحا واستفالا، وانفردت الجيم بالشـــدة واشـــتركت مع الياء في الجهر، وانفردت الشين بالهمس، والتفشي، واشتركت مع الياء في الرخاوة.

والضـــاد والظاء: اشتركا صفة وجهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقاً، وافترقا مخرجاً، وانفردت الضاد بالاستطالة.

والطـــاء والدال والتاء: اشتركت مخرجاً وشدة، وانفردت الطاء بالإطباق والاســتعلاء، واشتركت مع الدال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال.

والظاء والذال والثاء: اشتركت مخرجاً ورخاوة وانفردت الظاء بالاستعلاء والإطباق واشتركت مع الذال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس واشتركت مع الذال استفالا وانفتاحا.

والصاد والزاي والسين: اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيرا وانفردت الصاد بالإطـــباق والاستعلاء واشتركت مع السين في الهمس، وانفردت الزاي بالجهر، واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال.

قـــال: فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفســـه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغـــلب المفخم المرقق فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.

فمــن أحكــم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب.[١]

وتوضــيحا لما ذكر ابن الجزري نورد بعض الأمثلة ليُعلم أن قراءة القرآن تحتاج إلى دربة ورياضة على أهل الخبرة والدراية.

فالهمــز مثلا له أحكامه التي يجب مراعاتها سواء كان مبدوءاً به أو موقوفا عليه.

قــال في النشر: الهمزة إذا ابتدأ بها القارئ من كلمة فليلفظ بها سلسة في الــنطق ســهلة في الذوق، وليتحفظ من تغليظ النطق بها نحو: (الحمد) (الذين) (أءنذرهم) ولا سيما إذا أتى بعدها ألف نحو (آتى) و (آيات) و (آمّين)

فــإن جاء حرف مغلظ كان التحفظ آكد نحو: (الله) (اللهم) أو مفخم نحو (الطلاق) (اصطفى) و (أصلح)

فــإن كان حرفا مجانسها أو مقاربها كان التحفظ بسهولتها أشد وبترقيقها أوكــد نحو: (اهدنا) (أعوذ) (أعطى) (أحطت) (أحق) فكثير من الناس ينطق بها في ذلك كالمتهوع.[٢]

قال مكي: ويجب على القارئ إذا وقف على الهمزة وهي متطرفة بالسكون أن يطــلب اللفظ بها وإظهارها في وقفه لأنها لما بعد مخرجها وضعفت وأتت في آخــر الكــلمة وذهبت حركتها للوقف وضعفت بالسكون صعب إظهارها في الوقف وخيف عليها النقص فلابدّ من إظهارها عند الوقف والتكلف لذلك نحو (أسوأ) و (يستهزئ) فإن كان قبلها ساكن من حروف المد واللين صعب اللفظ بها في الوقف أشد مما قبله فيجب أن تظهرها بالوقف وتتطلب باللفظ نحو الوقف

---

(١) النشر : ٢١٤/١، ٢١٥

(٢) النشر : ٢١٦/١

على (السراء) و(الضراء) و(سوء) و(شيء) و(يضيء) و(شاء) و(جاء) و (يشاء) فإن كنت تروم الحركة كان ذلك أسهل قليلا من وقوفك بالسكون.

وإن كان الساكن قبل الهمزة غير حرف مد ولين فهو أصعب في طلب الهمزة في الوقف إذا كنت لا تروم الحركة نحو قوله تعالى: (دفء) و (ملء) و(سَوء)

فاعرف هذا كله وتحفظ منه في وقفك وإن لم تتحفظ من إظهار الهمزة في هذا في وقفك كنت حاذفا حرفا ولاحنا في ذلك.[1]

ومن ذلك (التاء) يتحفظ بما فيها من الشدة لئلا تصير رخوة وربما جعلت سينا لاسيما إذا كانت ساكنة نحو (فتنة) و (فترة) وليكن التحفظ بها آكد إذا تكررت نحو: (تتوفاهم) و (تتلوا)

وكذا كل ما تكرر من مثلين نحو (ثالث ثلاثة) و (حاججتم) و(لا أبرح حتى) ونحو ذلك.

قال في الرعاية: فبيان هذا الحرف المكرر لازم لأن في اللفظ به صعوبة لأنه بمنزلة الماشي يرفع رجله مرتين أو ثلاث مرات ويردها في كل مرة إلى الموضع الذي رفعها منه.

وقد مثله بعض العلماء بمشي المقيد فالتحفظ ببيانه لازم للقارئ ومعرفته لذلك زيادة في فهمه وعلمه بحقيقة لفظه.[2]

قال ابن الجزري: وإذا سبقت الطاء التاء لخصت صوت الطاء مع الإتيان بصوت الإطباق ثم تأتي بالتاء مرققة على أصلها وهذا قليل في زماننا ولا يقدر

---

(١) الرعاية : ١٥١

(٢) الرعاية : ٢٠٥، النشر : ٢١٧/١

عليه إلا الماهر المجود.[(١)]

ومـن ذلـك (السين) إذا جاورت حرفاً من حروف الإطباق سواء كانت ساكنة أو متحركة وجب بيانها في رفق وتؤدة وإلا صارت صادا بسبب المجاورة لأن مخـرجهما واحـد ولولا التسفل والانفتاح اللذان في السين لكانت صادا، ولولا الاستعلاء والإطباق اللذان في الصاد لكانت سيناً.

وينـبغي أن يـبين صـفيرها أكثر من الصاد لأن الصاد بين الإطباق نحو (بسطة) و (مسطورا) و (تسطع) و (أقسط) فتلفظ بها في حالي سكونها وتحريكها برفق ورقة.

وإذا سـكنت وأتى بعده جيم أو تاء فبينها نحو (مستقيم) و(مسجد) ونحو ذلك.

ولولا تبيينها لالتبست بالزاي للمجاورة.

واحذر أن تحركها عند بيانك صفيرها.[(٢)]

ومن ذلك الضاد فإنه حرف عسير على اللسان والناس يتفاضلون في النطق به

قـال ابـن الجزري: فمنهم من يجعله (ظاء) مطلقا، لأنه يشارك الظاء في صـفاتها كـلها ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء.

وإبدالها ظاء لا يجوز في كلام الله تعالى لمخالفته المعنى الذي أراد الله تعالى إذ لـو قلنا (الضالين) بالظاء كان معناه الدائمين وهذا خلاف مراد الله تعالى وهو مبطل للصلاة، لأن الضلال بالضاد هو ضد الهدى كقوله ﴿ضلَّ من تدعون إلا إياه﴾ ﴿ولا الضالين﴾ ونحوه، وبالظاء هو الدوام كقوله ﴿ظل وجهه مسودا﴾

---

(١) التمهيد : ١٢١

(٢) التمهيد : ١٣٧

ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها من دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة.

وإذا أتـى بعد الضاد حرف إطباق وجب التحفظ بلفظ الضاد لئلا يسبق اللسان إلى ما هو أخف عليه وهو الإدغام كقوله: ﴿فمن اضطر﴾ ﴿ثم أضطره﴾

وإذا سكنت الضاد وأتى بعدها حرف من حروف المعجم فلا بدّ من المحافظة على بيانها وإلا بادر اللسان إلى ما هو أخف منها نحو: ﴿أفضتم﴾ و ﴿خضتم﴾ و ﴿واخفض جناحك﴾ و ﴿قيضنا﴾ و﴿فرضنا﴾ ونحو ذلك.[1]

وهكذا تناول العلماء كل حرف من حروف الهجاء مبينين خصائصه ومميزاته وكيفية النطق به وما يجب له

سواء كان مبدوء به أو موقوفا عليه وسواء كان مفردا أو اقترن بغيره ولو تتبعنا ذلك لخرجنا عن الاختصار

وإنما ذكر العلماء ذلك وبينوه أوضح بيان لما رأوا من وقوع الطلاب في الخطأ واللحن فيه

قال مكي في الرعاية بعد بيانه للمباحث والأبواب التي عقدها لأحكام التجويد:

كل ما ذكرته لك من هذه الحروف وما نذكره لم أزل أجد الطلبة تزل بهم ألسنتهم إلى ما نبهت عليه وتميل بهم طباعهم إلى الخطأ فيما حذرت منه فبكثرة تتبعي لألفاظ الطلبة بالمشرق والمغرب وقفت على ما حذرت منه، ووصيت به من هذه الألفاظ كلها وأنت تجد ذلك من نفسك وطبعك.[2]

---

(١) التمهيد : ١٤٠-١٤٢

(٢) الرعاية : ١٧٠

فإذا كان هذا حال الطلاب في تلك القرون المتقدمة فماذا عسى أن نقوله عمن طغت عليه العجمة وفشي فيه اللحن وغلب عليه اعوجاج اللسان من أهل زماننا هل يُتْرك يقرأ بحسب طبعه ولهجته وما سهل على لسانه ؟

ولقد رد العلماء هذه المقولة ووصفوا قائلها بالنقص والجهالة.

قال مكي رحمه الله تعالى: وليس قول المقرئ والقارئ أنا أقرأ بطبعي وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجة بل ذلك نقص ظاهر فيهما.

لأن مـــن كانت هذه حجته يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري؛ إذ علمه واعتماده على طبعه وعادة لسانه، يمضي معه أينما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أين ما ذهب، ولا يبنى على أصل ولا يقرأ على علم ولا يقرئ عن فهم فما أقـــربه من أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته وتستحيل عليه طريقته؛ إذ هو بمنـــزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه فالخطأ والزلل منه قريب.

والآخـــر بمـــنـــزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء لأنه يبني على أصـــل، ويـــنقل عـــن فهم، ويلفظ عن فرع مستقيم وعلة واضحة فالخطأ منه بعيد،فـــلا يرضى امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل[1].

وإلى وجـــوب عرض القرآن وأخذه عن أهل الضبط والإتقان نبه الداني في منظومته المنبهة فقال:

---

(١) الرعاية : ١٥٣

واعلـــم بأن العـــرض للقـــرآن ... عـــلى الإمـــام الفاضـــل الديّـــان

مـــن سنـــة الـــنبي والصـــحابة ... ذوي المحـــــل وذوي القـــــرابة

والـــتابعون بعـــــد لم يعـــــدوه ... بـــل مـــن وكيـــد الأمر قد عدّوه

إذ كـــان قـــد صـــح عن الرسول ... بأنـــــه قـــــرا عـــلى جـــبريل

وقـــــد قـــــرا بـــالوحي إذ أتاه ... عـــــلى أبيّ ثم قـــــد أقـــــراه

فـــأي شـــيء بعـــد هـــذا يتبـــع ... وهـــل يـــردُّ الحـــق إلا مبـــتدع

أو جـــاهـــل لقـــوله لا يـــنظر ... إذ هو في الورى كمن لا يبصـــر[1]

(١) الأرجوزة المنبهة: للداني: ١٦٦

المبحث الخامس: حكم الأخذ بالتجويد

بعد النظر في النصوص الواردة عن الأئمة في مسألة حكم الأخذ بالتجويد وما تقدم من بيان اعتناء سلف هذه الأمة به.

تحرر عندي أنّ تعلّم علم التجويد فرض كفاية.

وأن العمل بأحكامه حال القراءة فرض عين سواء كان ذلك في الصلاة أو خارج الصلاة وسواء كان المقروء يسيراً أو كثيراً وذلك لما يأتي:

أولاً:

أن الأمـــة قد أجمعت على تلقي القرآن وعرضه منذ نزوله جيلاً بعد جيل بهـــذه الكيفية التي عرفت بالتجويد لا خلاف بينهم في ذلك، إذ القراءة عندهم سنة متبعة.

وقـــد كـــنت عـــزمت على عقد مبحث أذكر فيه أدلة المعارضين للقول بالوجوب ومناقشتها فلم أجد دليلاً من إمام معتبر يقول بغير الوجوب فصرفت عنه النظر.

ومـــا ذكره بعض العصريين من أنه دليل معارض للقول بالوجوب كقصة اختلاف هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب في القراءة ونحو ذلك، تتبعته فألفيته بعيداً كل البعد عن تقرير أحكام التلاوة وأدائها التي هي صلب الموضوع ولبه، بل هو راجع إلى اختلاف القراءات والحكمة من تعدد الحروف النازلة.

ثانياً:

أن قـــراءة القرآن وتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من

أئمة القرآن المسندين إلى رسول الله ﷺ عبادة.

قال تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [1].

وعن عبد الله بن مسعود رضيَ الله عنهَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب لله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف» [2].

وكل عبادة يجب أن تؤدى كاملة غير منقوصة ليحصل لصاحبها الثواب كاملاً.

وبقدر ما نقص منها مع قدرته على التمام نقص من أجره وثوابه وبقدر تفريطه لحقه الإثم والعقاب.

وإلى ما ذكرت أشار ابن الجرزي بقوله: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم، أو معذور.

فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح استغناءً بنفسه واستبداداً برأيه وحدسه، واتكالاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية فقد قال رسول الله ﷺ «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

---

(١) سورة المزّمل آية ٢٠.

(٢) الترمذي: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن: ٣٣/٥، حديث رقم (٢٩١٠) وابن الضريس في فضائل القرآن: ٤٦. وفي جامع الأصول: ٤٩٨/٨.

المسلمين وعامتهم)).

أمـــا من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها [(١)].

ثالثاً:

مـــا ثـــبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قـــال رســـول الله ﷺ: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)) [(٢)].

والماهر بالشيء الحاذق العارف به.

ولا يكون ماهراً بالقرآن عارفاً به من أخلّ بشيء من معانيه ومبانيه.

فمـــن لم يعـــط الحروف حقها من المدّ إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كـــانت مُمكّنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومـــن الإظهار إن كانت مظهرة، ومن الإخفاء إن كانت مخفية، ومن الحركة إن كانت محركة، ومن السكون إن كانت مسكّنة ... إلخ، مع قدرته على ذلك، لم يكـــن ماهراً بالقرآن، وأما من كان لا يطاوعه لسانه مع اجتهاده وحرصه على الوصول إلى مرتبة الماهر فإن الله أعدله من الأجر على قدر اجتهاده إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فمن رام مصاحبة السفرة الكرام البررة وجب عليه أن يقيم حروفه ويحرص على أدائها سالمة من الخطأ والزلل كما يقيم حدوده.

رابعاً:

مـــا ورد مـــن النهي عن الهذرمة وهي الإسراع بالقراءة إلى الحد الذي لا يمكّن القارئ من ضبط أحكام القراءة، ولا يمكّن السامع من التدبر، ومثلها الهذّ،

---

(١) النشر: ١/٢١٠، ٢١١.

(٢) فتح الباري: ٨/٦٩١، ومسلم في صلاة المسافرين رقم ٨٤/٦.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لا تنثروه نثر الدقل[1]، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة[2].

وعـن أبي وائل قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: قرأت المفصل البارحة فقال: ((هذّا كهذّ الشعر، إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القُرناء التي كان يقرأ بهنّ النبي ﷺ: ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم))[3].

ولذلـك ورد الـنهي عن ختم القرآن في أقل من سبع وفي رواية أقل من ثلاث كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[4].

فـإذا نهـي عـن الهذرمة والهذّ وجب الأخذ بضدهما وهو تبيين الحروف وإخـراجها مـن مخارجها وإعطاؤها حقها على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة الناقلين لها بالأسانيد المتصلة سواء كان ذلك في ترتيل، أو تدوير، أو حدر.

فذو الحذق معط للحروف حقوقها
إذا رتل القرآن أو كان ذا حدر[5]

خامساً:

إن القول بعدم وجوب الأخذ بهذه الأحكام من إظهار وإدغام وإخفاء ومد وترقيق وإمالة ونحو ذلك.

---

(١) الدقل هو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً. اللسان: ٢٤٦/١١

(٢) تفسير البغوي: ٤٠٧/٤.

(٣) فتح الباري: ٨٨/٩.

(٤) فتح الباري: ٩٤/٩. مسلم بشرح النووي: ٤٢/٨

(٥) من قصيدة الخاقاني: أنظر قصيدتان في التجويد: ١٩.

فيه قدح صريح لصدر هذه الأمة من القراء الناقلين إلينا كتاب ربنا بحروفه وقــراءاته ورواياتــه وطــرقه بهذه الكيفيات والهيئات التي تلقوها وأقرءوا بها ودونوها في كتبهم حتى وصلت إلينا عن طريقهم بالأسانيد المتصلة.

فهل يقول ذو بصيرة أنهم أنشأوها واخترعوها من أنفسهم وأوجبوها على الناس وتناقلها الناس عنهم في كل عصر ومصر.

ولم يخــالفهم أحد أو يأخذ على أيديهم لاستحداثهم في كتاب الله ما ليس مــنه، والله ﷻ قــد تكفــل بحفظ كتابه ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر:٩] والإجماع قائم على أن من زاد في القرآن حركةً أو حرفاً أو نقص من تلقاء نفسه مصراً على ذلك يكفر.

كمــا أن الإجماع قائم على أن النقص في كيفية القرآن وهيئته كالنقص في ذاته ومادته.

فــترك المــد والغنة والتفخيم والترقيق، كترك حروفه وكلماته. فإذا كان الجــواب قطعاً بالنفي وأنهم برءاء من الاختراع والابتداع بل منهجهم الإتباع، فلا يقرأ أحدهم إلا بما أقرئ، وجب اتباعهم، قال محمد بن صالح: سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو[(١)] كيف تقرأ:

﴿ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾[(٢)].

---

(١) زبان بن العلاء أبو عمرو البصري، أحد القراء السبعة ولد سنة (٦٨هـ) وقيل سنة (٧٠هـ) قرأ على الحسن البصري، وحميد بن قيس الأعرج، وعلى أبي العالية.
توفي سنة (١٥٤هـ) وقيل غير ذلك.
غاية النهاية: ٢٩٢/١، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: ١٧٨/١٢، طبقات خليفة بن خياط: ٢٢٧

(٢) سورة الفجر آية ٢٥-٢٦.

قال: (لا يعذب) بالكسر، فقال له الرجل كيف وقد جاء عن النبي ﷺ (لا يعذب) بالفتح، فقال له أبو عمرو: لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي ﷺ مـــا أخذته عنه وتدري ما ذاك لأني أَتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.

قلت وقراءة الفتح أيضاً قراءة متواترة.

قـــرأها من السبعة الإمام الكسائي، ومن العشرة يعقوب الحضرمي [١] وإنما أنكـــرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر، لأن الخبر قد يتواتر عند قوم دون قوم [٢].

وقـــال ابن مجاهد أخبرنا الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لـــولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا [٣].

ويبين الشهرزوري في كتابه المصباح أن أحكام التجويد من إظهار وإدغام وإقلاب وإخفاء وإمالة وتفخيم وتحقيق همز وتخفيفه كل ذلك من لغة العرب التي نـــزل بها القرآن، وما من قارئ من قراء الأمصار: الحجاز والشام والعراق إلا وقـــد ورد عـــنهم الإدغام والإظهار والهمز والتليين والحدر والتحقيق والإمالة والتفخـــيم، وليـــس لأحد أن يعيب على قارئ ممن قرأ بهذه الأوصاف بل كل واحد من هذه الأوصاف نقله الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل مـــن لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا، ووقع على جواز ذلك الاتفاق في كل

(١) النشر ٢/٤٠٠

(٢) جمال القراءة للسخاوي: ١/٢٣٥، منجد المقرئين: ٦٨.

(٣) السبعة لابن مجاهد: ٤٨.

عصر ومصر إماماً بعد إمام وقدوة بعد قدوة إلى زماننا هذا.[١]

قلت : لازال الإجماع والاتفاق قائماً على ما ذكر عن الأئمة قراء الأمصار من تلك الأحكام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالتارك للقراءة بها قارئ للقرآن بغير لغة العرب التي نزل عليها.

وفي موضــــع آخر من كتابه بين أن أخذهم لقواعد التجويد ليس بدعاً من أنفســـهم وإنمـــا هو النقل والرواية عن الأئمة الماضين والسلف الصالحين، فقد أوضحوا في كتبهم وبينوا في مصنفاهم التجويد في القراءة والتحقيق في التلاوة، ولم يـــتركوا لغيرهم في ذلك مسلكاً وليس لنا فيما نورده من ذلك إلا التقريب والترتيب.. والله الموفق.[٢]

فعلينا أن نسلك مسلك أئمتنا ونقتفي أثرهم فهم الأمناء الناقلون والحفظة المسندون.

قـــرأوا القـــرآن فـــأدوه أحسن أداء، وكان حسن الأداء سبيلهم لحسن الاســـتماع، وكـــان حسن الاستماع سبيلاً لحسن التدبر، وحسن التدبر سبيلاً لحسن الانتفاع.

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

(١) المصباح الزاهر : ٩٢٩/٣.

(٢) المصباح الزاهر : ١٤٦٨/٤.

المبحث السادس: اللحن في القراءة

يأتي اللحن لمعان كثيرة، والذي يعنينا منه في هذا المبحث هو ما كان بمعنى الخطأ والميل عن الصواب في القراءة.

قال في اللسان: اللحْن واللحَن واللحانة واللحانية: ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك.

ورجل لاحِن ولحّان ولحانة ولُحنة يخطئ.

وفي المحكم: كثير اللحن، ولحّنة: نسبه إلى اللحن [(١)].

قال ابن الجزري في التمهيد: واللحن الخطأ ومخالفة الصواب.

وبه سمي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحّاناً، وسمي فعله اللحن، لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب والعادل عن قصد الاستقامة [(٢)].

واللحن في جميع صوره وأشكاله منهي عنه مستبشع في القراءة.

كما روى الحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن قال ﷺ (أرشدوا أخاكم) [(٣)].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يحذر القراء منه.

فعن سليمان بن يسار: انتهى عمر إلى قوم يقرئ بعضهم بعضاً فلما رأوا عمر سكتوا فقال: ما كنتم تراجعون، فقلنا: كنا نقرئ بعضنا بعضاً، فقال:

---

(١) اللسان: ٣٧٩/١٣، مادة ل ح ن.

(٢) التمهيد: ٧٦.

(٣) المستدرك ٢/ ٤٣٩، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

أقرأوا ولا تلحنوا[١].

وكان أبو جعفر[٢] القارئ يقول: من فقه الرجل عرفانه اللحن[٣].

ينقسم اللحن إلى قسمين:

لحن جلي: أي ظاهر.

وخفي: أي مستتر.[٤]

ولكل واحد منهما حدّ يخصه، وحقيقة بها يمتاز عن صاحبه.

القسم الأول: اللحن الجلي:

وهــو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخــل، وهــذا النوع من اللحن قد يكون في بنية الكلمة وحروفها التي تتركب منها، بأن يبدل القارئ منها حرفاً بآخر، فيبدل الضاد ظاء، والذال زاياً، والثاء سيناً، والغين خاءً، ونحو ذلك.

وقــد يكون في حركات الكلمة سواءً كان ذلك في أولها أو في وسطها، أم في آخرها.

فــيجعل الفتحة كسرة، أو الضمة فتحة، أو إحدى هذه الحركات سكوناً،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٥٩/١٠، شعب الإيمان: ٢٤٢/٥، إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري: ١٩/١.

(٢) يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة.

روى عــنه نــافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، توفي سنة (١٣٠ هـ)، غاية النهاية: ٣٨٢/٢.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٥٩/١٠

(٤) السبعة لابن مجاهد: ٤٩، التحديد للداني: ١١٨.

أو نحــو ذلك، سواء ترتب على هذا الخطأ تغير في المعنى كضم التاء أو كسرها من نحو: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:٧] ونحو: ﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ﴾ [النساء: ٧٧].

أو فتحها أو كسرها من نحو:﴿ ما قلتُ لهم ﴾ [المائدة:١١٧].

أم لم يــترتب عليه تغير في المعنى كضم الهاء من قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة:٢] و ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠].

وهذا النوعَ من اللحن حَرام شَرعاً باتفاق المسلمين، معاقب عليه فاعله إن تعمده.

فإن فعله ناسياً أو جاهلاً فهو معفو عنه إن شاء الله تعالى.

وسمي هذا النوع جلياً لجلائه وظهوره وعدم خفائه على أحد سواء كان من القراء أم من غيرهم.

قــال الداني: اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكّن لفظه ويوفّى حقه من المنزلة التي هو مخصوص بها على ما حددناه وما نحدده ولا يبخس شــيئاً مــن ذلك فيتحول عن صورته ويزول عن صيغته وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الإعراب الذي يتغير فيه الحركات وينقلب به المعاني [1].

القسم الثاني: اللحن الخفي:

وهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى وهو نوعان:

الأول: مــثاله تــرك الإدغــام في موضعه، وكذلك الإظهار، والإقلاب، والإخفاء، وترقيق المفخم وعكسه، وتخفيف المشدد كذلك.

وقصــر الممــدود، ومد المقصور، والوقف بالحركة كاملة في غير الوقف

(١) التحديد للداني ١١٨

بالروم، إلى غير ذلك من الأخطاء التي تتنافى والقواعد التي دوّنها علماء القراءة وضبطها أئمة الأداء.

الـــثاني: وهو لا يعرفه إلا مهرة القراء وحذّاقهم ومثاله: تكرير الراءات، وتطـــنين النونات، وتغليظ اللامات، في غير محله، وترقيقها كذلك، ونقص الغنة أو الزيادة على مقدارها، والزيادة على مقدار المد أو النقص عنه، إلى غير ذلك مما يخل باللفظ ويذهب برونقه وحسن طلاوته.

وسمـــي مخفيـــاً لاختصاص معرفته بعلماء القراءة دون غيرهم، وقد اختلف العـــلماء في هـــذا القسم الثاني من اللحـــن الـــخفي هل هو ملحـــق بالقسم الأول في الاتفـــــاق على حـــــرمته أم أن الأمر فيه دون ذلك.

فممـــن قـــال بحرمته وأنه لا فرق بينه وبين القسم الأول البركوي [(١)] في شرحه على الدر اليتيم قال: تحرم هذه التغييرات جميعها لأنها وإن كانت لا تخل بالمعنى تخل باللفظ، وتؤدي إلى فساد رونقه وذهاب حسنه وطلاوته [(٢)].

وناصـــر الديـــن الطبلاوي [(٣)] يرى أن هذه القواعد من الواجب الشرعي الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

---

(١) محمـــد بن بيرعلي البركوي الرومي الحنفي تقي الدين، واعظ نحوي مفسر محدث، توفي سنة (٩٨١هـــ)

معجم المؤلفين، رضا كحالة ٩/١٢٣، كشف الظنون، حاجي خليفة ١/٧٣٦.

(٢) نهاية القول المفيد: ٢٩.

(٣) محمد بن سالم الطبلاوي ناصر الدين، من علماء الشافعية، عاش نحو مائة سنة، توفي سنة (٩٦٦هـــ)

الأعلام، خير الدين الزركلي: ٧/٤

وذلك في نص سؤال وجه إليه فأجاب عليه بما يفيد ذلك (١).

ويـرى ملا علي القاري (٢) في شرحه على المقدمة الجزرية أن هذا القسم الثاني لا يصل في الحرمة إلى مـا عليه القسم الأول فيقول: ولا شك أن هـذا الـنوع ممـا ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشـديد وإنما فيه خـوف العتاب والتهديد (٣).

والـذي أميل إليه في هذه المسألة أن هذه الكيفيات والهيئات التي يقرأ بها كتاب الله ﷻ من إظهار وإدغام وإخفاء وهمس للحروف وجهر لها ونحو ذلك، كل ذلك متلقى عن رسول الله ﷺ حفظه الصحابة ونقلوه إلى من بعدهم إلى أن وصل إلينا متواتراً بالأسانيد المتصلة مما بينته سابقاً.

فـإذا كانت هذه الكيفيات متواترة كان العمل بها والمحافظة على مراعاتها أمراً واجباً شرعاً تحرم مخالفتها ويأثم المتهاون بأدائها.

ولقـد سبق قول الداني في أنه ينبغي للقارئ أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف الـتي لا يوصل إلى حقيقة اللفظ بها إلا بالرياضة الشديدة والتلاوة الكثيرة مع العلم بحقائقها والمعرفة بمنازلها فيعطي كل حرف منها حقه من المد إن كان ممدوداً ومـن التمكين إن كان ممكناً، ومن الهمز إن كان مهموزاً، ومن الإدغام إن كان مدغماً، ومن الإظهار إن كان مظهراً، ومن الإخفاء إن كان مخفياً، ومن الحركة إن كان محركاً، ومن السكون إن كان مسكناً.

---

(١) نهاية القول المفيد: ٢٩- ٣١.

(٢) علي بن محمد سلطان، وقيل: علي بن سلطان الهروي المعروف بالقاري، فقيه حنفي، له كتب كثيرة في القراءات، توفي سنة (١٠١٤هـ)

الأعلام، الزركلي: ٥/١٦٦

(٣) المنح الفكرية في شرح الجزرية: ١٩.

ومــتى لم يفعل ذلك القارئ ولم يستعمل اللفظ به كذلك صار عند علماء هذه الصناعة لاحناً[١].

والمــدار في كل هذا على من كان يستطيع أن يأتي بهذه الكيفيات المتواترة ولكنه استنكف عن ذلك استكباراً وعناداً.

أمــا من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

فأول علم الذكر إتقان حــفظه ومعرفة باللحن من فيك إذا يــجري

فكن عارفاً باللحن كيما تزيله وما للذي لا يعرف اللحن من عذرِ[٢]

وأمــا الــنوع الــثاني من اللحن الخفي وهو ما لا يعرفه إلا مهرة القراء وحذّاقهم.

بأن ينقص القارئ الغنة عن المقدار المقرر لها وهو حركتان فيأتي بها حركتين إلا ربعاً مثلاً، أو أقل من الربع.

أو يــزيدها على المقدار فيجعلها حركتين وربعاً أو أدنى من الربع، أو يجعل المــد اللازم خمس حركات ونصف حركة أو ثلاثة أرباع حركة، أو يجعله ست حــركات وربع حركة أو نصف حركة، فينقصه عن المقدار المقرر له، أو يزيده عليه.

ومثل ذلك يقال في باقي المد من: المتصل، والمنفصل، والعارض للسكون.

وبــأن يفــاوت بــين المدود المتصلة والمنفصلة مثلاً، فيقرأ بعضها بخمس حــركات مثلاً، وينقص بعضها عن هذا المقدار ولو قليلاً، أو يزيد بعضها عليه ولو قليلاً.

(١) التحديد للداني: لوحة: ٩٨/ أ

(٢) للخاقاني: قصيدتان في تجويد القرآن: ٢١.

وبـــأن يقف على بعض الكلمات بالروم، ثم يقف على نظائرها بالسكون المحض أو الإشمام.

وبأن يبالغ في تفخيم الحروف المفخمة، فيزيد عن الحد المطلوب، وبأن يبالغ في ترقيق الألف المسبوق بحرف استفال حتى يظن أنها ممالة، وبأن يبالغ في تحقيق الهمز المسبوق بحرف مد حتى يتوهم أنه مشدد.

إلى غـــير ذلـــك مـــن الأمور التي لا يتنبه لها إلا المهرة العارفون بالتجويد الماهرون به علماً وعملاً الآخذون من أفواه الشيوخ الضابطين فإن هذا وإن كان من اللحن إلا أنه لا يخل بالقراءة الصحيحة ولا يقدح في ضبط التلاوة وحسنها.

وإنمـــا يخل بكمال الضبط ونهاية الحسن والبلوغ بالقراءة إلى أسمى مراتب الإحسان والإتقان.

وعـــلى هـــذا لا يكـــون ارتكاب مثل هذه الأمور الدقيقة جداً محرماً ولا مكروهاً ممن وقع فيه من غير تعمد.

بل يكون خلاف الأولى والأفضل والأكمل، والله الموفق.

وإذا لحن المصلي في الفاتحة فإنه أخل بركن من أركان الصلاة، وعليه فإنه تفسد صلاته.

سواء كان ذلك اللحن مغيراً للمعنى أو للمبنى، وهذا على أرجح قولي أهل العلم.

قـــال النووي: ولو قال:﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] بالظاء بطلت صلاته، على أرجح الوجهين إلا أن يعجز عن الضاد بعد التعلم فيعذر[1].

قـــال في النشر: واختلفوا في صلاة من يبدل بحرف غيره، سواءً تجانسا أم تقاربـــا، وأصـــح القولين عدم الصحة كمن قرأ ﴿ الحَمْدُ ﴾ بالعين، و﴿ الدِّينِ ﴾

(١) الأذكار للنووي: ٤٦.

بالتاء أو(المَغْضُوب) بالخاء أو الظاء [(١)] .

عــلى أنه في كل ذلك يعتبر الجهد الذي يبذله المكلف في تصحيح قراءته، فــإن كان مع اجتهاده وحرصه على التصحيح غلبه لسانه ولم يقو على اجتناب الــلحن فلا حرج عليه، لأن التكليف مقيد بالاستطاعة ولا يكلف الله نفساً إلا وســعها، فــبعد استفراغ الوسع في تصحيح القراءة إن وقع المصلي في اللحن فصلاته تجزئه، كصلاة الألثغ، والأعجمي الشديد العجمة، والشيخ الفاني الذي لا يســتطيع أن يقــوّم لسانه ونحوهم من طوائف الأمة الذين لا يقدرون على تحاشي اللحن [(٢)] .

وأما إمامة اللحان ويسميه الفقهاء (أُمِّــيّاً).

وهــو الذي لا يحسن قراءة مالا تصح الصلاة إلا به من القرآن فلا خلاف في كــراهة إمامــته، ولا ينبغي له أن يؤم الناس والصحيح من أقوال أهل العلم بطلان الاقتداء به، وفساد الصلاة خلفه.

وهذا مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، والأصح من مذهبي الشافعي وقال به أبو ثور، وابن المنذر، واختاره المزني.

وهو مذهب عطاء، وقتادة من التابعين [(٣)] .

وقيل: تفسد صلاة القارئ خلف الأمّي، وتصح صلاة من كان مثله.

قــال في النشــر: ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة

---

(١) النشر: ٢١١/١.

(٢) سنن القراء: ١٢٨.

(٣) المغني لابن قدامة: ٣٢/٣.

المجموع شرح المهذب: ٢٦٩/٤.

قارئ خلف أُمّي وهو من لا يحسن القراءة [1].

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا البحث، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصــاً لوجهــه الكريم وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقــلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... آمين.

---

(١) النشر: ١/٢١١. المغني لابن قدامة: ٣/٢٩.

الخاتمة

إنـــه لجديـــر بكـــل مسلم يجل كتاب ربه ويعظمه أن يصونه عن اللحن والتحريف، ويكون لسانه رطباً به في كل وقت وحين، وفق الكيفية التي أمر الله أن يتلى بها وحض عليها رسوله صلى الله عليه وسلم، وتناقلتها الأمة جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا محاطة بالرعاية، متصلة بالأسانيد.

فمـــتى ما قرئ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل تلذذت الأسماع بتلاوته، وخشـــعت القـــلوب عـــند قـــراءته ولو لم يكن القارئ من أصحاب المقامات والتطريب، ومتى اختلت موازين الحروف لم يقم النغم والتطريب مقامها، بل لا يحسن الصوت حقيقة مع الإخلال بشيء من قواعد التجويد والتلاوة.

فحســـن الصوت شيء زائد عن أحكام التلاوة وقواعدها وهبة من الله لمن شاء من خلقه وهو حسن بشروطه وليس هذا محل بحثه.

ولـــئن وقـــف أبناء اللغة العربية البررة مع لغتهم وتعاهدوها ورعوها حق رعايـــتها مما لم تعهده لغة أخرى في روايتها وترتيب قواعدها واستقصاء أصولها وإحصـــاء مفـــرداها واستيعاب الشواهد عليها وضبط كلماها وموازينها وبيان الفـــروق الـــلغوية بين مترادفاها، وتحقيق المعرب من الدخيل محتسبين الأجر في ذلك لأنها لغة القرآن.

فحـــري بأهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته والمصطفون من خلقه أن يذودوا عن حمى القرآن وأن لا يتركوه لعبث العابثين وتأويل الجاهلين فكما هم مطالبون بالحفاظ على حروفه وحدوده هم مطالبون بالحفاظ على معانيه ومبانيه والكيفيـــة الـــتي تـــؤدى بهـــا تلك الحروف لأنها أكمل الكيفيات وأتم الهيئات وبتطبيقها تنال أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات.

وإنه من فضل الله على هذه البلاد المملكة العربية السعودية أنه لا زال ولاة الأمر فيها قائمين بالحفاظ على كتاب الله وتجويده في كل المناسبات الخاصة منها والعامة.

ففـــي مجال المسابقة المحلية التي يرعاها سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز في كل عام يشترط في كل فرع من فروعها الخمسة التلاوة والتجويد.

ومـــثل ذلـــك في المســـابقة الدولية التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقـــاف كـــل عام بمكة المكرمة على مستوى العالم يشترط في كل فرع من فروعها الخمسة التلاوة والتجويد.

فمـــا يـــثار بين الفينة والفينة من التقليل بأهمية التجويد لا محل له في دولة القرآن وبين أهل القرآن.

﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأبيات

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم – مصحف المدينة النبوية – طباعة مجمع الملك فهد.

٢. أخلاق حملة القرآن الكريم.

أبو بكر أحمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة (٣٦٠هـ)

تحقيق الدكتور / عبد العزيز القاري، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٨هـ

٣. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار.

محيي الدين / يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ).

دار المعرفة بيروت.

٤. الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواه.

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ).

تحقيق: محمد مجقان الجزائري، نشر: دار المغني - الرياض - ط١- ١٤٢٠هـ.

٥. الأعلام.

خير الدين الزركلي، المتوفى سنة (١٣٩٧هـ) ط٣.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ).

طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية – الرياض.

٧. أنباء الغمر بأبناء العمر.

لأبي الفضل / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ).

مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند.

٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة.

لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة (٦٢٤هـ).

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ – ١٤٠٦هـ

٩. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله.

أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ط المجمع العلمي بدمشق.

١٠.البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ).

نشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

١١.تاريخ بغداد.

أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ).

نشر دار الكتاب العربي بيروت.

١٢.التحديد في الإتقان والتجويد.

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ)

دراسة وتحقيق الدكتور / غانم قدوري ط١، (١٤٠٧هـ).

ونسخة أخرى خطية بمكتبة الجامعة الإسلامية رقمها ١/٧٤٣١.

١٣.تذكرة الحفاظ.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ)

تحقيق أبو هاجر محمد، دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٤٠٥هـ

١٤.التمهيد في علم التجويد.

أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ)

تحقيق غانم قدوري، مؤسسة الرسالة ط٤ – ١٤١٨هـ

١٥.تهذيب التهذيب.

الحافظ بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند.

١٦.التيسير في القراءات السبع.

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه – اوتوبرتزل-.

نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٧.الثقات.

أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي المتوفى سنة (٣٥٤هـ)

ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند – سنة ١٣٩٣هـ

١٨.جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ .

أبو السعادات، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة (٦٠٦هـ)

تحقيق عبد القادر الأرنؤوط سنة ١٣٨٩هـ.

١٩.جامع البيان عن تأويل القرآن.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ)

مطبعة الحلبي ط٣، ١٣٨٨هـ.

٢٠.الجامع لأحكام القرآن.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ)

طبع دار إحياء التراث بيروت.

٢١.جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس.

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن حميد المتوفى سنة (٤٨٨هـ)

تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ط٢ – ١٤١٠هـ

٢٢.جمال القراء وكمال الإقراء.

علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ)

تحقيق الدكتور / علي حسين البواب، مطبعة المدني القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ

٢٣.حرز الأماني ووجه التهاني.

القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ)

تصحيح محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط١ – ١٤٠٩هـ

٢٤.الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ)

نشر دار الفكر بيروت، ط١ – ١٤٠٣هـ.

٢٥.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني ط ٢ – ١٣٨٥هـ.

٢٦.الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.

لأبي محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة (٤٣٧هـ)

تحقيق الدكتور/ أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٧.زاد المعاد في هدي خير العباد.

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى سنة (٧٥١هـ)

تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط.

مؤسسة الرسالة، ط٢ – ١٤٠٥هـ.

٢٨.السبعة في القراءات.

أحمد بن موسى بن مجاهد، المتوفى سنة (٣٢٤هـ)

تحقيق الدكتور / شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط٢.

٢٩.سنن أبي داود.

لأبي سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة (٢٧٥هـ)

مراجعة محمد محيي الدين، دار الكتب العلمية بيروت

٣٠.سنن الترمذي.

محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة (٢٧٩هـــ)

مطبعة الحلبي، مصر

٣١.سنن الدارمي.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، المتوفى سنة (٢٥٥هـــ)

تحقيق عبد الله هاشم يماني. الناشر: حديث آكادمى باكستان — ١٤٠٤هـــ.

٣٢.سنن القراء ومناهج المجودين.

الدكتور / عبد العزيز عبد الفتاح القاري، نشر مكتبة الدار ط١، ١٤١٤هـــ.

٣٣.سير أعلام النبلاء.

الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

تحقيق الدكتور / بشار عواد، ود / محيي هلال مؤسسة الرسالة، ط١ — ١٤٠٥هـــ.

٣٤.شعب الإيمان.

للبيهقي أحمد بن الحسين، المتوفى سنة (٤٥٨هـــ)

طبع الدار السلفية، بمباي، الهند.

٣٥.شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف.

الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى المتوفى سنة (٣٨٢هـــ)

تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة الحلبي ط١ — ١٣٨٣هـــ.

٣٦.صحيح مسلم بشرح النووي.

مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة (٢٦١هـــ)

المطبعة المصرية.

٣٧.الصلة.

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، المتوفى سنة (٥٧٨هـــ)

تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب للمصري، ودار الكتاب اللبناني ط٢ —١٤١٠هـــ

٣٨.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة (٩٠٢هـــ)

نشر دار مكتبة الحياة بيروت.

٣٩.الطبقات الكبرى.

محمد بن سعد بن منيع البصري، المتوفى سنة (٢٣٠هـــ)

دار صادر بيروت.

٤٠.الطبقات.

لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة (٢٤٠هـــ)

تحقيق د/ أكرم ضياء العمري، دار طيبة للتوزيع والنشر، ط٢ – ١٤٠٢هـــ.

٤١.العبر في خبر من غبر.

محمـــد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ – ١٤٠٥هـــ.

٤٢.غاية النهاية في طبقات القراء.

أبـــو الخـــير محمد بن الجرزي، عني بنشره. ج براجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ – ١٤٠٠هـــ.

٤٣.فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر المكتبة السلفية.

٤٤.فتح المجيد في علم التجويد.

محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، مطبعة البابي الحلبي، ط٢.

٤٥.فضائل القرآن.

لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، المتوفى سنة (٢٢٤هـــ)

تحقيق مروان عطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين طبع دار ابن كثير، دمشق، ط١ – ١٤١٥هـــ.

٤٦ .فضائل القرآن.

لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس، المتوفى سنة (٢٩٤هـ)

تحقيق غزوة بدير، دار الفكر بيروت، ط١ – ١٤٠٨هـ.

٤٧ .قصيدة الخاقاني.

موسى بن عبيد الله بن يحي الخاقاني، المتوفى سنة (٣٢٥هـ)

ضمن: قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق د. عبد العزيز القاري، ط١ – ١٤٠٢هـ.

٤٨ .القول السديد في بيان حكم التجويد.

محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، مطبعة الحلبي.

٤٩ .الكامل في التاريخ.

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٣٠هـ)

دار الكتب العلمية بيروت، ط١ – ١٤٠٧هـ.

٥٠ .الكامل في القراءات الخمسين.

يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، المتوفى سنة (٤٦٥هـ)

مخطوط عن مكتبة الأزهرية.

٥١ .الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة (٥٣٨هـ)

مطبعة دار المعرفة بيروت.

٥٢ .كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، المتوفى سنة (١٠٦٧هـ)

دار الكتب العلمية بيروت.

٥٣.لباب التأويل في معاني التنـــزيل.

على بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن

المتوفى سنة (٦٤١هـــ) توزيع المكتبة الشعبية بيروت.

٥٤.لسان العرب.

لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المتوفى سنة (٧١١هـــ)

نشر دار صادر بيروت.

٥٥.لطائف الإشارات لفنون القراءات.

أحمد بن محمد القسطلاني، المتوفى سنة (٩٢٣هـــ)

تحقيق الشيخ / عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين

نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ط١ – ١٣٩٢هـــ.

٥٦.مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

مطبعة الجامعة الإسلامية، سنة ١٤٠٣هـــ.

٥٧.المجموع شرح المهذب.

يحيى بن شرف النووي

تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة

٥٨.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

أبو الفتح عثمان بن جني، المتوفى سنة (٣٩٢هـــ)

تحقيق: علي النجدي، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح

شلبي – مطبعة إحياء التراث – القاهرة – ط ١، ١٣٨٩هـــ

٥٩.المستدرك على الصحيحين.

لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٥هـــ)

مطبعة دار الكتاب العربي بيروت.

٦٠.المسند.
للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١هـ)
شرح أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط٤ – ١٣٧٣هـ.
٦١. مشاهير علماء الأمصار.
محمد بن حبان البستي، تصحيح. م. فلايشهمر.
دار الكتب العلمية بيروت.
٦٢. المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر.
لأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، المتوفى سنة (٥٥٠هـ)
رسالة دكتوراه/ إبراهيم الدوسري.
٦٣.المصنف في الأحاديث والآثار.
عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المتوفى سنة (٢٣٥هـ)
تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الهند – ١٤٠٢هـ.
٦٤.معاني القرآن وإعرابه.
لأبي إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج، المتوفى سنة (٣١١هـ)
شرح وتحقيق د./ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب بيروت، ط١ – ١٤٠٨هـ
٦٥.معاني القرآن.
لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة (٢٠٧هـ)
عالم الكتب بيروت، ط٣ – ١٤٠٣هـ.
٦٦.معجم المؤلفين.
عمر رضا كحالة المتوفى سنة (١٤٠٨هـ)، نشر مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث، بيروت.
٦٧.معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.
للحافظ أبي عبد الله الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق
مطبعة دار التأليف القاهرة ط١.

٦٨.المغني.

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة (٦٢٠هــ)
تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور / عبدالفتاح محمد الحلو، ط١ – ١٤٠٦هــ.

٦٩.المفردات في غريب القرآن.

لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المتوفى سنة (٥٠٢هــ)
تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

٧٠.المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد.

الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي، المتوفى سنة (٧٤٩هــ)
تحقيق الدكتور / علي حسين البواب، نشر مكتبة المنار، الأردن، سنة ١٤٠٧هــ

٧١.المقدمة الجزرية.

محمد بن محمد الجزري، ضمن مجموع أمهات متون، نشر دار المطبوعات الحديثة جدة.

٧٢.منجد المقرئين ومرشد الطالبين.

للحافظ بن الجرزي، دار الكتب العلمية بيروت.

٧٣.المنح الفكرية شرح المقدمة الجرزية.

ملا علي بن سلطان محمد القاري، المتوفى سنة (١٠١٤هــ)
مطبعة الحلبي سنة ١٣٦٧هــ.

٧٤.الموضح في وجوه القراءات وعللها.

نصر بن على بن محمد الشيرازي الفارسي، المتوفى بعد سنة (٥٦٥هــ)
تحقيق الدكتور / عمر حمدان الكبيسي، ط١ – ١٤١٤هــ.

٧٥.موطأ الإمام مالك.

رواية يحيى بن يحيى الليثي، المتوفى سنة (٢٣٤هـــ)

إعداد أحمد راتب عرموش، مطبعة دار النفائس

بيروت. ط٧ – ١٤٠٤هـــ.

٧٦.النشر في القراءات العشر.

للحافظ أبي الخير محمد بن الجرزي. تصحيح الشيخ علي محنمد الضباع

مطبعة مصطفى محمد البابي، القاهرة.

٧٧.نهاية القول المفيد في علم التجويد.

الشيخ محمد مكي نصر، تصحيح الضباع، مطبعة الحلبي

سنة ١٣٤٩هـــ.

٧٨.هداية القاري إلى تجويد كلام الباري.

عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، المتوفى سنة (١٤٠٩هـــ) ط١-٢-١٤٠٢هـــ

٧٩.وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، المتوفى سنة (٦٨١هـــ)

تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات

زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله

دراسة وتخريجاً

إعداد
د. دخيل بن صالح اللحيدان
الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين بالرياض

إنّ الحمـــدَ لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـــادي له، وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد[(١)] :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[(٢)].

إن الله تعـــالى حفـــظ لهذه الأمة القرآن الكريم الذي تناقلته الأجيال بالتواتر، وحفظ لها سنة نبيها محمد ﷺ بأن يسر لها صحابته الكرام ــ رضوان الله عليهم ــ، فحفظوها وفهموها وعملوا بها، وسار على نهجهم من أتى بعدهم، وذبّوا عنها تحريف المتأولين، وشبهات المبطلين، وغلط الواهمين.

وقيض الله تعالى للسنة من الأئمة النقاد الذين بينوا أحوال الرواة، وميزوا الصحيح من الضعيف حتى يكون المستدل بها على بصيرة في استخراج الأحكام الشـــرعية مـــنها، ومعـــرفة الحلال من الحرام، والخاص من العام، والناسخ من المنسوخ، ونحو ذلك.

---

(١) هـــذه إحـــدى ألفاظ خطبة الحاجة، أخرجها الإمام مسلم (في ٧ كتاب الجمعة، ١٣ باب تخفيـــف الصـــلاة والخطبة، ٢/٥٩٣/٨٦٨)، والنسائي (في ٢٦ كتاب النكاح، ٣٩ باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، ٣٢٨٠)، من حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ .

(٢) أخـــرج الإمام مسلم (في ٣ كتاب الجمعة، ١٣ باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٨٦٧)، مـــن حديـــث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : ((أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة))، وفي رواية عنده أنه قال : ((كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويثني بما هو أهله ثم يقول : من يهده الله)) الحديث.

وقد عُني العلماء بتدوين الحديث في المسانيد والسنن والجوامع والمصنفات، والمعاجم والمشيخات والأجزاء الحديثية وغيرها من مصادر السنة التي نقلت بالأسانيد المتصلة، وضُبطت ألفاظها بالعرض والمقابلة وإثبات السماع تأكيداً على حفظها من الزيادة والنقصان، مع تواتر العزو إليها في كتب أهل العلم بما لا يجعل للشك فيها مجالاً.

ومن أبرز ما عُني به أهل الحديث، زيادات الرواة عن شيوخهم، حيث قد يضيف تلميذ المؤلف أو من دونه بعض مروياته عن شيوخه بحيث تتميز بهم عن مرويات المؤلف.

وكانت هذه الزيادات واضحة عند متقدمي أهل الحديث لمعرفتهم بالشيوخ والطبقات، ولمّا ضَعُفت الهمم فيمن أتى بعدهم احتيج إلى معرفتها ودراستها والتنبيه إليها، وإفرادها بالتأليف، وقد جاء هذا البحث في دراسة زيادات واحد من هؤلاء الرواة، وهو : الإمام القَطِيعي، ليسهم في تعريف زيادات الرواة، واستنباط أنواعها، ومعرفة درجتها، وضوابطها، وكان ذلك من أسباب اختيار هذا الموضوع، إضافة إلى تأكيد ما يلي :

١- منزلة فن زيادات رواة الكتب، وهو مما يستدرك على من ألف في مصطلح الحديث.

٢- الحاجة إلى معرفة أصحاب الزيادات ومروياتهم، ولا سيما أنهم –وإن كانوا ثقاتاً في أنفسهم- إلا أنهم ليسوا من النقاد الجهابذة الذين ينتقون مروياتهم، بل شأن أكثرهم العناية بأداء ما سمعوا –سواء أكان صحيحاً أم ضعيفاً-، بل قد تكون أكثر زيادات بعضهم موضوعة كالقطِيعي، حيث إنهم يرون براءة الذمة بالإسناد، والعهدة على من رووا عنه من شيوخهم.

٣- أثرهذا الفن في تمييز زيادات رواة الكتب من مرويات مؤلفيها، ولا سيما من كان معروفاً بالانتقاء حيث يؤدي خفاؤها إلى الوهم في نسبة الزيادات – مع ضعفها- إليهم، وقد وهم العلامة الهيثمي – مع جلالة قدره – فعزى

حديثاً إلى مسند الإمام أحمد، وهو من زيادات القَطِيعي عليه[١]، ومن هو دون الهيثمي من باب أولى، ويؤدي هذا إلى عدم الدقة في بيان مكانة المصادر، كما قد ينسب أهل الأهواء الحديث الموضوع من هذه الزيادات إلى الأئمة أنفسهم فتحصل الشبهة لمن لا علم له بها، وقد دحض شيخ الإسلام ابن تيمية شبهاهم في عدة مواضع من كتبه، ومنه قوله : ((ليس هذا الحديث في مسند أحمد، ولا رواه أحمد لا في المسند ولا في الفضائل... وإنما هو من زيادات القَطِيعي التي فيها من الكذب الموضوع ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع))[٢].

٤– تباين أراء أهل العلم في زيادات القَطِيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، فمنهم النافي ومنهم المثبت ومنهم من يرى قلتها، ومنهم من يرى كثرها، مما يدعو إلى تحرير القول فيها، وبيان الصواب بالاستقراء والدراسة التفصيلية المبينة لعددها ومواضعها، وما يدل على أنها من زيادات القَطِيعي، مع الحكم عليها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا البحث يُعَدُّ – فيما يُعلم – أول دراسة مفردة بزيادات القَطِيعي على المسند، وهو يتكون بعد المقدمة السابقة من :

من فصلين، وخاتمة، وفهارس، وبيانها على النحو التالي :

الفصل الأول : الدراسة، وفيه :

المبحث الأول : التعريف بعبد الله بن أحمد.

المبحث الثاني : التعريف بالقَطِيعي.

المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد.

المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة.

المبحث الخامس : التعريف بزيادات القَطِيعي.

---

(١) سيأتي توضيحه في ص : ١٢٣

(٢) منهاج السنة ٧٥/٤

الفصل الثاني : تخريج زيادات القَطيعي.

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس، وفيها :

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

هـــذا وسميت هذا البحث : «**زيادات القَطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، دراسة وتخريجاً**»، وأسألَ الله تعالى أن ينفع به ويغفر لي ولوالدي ولذوي أرحامي وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول : الدراسة

وهو في خمسة مباحث :

- المبحث الأول : التعريف بعبد الله بن أحمد.
- المبحث الثاني : التعريف بالقَطيعي.
- المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد.
- المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة.
- المبحث الخامس : التعريف بزيادات القَطيعي.

المبحث الأول : التعريف بعبد الله ابن الإمام أحمد[1] :

أولاً : اسمه ونسبه وتأريخ ولادته :

فهـو : عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البغدادي أبو عبد الرحمن. ولد سنة ٢١٣هـ.

ثانيـاً : شيوخه : تلقى عبد الله بن الإمام أحمد عن شيوخ كثيرين، وفي مقدمتهم : والده – ت ٢٤١هـ – ، ويحيى بن عَبْدَوَيْه –وهو أكبر شيخ له– ت ٢٣١هـ–، وأحمد بن جَنَاب المِصِّيصي – ت ٢٣٠هـ–، وأحمد بن محمد بن أيوب – ت ٢٢٨هـ–، وإبراهيم بن الحجاج السامي – ت٢٣١ هـ، ويحيى بن معين إمام الجرح والتعديل – ت ٢٣٣هـ –، وخليفة بن خياط صاحب التأريخ والطبقات – ت ٢٤٠هـ – وغيرهم، قال الحافظ أبو بكر : محمد بن عبد الغني بن نقطة –ت ٦٢٩هـ – عنه : ((حدث عن جماعة يزيدون على الأربعمائة جمعنا أسماءهم في كتاب مفرد))[2].

ثالثاً : تلاميذه، ومنهم : أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن– ت ٣٠٣هـ –، وموسى ابن هارون الحمال – ت ٢٩٤هـ –، وعبد الرحمن بن أبي حاتم – ت ٣٢٧هـ –، وأحمد بن جعفر القطِيعي –ت٣٦٨هـ–، وغيرهم.

رابعاً : مكانته العلمية: عبد الله بن الإمام أحمد : حافظ ثقة، ومحدث

---

(١) الإمام أحمد غني عن التعريف فهو علم مشهور عند الخاصة والعامة، ولهذا اقتصرت على التعريف بابنه عبد الله بإيجاز أيضاً؛ لتعلق البحث بغيره.

(٢) التقييد لمعرفة الرواة ٢/٤٥

كبير، قال عنه الإمام أحمد : ((إن ابني قد وعى علماً كثيراً))[١]، وقال عنه أيضـــاً: ((إن ابني محظوظ من علم الحديث لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ))، وقال أبو بكر: أحمد بن علي الخطيب البغدادي –ت٤٦٣هـــ–عنه : ((كان ثقة ثبتاً فهماً))[٢] ، وقال تلميذه أبو الحسين : أحمد بن محمد البغدادي الشهير بابن المُنادى – ت ٣٣٦هـــ – عنه : ((ما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال، وعلل الحديث والأسماء والكنى، والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك)).

خامساً : مسموعاته من والده : سمع عبد الله بن الإمام أحمد من والده غـــالب مـــروياته، وفي ذلك يقول تلميذه ابن المُنادى : ((لم يكن في الدنيا أحد أروى عـــن أبيه منه ؛ لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير وهو مائة ألف وعشـــرون ألفاً، سمع منها ثمانين ألفاً، والباقي وجادة، وسمع الناسخ والمنسوخ، والتأريخ، وحديث شعبة، والمقدم والمؤخر في كتاب الله تعالى، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير، وغير ذلك من التصانيف))[٣].

وقال عبد الله : ((كل شيء أقول : قال أبي، قد سمعته مرتين أو ثلاثة، وأقله مرة))[٤].

وقـــال الطبراني : ((حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال : قبور أهـــل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥١٦/١٣

(٢) تأريخ بغداد ٣٧٦/٩

(٣) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٣٧٩/٢

(٤) العلل ٤٦٩٩

أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله))[1].

سادســـاً : وفاتـــه : كانت وفاة عبد الله بن الإمام أحمد في شهر جمادى الآخرة، سنة ٢٩٠هـــ، وله سبع وسبعون سنة كعمر أبيه، ودفن في مقابر باب التِّبْن[2] في بغداد، رحمة الله عليه[3].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/١٨٨، وطبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٢/٣٧٩

(٢) قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان ١/٣٠٦) : ((باب التِّبْن : بلفظ التبن الذي تأكله الدواب، اسم محلة كبيرة كانت ببغداد، وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل)).

(٣) المنــتظم لابن الجوزي ١٣/٢١٧، وتهذيب الكمال ٤/٣١٥٧، والبداية والنهاية ٦/٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/٥١٦، وتهذيب التهذيب ٥/٢٤٦، وشذرات الذهب ٢/٢٠٣.

المبحث الثاني : التعريف بالقَطيعي :

أولاً : اسمه ونسبه ونسبته وكنيته :

هـــو : أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شعيب البغدادي القَطِيعي أبو بكـــر، واشـــتهر "بـــالقَطِيعي" و " بأبي بكر ابن مالك"، وربما نسبه بعضهم إلى جـــده فقـــال : أحمـــد بـــن شبيب، وحمدان لقب جده، واسمه أحمد، قاله ابن الجوزي[(١)] – ت ٥٩٧هـــ–.

والقَطيعـــي : بفـــتح القاف، وكسر الطاء وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنـــتين وفي آخـــرها العين المهملة، قاله الأمير ابن ماكولا[(٢)] –ت٤٧٥هـــ– والســـمعاني[(٣)] –ت٥٦٢هـــ–، وهي نسبة إلى : قطيعة الدقيق مَحَلّة في أعلى غربي بغداد، سكنها فنسب إليها[(٤)].

ثانياً : ولادته ونشأته :

ولـــد القَطِيعي سنة ٢٧٤هـــ، قال أبو طالب : محمد بن الحسين بن أحمد بن بُكير– ت ٤٣٦هـــ – : ((سمعت أبا بكر بن مالك يذكر أن مولده في يوم الاثنين لـــثلاث خلون من المحرم سنة أربع وسبعين ومائتين، وقال : كانت والدتي بنت أخي ابن عبد الله الجصاص، وكان عبد الله بن أحمد بن حنبل يجيئنا فنقرأ عليه ما نريده، وكان يُقعدني في حجره حتى يقال له : يؤلمك فيقول : إني أحبه)) [(٥)].

وهـــو صـــاحب رحلة، قال عنه الذهبي –ت٧٤٨هـــ : ((رحل وكَتَب

---

(١) المنتظم ٢٦٠/١٤

(٢) الإكمال ١٤٩/٧

(٣) الأنساب ٤٦٤/١٠

(٤) تأريخ بغداد ٧٣/٤، والإكمال ١٤٩/٧.

(٥) تأريخ بغداد ٧٣/٤

وخـرَّج))[١]، وقـال عنه ابن الجزري –ت٨٣٣هـ– : ((ارتحل إلى البصرة والموصل وواسِط وكتب وجمع، مع الصدق والدّين والخير والسنة))[٢].

ثالثاً : شيوخه :

أخـذ القَطِيعـي العلم عن عدد من المحدثين والحفاظ[٣]، مثل الحافظ أبي إسـحاق إبراهـيم بـن إسحاق بن إبراهيم الحربي البغدادي– ت ٢٨٥هـ– صـاحب الإمـام أحمـد وكتاب غريب الحديث[٤]، والحافظ المسند أبي مسلم إبراهـيم بـن عـبد الله بن مسلم بن ماعز البصري الكَجِّ – ت ٢٩٢هـ– صـاحب كـتاب السنن[٥]، والإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن علي بن مسلم الـبغدادي الأبَّار–ت ٢٩٠هـ– صاحب التأريخ[٦]، والمقرئ الثقة أبي الحسن إدريـس بـن عبد الكريم البغدادي الحداد– ت ٢٩٢هـ–[٧]، والحافظ أبي يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون البغدادي الحربي من رواة الموطأ عن القَعْنَبي –ت ٢٨٤هـ–[٨]، والحـافظ أبي عـلي بشر بن موسى بن صالح الأسدي الـبغدادي– ت ٢٨٨هـ –[٩]، والإمام الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسـن الفـرْيابي صاحب كتاب أحكام العيدين، ودلائل النبوة وغيرهما –ت

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٠

(٢) المصعد الأحمد ٤٢

(٣) ذكرهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٠

(٤) تأريخ بغداد ٦/٢٧، وطبقات الحنابلة ١/٨٦

(٥) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٢/٣٢٢/٦١٥

(٦) طبقات الحفاظ، للسيوطي ٢٨٠

(٧) طبقات القراء، للذهبي ١/٢٠٤

(٨) سير أعلام النبلاء ١٣/٤١٠

(٩) ستأتي ترجمته في ص : ١٤٩

٣٠١هـ –[١]، والحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي– ت ٢٩٠هـ –[٢]، والمسند أبي شعيب عبد الله ابن الحسن بن أحمد الحراني – ت ٢٩٥هـ –[٣]، والمسند الثقة أبي خليفة الفضل بن الحباب بن محمد الجُمَحي – ت٣٠٦هـ –[٤]، وأبي العباس محمد بن يونس بن موسى الكُدَيمي القرشي البصري – ت ٢٨٦هـ –[٥]، والإمام الحافظ الفقيه القاضي المقرئ أبي بكر موسى بن إسحاق بن موسى الخطمي الأنصاري – ت٢٩٧هـ –[٦].

رابعاً : تلاميذه[٧] :

لقد كانت للقَطِيعي منزلة جليلة في عصره، ومما يدل على ذلك : عناية أئمة الحديث في وقته بالأخذ عنه، والسماع منه مثل : الحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني صاحب الحلية[٨]– ت ٤٣٠هـ –، والمسند المعمر أبي الحسن بُشْرى بن مَسِيس الفاتني الرومي[٩] – ت ٤٣١هـ –، والإمام العلامة الفقيه أبي علي الحسن بن شهاب بن الحسن العُكْبَري–ت ٤٢٨هـ –[١٠]، والمحدث المسند

---

(١) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٢/٤١٢/٦٨٢

(٢) سبقت ترجمته في ص : ٩٦

(٣) ستأتي ترجمته في ص : ١٢٦

(٤) ستأتي ترجمته في ص : ١٤٢

(٥) ستأتي ترجمته في ص : ١٣٣

(٦) الجرح والتعديل ٨/١٣٥، طبقات الشافعية، للسبكي ٢/٣٤٥، وطبقات القراء، لابن الجزري ٢/٣١٧

(٧) ذكرهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١١

(٨) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٣/٢٨٨/٩٧٠

(٩) تأريخ بغداد ٧/١٣٥، والإكمال، للأمير ابن ماكولا ٧/٥١، ٧٩، ٢٥٥

(١٠) طبقات الحنابلة ٢/١٨٦

أبي علي الحسن بن علي بن محمد التميمي البغدادي المعروف بابن المُذْهب –ت ٤٤٤هـ–[١]، والإمام المحدث الثقة أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الشيرازي ثم البغدادي الجوهري المُقَنَّعي –ت ٤٥٤هـ– سمع من القَطيعي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، قاله الذهبي[٢]، والحافظ أبي محمد الحسن ابن أَبي طالب محمد بن الحسن بن علي البغدادي الخلال – ت ٤٣٩هـ–[٣]، والحافظ الناقد أبي علي خلف بن محمد بن علي الواسطي صاحب كتاب : "أطراف الصحيحين" – المتوفى بُعيد الأربعمائة بيسير–[٤]، والحافظ الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي البغدادي صاحب الأمالي– ت ٤٣٠هـ–[٥]، والمسند المقرئ أبي القاسم عُبيدالله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغدادي الصيرفي المعروف بابن السَّوَادي– ت ٤٣٠هـ–[٦]، والواعظ المحدث أبي الفتح عُبيد الله بن أبي حفص عمر بن عثمان ابن شاهين البغدادي– ت ٤٤٠هـ–[٧]، والحافظ الناقد الجهبذ أبي الحسن علي بن عمر ابن أحمد الدارقطني البغدادي صاحب كتاب : "السنن والعلل" –ت٣٨٥هـ–[٨]، والفقيه الثقة أبي طالب عمر بن إبراهيم بن سعيد الزهري الوقاصي –ت ٤٣٤ هـ–[٩]، والإمام الحافظ أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رَزْق

(١) الميزان للذهبي ١/٥١٠، ولسان الميزان، لابن حجر ٢/٢٣٦

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/٦٨

(٣) تأريخ بغداد ٧/٤٢٥

(٤) أخبار أصبهان ١/٣١٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/١٠٦٧

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٠

(٦) غاية النهاية، لابن الجزري ١/٤٨٥

(٧) العبر، للذهبي ٣/١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٠١

(٨) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٣/١٨٣/٩٠١

(٩) تأريخ بغداد ١١/٢٧٤، وطبقات الشيرازي ١٢٥

البغدادي البزاز المعروف بابن رَزْقويه -ت٤١٢هـ-[١]، والإمام الحافظ المحقق أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن فارس ابن أبي الفوارس البغدادي -ت ٤١٢هـ -[٢]، والمسند الصدوق أبي طالب محمد بن الحسين بن أحمد بن بُكير-ت٤٣٦هـ-[٣]، والفقيه المحدث القاضي أبي عمر : محمد بن الحسين بن محمد البَسْطامي -ت ٤٠٨هـ-[٤]، والحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري -ت٤٠٥هـ- صاحب كتاب المستدرك على الصحيحين[٥]، والمحدث الواعظ أبي طاهر محمد بن علي بن محمد البغدادي المشهور بابن العَلاَّف - ت ٤٤٢هـ- [٦]، والمحدث أبي بكر محمد بن المؤمل ابن الصقر الوراق المعروف بغلام الأبهري - ت ٤٣٤هـ-[٧].

وآخر من حدث عنه أبو محمد : الحسن بن علي بن محمد الشيرازي الجوهري المُقَنَّعي، قال الذهبي عنه : ((خاتمة أصحابه))[٨]، وقال أيضاً : ((كان آخر من روى في الدنيا عنه بالسماع والإذن))[٩]، وذكر أن سماعه منه كان سنة ٣٦٨هـ [١٠].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٧

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٥٣/٣

(٣) تأريخ بغداد ٢٥٣/٢

(٤) طبقات الشافعية، للسبكي ١٤٠/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢٠/١٧

(٥) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٩٤١/٢٣٧/٣

(٦) تأريخ بغداد ١٠٣/٣

(٧) تأريخ بغداد ٣١٢/٣

(٨) سير أعلام النبلاء ٢١١/١٦.

(٩) سير أعلام النبلاء ٦٨/١٨

(١٠) المصدر نفسه.

خامساً : مكانته العلمية :

كـــان القَطِيعـــي محدثـــاً مكـــثراً مـــن أسند أهل زمانه، قال عنه تلميذه الدارقطـــني:((ثقـــة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة))[١]، وقال تلميذه أبو عـــبدالله الحاكم : ((ثقة مأمون))[٢]، وقال تلميذه ابن المُذْهِب : ((المحدث العالم المفيد الثقة))[٣] وقال عنه تلميذه أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب البَرْقاني –ت ٤٢٥هـــ– ((ثقة))[٤]، وقال عنه الخطيب البغدادي[٥]،والأمير ابن ماكولا[٦]، والســـمعاني[٧]، وابـــن كـــثير[٨]، وابن الجزري[٩] : ((كثير الحديث))، وزاد الأخيران : ((ثقة)).

وقـــد تُكـــلم فيه بسبب نسخه بعض كتبه من غيرها بعد غرق كتبه، قال تـــلميذه محمد بن أحمد بن أبي الفوارس : ((له في بعض المسند أصول فيها نظر، ذُكـــر أنه كتبها بعد الغرق))[١٠]، وقال تلميذه أبو بكر البَرْقاني : ((كان شيخاً صـــالحاً غرقت قطعة من كتبه فنسخها من كتاب ذكروا أنه لم يكن سماعه فيه،

---

(١) سؤالات السلمي له ١٤

(٢) كما في تأريخ بغداد ٧٤/٤

(٣) كما في المصعد الأحمد، لابن الجزري ٢٩

(٤) تأريخ بغداد ٧٣/٤

(٥) المصدر السابق.

(٦) الإكمال ١٤٩/٧

(٧) الأنساب ٤٦٤/١٠

(٨) البداية والنهاية ٢٩٣/١١

(٩) غاية النهاية ٤٣/١

(١٠) تأريخ بغداد ٧٤/٤

فغمزوه لأجل ذلك، وإلا فهو ثقة))[١]، وقال أيضاً : ((كنت شديد التنقير عن حال ابن مالك حتى ثبت عندي أنه صدوق لا يُشَك في سماعه، وإنما كان فيه بله فلما غرقت القَطيعة بالماء الأسود غرق كل شيء من كتبه، فنسخ بدل ما غرق من كتاب لَم يكن فيه سماعه، ولما اجتمعت مع الحاكم بن عبد الله بن البيع بنيسابور، ذكرت ابن مالك ولينته فأنكر علي، وقال : ذاك شيخي؛ وحسن حاله أو كما قال))[٢].

وهذا الجرح محل تأمل ؛ لأن الثقة لا يُقدم على ذلك إلا إذا كانت هذه الكتب معارضة على كتبه، قال ابن الجوزي : ((مثل هذا لا يطعن به عليه ؛ لأنه يجوز أن تكون تلك الكتب قد قُرئت عليه، وعورض بها أصله))[٣]، وقال ابن كثير : ((هذا ليس بشيء؛ لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت))[٤]، ويؤكد ذلك ما تقدم من توثيق الأئمة له، ثم إنهم على شدة تحريهم لم يمتنعوا من الرواية عنه بسبب ذلك، ولا سيما أن فيهم الحافظ الناقد الدارقطني، ولهذا يقول الخطيب البغدادي : ((لم نر أحداً امتنع من الرواية عنه، ولا ترك الاحتجاج به))[٥]، ويقول ابن الجوزي : ((قد روى عنه الأئمة : الدارقطني وابن شاهين والبَرْقاني وأبو نُعيم والحاكم، ولم يُمْتَنع من الرواية عنه، ولا تُرِك الاحتجاج به))[٦]، ويقول ابن كثير : ((لم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا

(١) المصدر السابق.

(٢) تأريخ بغداد ٤/٧٤

(٣) المنتظم ١٤/٢٦٠

(٤) البداية والنهاية ١١/٢٩٣

(٥) تأريخ بغداد ٤/٧٣

(٦) المنتظم ١٤/٢٦١

التفتوا إلى ما طعن عليه بعضهم وتكلم فيه))[1].

وتُكلم فيه أيضاً بسبب اختلاطه، قال أحمد بن أحمد القَصْري : ((قال لي ابن اللبان الفَرَضي: لا تذهبوا إلى القَطيعي، قد ضعف واختل، وقد منعت ابني من السماع منه))[2]، ويروي عن أبي الحسن محمد بن العباس بن أحمد بن الفرات البغدادي –ت ٣٨٤هـ – أنه قال: ((خلط في آخر عمره، وكف بعده وخرف، حتى كان لا يعرف شيئاً مما يُقرأ عليه))[3]، وقال أبو عمرو بن الصلاح: ((اختل في آخر عمره وخَرِف حتى لا يعرف شيئاً مما يُقرأ عليه)) [4]، ويرى الإمام الذهبي أن تغيره كان قليلاً[5]، وتعقب ابن الصلاح على كلامه السابق فقال : ((هذا القول غلو وإسراف، وقد كان أبو بكر أسند أهل زمانه))[6]، وكلام الذهبي محل تأمل ؛ لأن ابن الصلاح مؤيد بمن سبق، وبذلك أجاب ابن حجر، وذكر أن سماع ابن المُذْهِب منه كان قبل اختلاطه[7].

والذي يترجح أنه ثقة مسند مكثر زاهد تغير بأخرة.

هذا ما يتعلق بحاله، أما عن مروياته فالذي يظهر أنه لم يكن من الأئمة النقاد الذين يعنون بالانتقاء، ويعرفون أحوال الرواة [8]، ولعله ممن يرى براءة الذمة

---

(١) البداية والنهاية ٢٩٣/١١

(٢) كما في تأريخ بغداد ٧٤/٤، وسير أعلام النبلاء ٢١٢/١٦

(٣) كما في تأريخ بغداد ٧٤/٤، حيث يقول الخطيب البغدادي : ((حُدثت عن أبي الحسن ابن الفرات)) وذكره، وهذا منقطع.

(٤) علوم الحديث ٣٩٧

(٥) المصدر السابق.

(٦) كما في الميزان للذهبي ٨٧/١

(٧) لسان الميزان ١٥١/١

(٨) سيأتي (في ص : ١١٨، ١٢٣) أن للقَطِيعي زيادات كثيرة على فضائل الصحابة للإمام =

بمجـــرد الإســـناد، وقد اشتهر ذلك أيضاً عن فريق من متقدمي أهل الحديث ؛ لأنهم يرون أن من أسند أحال إلى مَلِيْء، قال الحافظ ابن حجر: ((أكثر المحدثين في الأعصـــار الماضـــية مـــن سنة مائتين وهلمَّ جرًّا إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعـــتقدوا أنهم برئوا من عهدته))[١]، ويقول الذهبي عنه : ((لم يكن القَطِيعي من فرسان الحديث، ولا مجودا،ً بل أدى ما تحمله إن سَلِم من أوهام في بعض الأسانيد والمتون))[٢].

سادساً : آثاره ومؤلفاته :

يُعتبر القَطِيعي من مكثري الرواية ولا سيما عن عبد الله بن الإمام أحمد – كمـــا تقدم–، وقد سمع من عبد الله بن الإمام أحمد المسند، وذكر ابن نقطة أنه فاتـــه على عبد الله بن أحمد خمسة أوراق من مسند عبد الله بن مسعود، فرواها عنه بالإجازة، وهي من أوله[٣].

وسمـــع منه أيضاً: الزهد، والفضائل، والتأريخ، والمسائل وغير ذلك، قاله الخطيب البغدادي[٤].

ومـــن مـــروياته أيضـــاً كتاب : ((النهي عن اللقب)) لشيخه أبي إسحاق إبراهـــيم الحـــربي[٥]،وحديث أبي عاصم الضحاك بن مَخْلد النبيل لأبي مسلم

=

أحمد، أكثرها موضوعة، وزياداته على مسند الإمام أحمد –على قلتها– واهية الأسانيد.

(١) لسان الميزان ٩٠/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢٤/١٣

(٣) كما في المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر ٤٧٦/١٢٩

(٤) تأريخ بغداد ٧٣/٤

(٥) كما في المعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر ٢٣٩

إبراهيم بن عبد الله الكَجِّي[1].

وأما مؤلفاته فمنها :

أ – الفوائد المنتقاة والأفراد والغرائب الحسان[2]، وتسمى أيضاً القطيعات الخمسة [3]، وخامسها هو جزء الألف دينار [4].

ب – أمالي ذكرها الحافظ ابن حجر [5]، والكتاني[6].

سابعاً : وفاته :

تــوفي القَطِيعي في ذي الحجة سنة ٣٦٨هـــ ببغداد، ودفن في مقابر باب حرب قريباً من قبر الإمام أحمد [7]، رحمة الله عليهما.

---

(١) المصدر السابق ٣١٦/١٣٤٩، ٤١٩/١٠٨٩

(٢) في الظاهرية برقم ٥٢٢ حديث.

(٣) كما في المعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر ١/٤٥٢، ٢/٤٦، ٢٣١، والمجمع المؤسس له أيضاً ١/٤٥٢، والرسالة المستطرفة ٩٣.

(٤) المعجم المفهرس ٢٣٠/٩٩٠، وهو مطبوع بتحقيق : بدر البدر.

(٥) المصدر السابق ٣٤٠/١٤٥٤

(٦) الرسالة المستطرفة ١٦٠

(٧) انظر : تأريخ بغداد ٤/٧٤، والمنتظم، لابن الجوزي ١٤/٢٦١، وشذرات الذهب ٣/٦٥

المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد :

المسند، هو : الكتاب الذي روى مؤلفه فيه أحاديث كل صحابي على حدة، قال الخطيب البغدادي : ((منهم من يختار تخريجها على المسند، وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض))[١].

وقد بدأت عناية أهل العلم بتأليف المسانيد في أوائل عصر تدوين السنة في أواخر القرن الثاني الهجري[٢]، وكانت بداية تأليف الإمام أحمد لمسنده بعد عودته من رحلته إلى الإمام عبدالرزاق الصنعاني في اليمن –ت ٢١١هـ– قاله ابنه عبد الله[٣].

ويشتمل المسند على ثمانية عشر مسنداً قاله أبو المحاسن: محمد بن علي الحسيني–ت ٧٦٥هـ–[٤]، وابن حجر[٥]، وقد ذكر محمد بن جابر الوادي آشي – ت ٧٤٩هـ– أنها ستة عشر[٦]، وهو محمول على أنه أضاف بعضها إلى بعض قاله ابن حجر[٧].

وهذا العدد إنما هو للمسانيد الرئيسة، بحيث يندرج تحت بعضها عدد من المسانيد التفصيلية كمسند : ((بني هاشم)) و((الأنصار))، وأما عدد مسانيده تفصيلاً فهو : (١٠٥٦) مسنداً، بحسب ما أورده الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر – ت ٥٧٩هـ–، في كتابه ((ترتيب أسماء

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/٢٨٤

(٢) انظر : هدي الساري –مقدمة فتح الباري–، للحافظ ابن حجر ٦

(٣) خصائص المسند، لأبي موسى المديني ٢٥

(٤) التذكرة بمعرفة رجال العشرة ١/٣

(٥) المجمع المؤسس ٢/٣٢

(٦) برنامجه ١٩٨.

(٧) المجمع المؤسس ٢/٣٢

الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد حنبل في المسند)) [١].

وعدد أحاديثه ثلاثون ألفاً قاله ابن المُنادى [٢]، وهذا باطراح المكرر وزيادات ابنه عبد الله؛ لأنه معها يصل إلى أربعين ألفاً، قال ابن عساكر : ((يبلغ عدد أحاديثه ثلاثين ألفاً سوى المعاد وغير ما ألحق به ابنه عبد الله من عالي الإسناد)) [٣]، وقال الحسيني : ((وجملة أحاديثه أربعون ألفاً بالمكرر مما رواه عنه ابنه الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله، وفيه من زياداته)) [٤].

وقد توفي الإمام أحمد قبل إتمام تنقيحه، وهذا ما يفسر وجود التكرار والتداخل في مسانيده الرئيسة، فقد قال ابن عساكر : ((خُلط فيه بين أحاديث الشاميين والمدنيين...، بل قد امتزج في بعضه أحاديث الرجال بأحاديث النسوان...، وكثر فيه تكرار الحديث المعاد المروي بعينه بالمتن والإسناد...، ولست أظن ذلك ــ إن شاء الله ــ وقع من جهة أبي عبد الله ــ رحمه الله ــ ، فإن محله في هذا العلم أوفى، ومثل هذا على مثله لا يخفى، وقد نراه توفي قبل تهذيبه... وترتيبه)) [٥]، وقال ابن الجوزي : ((مات قبل تنقيحه وتهذيبه)) [٦]، وقال ابن حجر : ((لم يرتب مسانيد المقلين، فرتبها ولده عبد الله، فوقع منه إغفال كبير من جعل المدني في الشامي ونحو ذلك)) [٧].

والمعروف في المسانيد أنها تُعنى بجمع مرويات الصحابي دون النظر إلى

---

(١) ١٧١

(٢) خصائص المسند ٢٣

(٣) ترتيب أسماء الصحابة ٣٠

(٤) التذكرة ١/٣

(٥) ترتيب أسماء الصحابة ٣٣

(٦) المصعد الأحمد ٣٠

(٧) المعجم المفهرس ١٢٩/٤٧٦

الثبوت وعدمه، ولهذا فهي في المرتبة التالية للمصنفات على الأبواب قاله أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح –ت ٦٤٣هـ –[١]، وغيره، ويحمل كلامه على الأصل ؛ لأن الإمام أحمد انتقى أحاديث مسنده، فقد قال : ((عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه))[٢]، وقال ابن عمه أبو علي حنبل بن إسحاق الشيباني –توفي قبل ٢٧٣ هـ– : ((جمعنا عمي لي ولصالح ولعبد الله، وقرأ علينا المسند، وما سمعه منه –يعني تاماً– غيرنا، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه، وإلا فليس بحجة))[٣]، ويحمل كلام الإمام على اعتبار المؤلفات إلى زمنه، حيث إن تصنيف الإمام البخاري والإمام مسلم للصحيحين بعده، ويحمل أيضاً على أنه يريد أصول الأحاديث في الغالب، فقد قال الذهبي : ((هذا القول على غالب الأمر، وإلا فلنا أحاديث قوية في الصحيحين والسنن والأجزاء ما هي في المسند))[٤]، وقال ابن الجزري : ((يريد أصول الأحاديث وهو صحيح، فإنه ما من حديث غالباً إلا وله أصل في هذا المسند))[٥].

ومما يدل على أنه انتخبه أيضاً تصريح ابنه عبد الله في عدة مواضع من المسند بأنه أعرض عن إخراج حديث فيه لضعفه، ومنه قول عبد الله عند حديث

---

(١) علوم الحديث ٣٨

(٢) خصائص المسند ٢٢

(٣) المصدر نفسه ٢١.

(٤) المصعد الأحمد ٣١

(٥) المصدر نفسه.

رواه عن أبيه : ((هذا الحديث لم يخرجه أبي في مسنده من أجل ناصح[(١)]؛ لأنه ضعيف في الحديث، وأملاه علي في النوادر))[(٢)]، وكان الإمام أحمد يضرب على أحاديث أخرجها في المسند حيث تبين له ضعفها، ومنها حديث عمران بن حصين ﷺ قال : ((ما شبع آل محمد من خبز مأدوم حتى مضى لوجهه))، قال عبد الله : ((كان أبي قد ضرب على هذا الحديث في كتابه ؛ لأنه لم يرض الرجل الذي حدث عنه يزيد)) [(٣)].

وقد نبه عدد من الأئمة إلى انتقاء المسند، يقول أبو موسى المديني : ((هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، أُنتقي من حديث كثير،

(١) هو : ناصح بن عبد الله التميمي المُحَلِّمي الحائك أبو عبد الله، وبالدراسة لحاله يتبين أنه متروك الحديث، فقد قال ابن معين وأبو داود: ((ليس بشيء))، وقال البخاري وأبو حاتم: ((منكر الحديث))، وزاد أبو حاتم: ((ضعيف الحديث))، وقال أبو أحمد الحاكم : ((ذاهب الحديث))،وقال ابن حبان في المجروحين : ((استحق الترك))، وقال الفلاس : ((متروك الحديث))، وضعفه النسائي والترمذي والدارقطني وابن عدي، وذكر أبو حاتم والفلاس وأبو عبد الله الحاكم وابن عدي أنه روى عن سِمَاك عن جابر بن سَمُرَة منكرات، وقال أبو حاتم : ((كأنه لا يعرف غير سِمَاك))، وروايته هذه التي في المسند من هذا الوجه، وقد ذكر ابن عدي أنه من جملة شيعة أهل الكوفة، وقال ابن حجر في فتح الباري : ((ضعيف جداً)).

انظر : تأريخ الدوري ١٢٣٥، ٣٢٩١، والضعفاء الصغير للبخاري ٣٨٤، والتأريخ الكبير ١٢٢/٨، والجرح والتعديل ٥٠٢/٨، وسؤالات الآجُرِّي لأبي داود ٣٨٠، ٨٩٤، وجامع الترمذي ٣٣٧/٤، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٦١٢، والمجروحين لابن حبان ٥٤/٣، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ٥٣٧، والكامل لابن عدي ٢٥١٠/٧، والميزان ٢٤٠/٤، وتهذيب التهذيب ٣٥٨/١٠، وفتح الباري ٢٤٣/١١.

(٢) المسند ٩٦/٥

(٣) خصائص المسند لأبي موسى المديني ٢٦، وذكر نماذج أخرى.

ومســـموعات وافرة، فجعله إماماً ومعتمداً، وعند التنازع ملجأ ومستنداً))[١]، ويقول الذهبي : ((فإنه محتو على أكثر الحديث النبوي، وقلَّ أن يثبت حديث إلا وهو فيه...، وقلَّ أن تجد فيه خبراً ساقطاً))[٢]، ويقول الحافظ ابن حجر : ((لا يشـــك منصف أن مسنده أنقى أحاديث وأتقن رجالاً من غيره[٣]، وهذا يدل على أنه انتخبه))[٤].

وقال الإمام أحمد : ((لم أذكر فيه ما أجمع الناس على تركه))[٥]،وهذا شرط أبي داود قالـــه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي[٦] – ت ٧٩٤هـــ –، وقـــال أيضـــاً : ((أخبرني شيخنا أبوالعباس بن تيمية أنه اعتبر مسند أحمد فوجد أكثره على شرط أبي داود))[٧].

والذي يظهر أن المسند أجود من سنن أبي داود، فقد قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي – ت ٧٢٨هـــ– : ((نزه أحمد مسنده عن أحاديث جماعة يروي عنهم أهل السنن كأبي داود والترمذي، مثل : مشيخة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وإن كـــان أبو داود يروي في سننه منها، فشرط أحمد في مسنده أجود من شرط أبي داود في سننه)) [٨].

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصعد الأحمد ٣٤

(٣) يعني من المسانيد ؛ لأن كلام ابن حجر في المسانيد.

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح ٤٤٧/١

(٥) النكت على كتاب ابن الصلاح للزركشي ٣٥٦/١

(٦) المصدر نفسه.

(٧) النكت على كتاب ابن الصلاح للزركشي ٣٥٦/١

(٨) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٩٥

ومن الجدير بالذكر أن ما تقدم لا يلزم منه عدم وجود الأحاديث الضعيفة بل والقليل من الأحاديث الموضوعة، فقد قال ابنه عبد الله : ((أخرج فيه أحاديث معلولة بعضها ذكر عللها، وسائرها في كتاب العلل لئلا يخرج في الصحيح))[1]، وقد ذكر عدد من العلماء أحاديث موضوعة فيه، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول : ((ليس كل حديث رواه أحمد... في مسنده، يقول إنه صحيح، بل أحاديث مسنده هي التي رواها الناس عمن هو معروف عند الناس بالنقل ولم يظهر كذبه، وقد يكون في بعضها علة تدل على أنه ضعيف بل باطل، لكن غالبها وجمهورها أحاديث جيدة يُحتج بها، وهي أجود من أحاديث سنن أبي داود))[2]، ويقول أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي – ت ٧٧٤هـ – : ((فيه أحاديث ضعيفة بل موضوعة، كأحاديث فضائل مرو، وشهداء عسقلان))[3]، ويقول الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي– ت ٨٠٦هـ– : ((أما وجود الضعيف فيه فهو محقق، بل فيه أحاديث موضوعة وقد جمعتها في جزء، وقد ضعف الإمام أحمد نفسه أحاديث فيه))[4]، ويقول الزركشي: ((في المسند أحاديث سئل عنها فضعفها وأنكرها))[5]، ويقول ابن حجر : ((الحق أن أحاديثه غالبها جياد، والضعاف منها إنما يوردها للمتابعات، وفيه القليل من الضعاف والغرائب والأفراد، أخرجها ثم صار يضرب عليها شيئاً فشيئاً، وبقى منها بعده بقية))[6].

---

(١) الفهرسة لابن خير ١٤٠

(٢) منهاج السنة ٦١/٤

(٣) اختصار علوم الحديث ١١٧/١

(٤) التقييد والإيضاح ٤٢

(٥) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٣٦٢/١

(٦) تعجيل المنفعة ٢٤٠/١

والتحقيق أن الأحاديث الموضوعة على ضربين :

أحدهما : ما استدل على وضعها بكذب أحد رواها، وهذه لم يخرجها الإمام أحمد في مسنده.

الآخر : ما استدل على وضعها وبطلانها بدليل منفصل، وهو الذي يندرج تحته ما ذكر في المسند من الأحاديث الموضوعة، بل يوجد من ذلك في كتب السنن وغيرها، والحجة في هذا التفصيل قول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((تنازع الحافظ أبو العلاء الهمداني والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي : هل في المسند حديث موضوع، فأنكر الحافظ أبو العلاء أن يكون في المسند حديث موضوع، وأثبت ذلك أبو الفرج وبيَّن أن فيه أحاديث قد علم أنها باطلة، ولا منافاة بين القولين فإن الموضوع في اصطلاح أبي الفرج هو الذي قام دليل على أنه باطل... والغالب على ما ذكره في الموضوعات أنه باطل باتفاق العلماء، وأما الحافظ أبو العلاء وأمثاله فإنما يريدون بالموضوع : المختلق المصنوع الذي تعمد صاحبه الكذب))[1]،وقال في موضع آخر : ((من قد يغلط في الحديث ولا يتعمد الكذب... توجد الرواية عنهم في السنن ومسند الإمام أحمد ونحوه، بخلاف من يتعمد الكذب، فإن أحمد لم يرو في مسنده عن أحد من هؤلاء))[2] .

(١) (٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٩٤.

المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة.

المطلب الأول : معناها :

المقصـــود بالـــزيادات[1] هنا : إضافة راوي الكتاب فيه ما ليس منه من مروياته أو مرويات مؤلفه في كتاب آخر، مع تمييزه لها، وتكون من تلميذ مؤلف الكتاب الراوي له، وتكون ممن دونه[2].

وبـــاب زيادات الرواة مما يستدرك على المصنفين في علوم الحديث، وينبني عـــلى الجهـــل به خلط كبير، وله أمثلة متعددة من صنيع رواة المصادر الحديثية المسندة، وهي تختلف عن زيادات الرواة لكتاب واحد، بعضهم على بعض، وعن فن زوائد المصادر الحديثية بعضها على بعض [3].

المطلب الثاني : أنواعها.

المتأمل في زيادات رواة المصادر الحديثية يلحظ أنها على أنواع، منها :

النوع الأول : مـــرويات لهم عن شيوخ آخرين غير مؤلفي هذه المصادر، وتتـــبين عـــند النظر في طرف الإسناد الأدنى، لمن كان له معرفة بطبقات الرواة والشيوخ، وهي الغالب في زياداتهم، ومنها:

---

(١) معنى الزيادة في اللغة واضح، انظر: تهذيب اللغة (٤٨١/٢، مادة : زيد) للجوهري، و(اللسان ١٩٨/٣، مادة: زيد) لابن منظور.

(٢) سيأتي -إن شاء الله – ذكر نماذج توضح هذا التعريف

(٣) قـــد ألف فيها العلماء كتباً مشهورة كمجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي – ت ٨٠٧ هـــ –، وإتحـــاف الخـــيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري – ت ٨٤٠هـــ–، والمطـــالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر – ت ٨٥٢هـــ– وغيرها، وألف في أصوله الدكتور : خلدون الأحدب كتاباً سماه: ((علم زوائد الحديث)) – وهو مطبوع في دار القلم في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـــ – وذكر فيه تعريفه وثمرته والمصنفات فيه.

١– زيادات الحافظ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القزويني القطان – ت ٣٤٥هـ–، في سنن ابن ماجه – ت ٢٧٥هـ–، وهو الراوي عنه السنن.

وهي قليلة، ومنها : قوله : ((حدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي، ثنا علي ابن الجعد، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، مثل حديث علي ﷺ))[١]، يعني حديث : ((إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهْناه وأَهداه وأتقاه)).

وقد أفردها بالتأليف الدكتور الأستاذ مسفر بن غرم الله الدميني في كتاب سماه : ((زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه))[٢].

٢ – زيادات الحافظ أبي علي محمد بن الحسن بن الصواف – ت ٣٥٩هـ–[٣] في مسند الإمام الحميدي – ت ٢١٩هـ–، وهو الذي يروي المسند عن بشر بن موسى الأسدي عن الإمام الحميدي.

وهي قليلة ومنها : قوله : ((ثنا إبراهيم بن عبد الله البصري، ثنا إبراهيم بن بشار الرمادي، ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، قال : أخبرني من سمع علي بن أبي طالب على منبر الكوفة، فذكر معناه))[٤]، يعني حديث خطبة علي لفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ .

٣ – زيادات الحافظ أبي بشر يونس بن حبيب بن عبد القاهر الأصبهاني[٥] في مسند أبي داود الطيالسي – ت ٢٠٤هـ–، وهو الراوي عنه المسند.

---

(١) مقدمة السنن ٩/١

(٢) وهو مطبوع في الرياض سنة ١٤١٢هـ.

(٣) انظر ترجمته في : تأريخ بغداد ٢٨٩/١، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/١٦

(٤) مسند الحميدي ٢٣/١ عقب حديث : ٣٨

(٥) انظر ترجمته في : ذكر أخبار أصفهان ٣٤٥/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٩٦/١٢

ومنها قوله : ((حدثت عن إعرابي قال عن شعبة قال عبد الله : إنما عَلِقها[١] كان رسول الله ﷺ يفعله))[٢].

٤ – زيادات أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب : فضائل الصحابة لأبيه.

وهي كثيرة قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((له كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يرويها في المسند لما فيها من الضعف لكونها لا تصلح أن تروى في المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال، ثم إن هذا الكتاب زاد فيه عبد الله زيادات))[٣].

ومنها قول عبد الله : ((قثنا[٤] أبو عمران محمد بن جعفر الوركاني، قال أنا أبو الأحوص، عن عَبْثر أبي زُبيد، عن محمد بن خالد، عن عطاء، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله))[٥].

٥ – زيادات لأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القَطِيعي على فضائل الصحابة للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله.

وهي كثيرة ومشتملة على أحاديث موضوعة، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ثم إن القطيعي الذي رواه[٦] عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه

(١) كذا هنا، وهو عند الإمام أحمد (١/٤٤٤) بلفظ: ((أنَّى عَلِقَها))، ومعناه : من أين تعلمها وأخذها إلا من السنة، قال ابن الأثير (في النهاية ٣/٢٨٨) : ((أي : من أين تعلمها وممن أخذها))، والمقصود أن ابن مسعود صوبه وأيده بأنها السنة عن النبي ﷺ.

(٢) عقب حديث : ٣٦٤

(٣) منهاج السنة ٤/١٠٦.

(٤) اختصار لقوله : ((قال حدثنا)).

(٥) فضائل الصحابة ١/٥٤/١١

(٦) يعني : كتاب الفضائل.

زيـادات وفيهـا أحـاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة))[١]، ويقول أيضاً : ((كـتاب الفضائل فَيَروي فيه ما سمعه من شيوخه سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً فإنه لم يقصد ألاَّ يروي في ذلك إلا ما ثبت عنده، ثم زاد ابن أحمد زيادات، وزاد أبوبكـر القطيعي زيادات، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة فظن ذلك الجاهل أن تلك من رواية أحمد، وأنه رواها في المسند))[٢].

ومـنها : باب في آخر فضائل علي ﷺ، حيث يقول : ((ومن فضائل علي ﷺ من حديث أبي بكر بن مالك[٣] عن شيوخه غير عبد الله)) ثم قال : ((حدثنا هيثم بن خلف، قثنا محمد بن أبي عمر الدوري، قثنا شاذان، قثنا جعفر بن زياد، عـن مطر عن أنس يعني ابن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي ﷺ من وَصيّه، فقـال له سلمان : يا رسول الله من وصيك ؟، قال : يا سلمان من كان وصي موسـى ؟، قال : يوشع بن نون، قال : فإن وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعودي علي بن أبي طالب))[٤].

٦ – زيادات عبد الله بن الإمام أحمد في مسند والده.

وهي كثيرة يقول الذهبي: ((له زيادات كثيرة في مسند والده))[٥]، وهي على عدة صور منها:

أ – مـرويات للإمام أحمد في غير المسند، قام عبد الله بنقلها إلى المسند مع التنـبيه إليها، وهذا النوع قليل جداً، ومنه قوله : ((حدثني أبي –أملاه علينا في النوادر– قال : كتب إليَّ أبو توبة الربيع بن نافع، قال حدثنا الهيثم بن حميد، عن

(١) منهاج السنة ١٠٦/٤

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هو : القطيعي.

(٤) فضائل الصحابة ١٠٥٢/٦١٥/٢

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٢٤/١٣

زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مُرة، عن تميم الداري قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة))[1].

ب – طرق لأحاديث رواها والده أشبه بالمستخرج، مثل قول الإمام أحمد: ((حدثـــني علي بن عبد الله، حدثنا معتمر بن سليمان....)) الحديث، وقال عبد الله بعـــده : ((وحدثـــني يحـــيى بن معين، قال حدثنا معتمر بن سليمان...))[2] الحديث، وأحياناً يرويه عن شيخ والده مثل قول الإمام أحمد : ((حدثنا عبد الله ابـــن محمد بن أبي شيبة قال : حدثنا جعفر بن عون...)) الحديث، قال عبد الله بعده : ((وسمعته أنا من عبد الله بن أبي شيبة بالكوفة))[3].

جـ – أحاديث من رواية غير الصحابي الذي روى حديثه والده.

ومنها : ما أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((سمعت رسول الله ﷺ يقـــول : إذا قـــلت لصـــاحبك : أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة، فقد لغـــوت))[4]،وروى ابـــنه عبد الله في موضع آخر حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه وفيه: ((ليـــس لـــك من صلاتك اليوم الا ما لغوت، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له وأخبرته بالذي قال أُبي، فقال : صدق أبي))[5].

د – أحـــاديث شـــارك فيها والده وزاد فيها بعض الألفاظ والصحابي واحد، ومـــنها : ما أخرج الإمام أحمد من رواية ربيعة ابنة عياض قالت : ((سمعت جدي عُـــبيدة بن عمرو الكلابي يقول: رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاسبغ الوضوء، قال :

---

(١) المسند ٤/١٠٣/١٧٠٨٣

(٢) ٤/١٩٢/١٧٨٧٩

(٣) ٤/١٤٠/١٧٣٨٤

(٤) ٣/٤٨١/١٦٠٤٦

(٥) ٥/١٤٣/٢١٦٠٦

وكانت ربيعة إذا توضأت أسبغت الوضوء))[١]، ورواه عبد الله من طريق آخر وزاد : ((حتى ترفع الخمار فتمسح على رأسها))[٢].

هـ – أحاديث تامة رواها عبد الله عن شيوخه.

ومنها : حديث قُطْبة بن قتادة ﷺ قال : ((رأيت رسول الله ﷺ يفطر إذا غربت الشمس))[٣][٤].

٧ – زيادات القَطِيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله – السابقة–، وهي قليلة[٥].

<u>النوع الثاني</u> : مرويات لمؤلفي المصادر أنفسهم، غير أنها مأخوذة من كتب أخرى لهم، وهذا النوع قليل، وسبق بيان أن لعبد الله بن الإمام أحمد في المسند زيادات من هذا القبيل.

---

(١) ١٦٠٤٦/٤٨١/٣

(٢) ١٦٨٤١/٧٩/٤

(٣) ١٦٨٣٨/٧٨/٤

(٤) الصور الثلاث الأخيرة عني بها الدكتورعامر حسن صبري فأفردها بكتاب سماه: ((زوائد عبد الله ابن أحمد بن حنبل في المسند))، وعددها عنده : ((٢٣٣)) حديثاً.

(٥) سيأتي تفصيل ما يتعلق بها في المبحث التالي.

المبحث الخامس : التعريف بزيادات القَطِيعي.

أُختلف في وجود زيادات للقَطِيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبدالله، فأثبتها الساعاتي حيث يقول : ((أحاديث المسند تنقسم إلى ستة أقسام.... ، وقسم رواه الحافظ أبو بكر القَطِيعي، عن غير عبد الله وأبيه – رحمهم الله تعالى–، وهو أقل الجميع))[١].

وذكر عبد الحي اللكنوي أنها زيادات كثيرة، ونسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: ((قال ابن تيمية في منهاج السنة :... ثم زاد ابنه عبد الله على مسند أحمد زيادات، وزاد أبو بكر القَطِيعي زيادات، وفي زيادات القَطِيعي أحاديث كثيرة موضوعة[٢]))، وصنيع عبد الحي اللكنوي محل تأمل ؛ لأن كَلام شيخ الإسلام في وصف زوائد القَطِيعي على فضائل الصحابة للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، وتقدم بيانه [٣].

وقد تعقب العلامة الألباني[٤] من يرى كثرتها، إلا أنه نفى وجودها مطلقاً فقال : ((ليس له زيادات في المسند خلافاً لما اشتهر))، ونفيه لها مطلقاً محل تأمل، ولعله ظنها من زيادات عبد الله بن الإمام أحمد، ولا سيما أن الموجود منها في المطبوع[٥] من مسند الإمام أحمد موضع واحد، قد يخفى على المستقرئ للمسند. والحاصل أن للقَطِيعي زيادات على المسند بيدَ أنها قليلة جدّاً، ولهذا يقول

(١) الفتح الرباني ٢١/١

(٢) انظر : الأجوبة الفاضلة لعبد الحي اللكنوي ٩٨، ووافقه محققه الدكتور : عبد الفتاح أبو غدة.

(٣) ص : ١١٨

(٤) صحيح الترغيب والترهيب ١٥١/١

(٥) الطبعة الأولى بمصر في المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ، وهي التي صورتها بعد ذلك دار الفكر، والمكتب الإسلامي في بيروت.

الحافظ ابن حجر : ((فيه شيء يسير من زيادات أبي بكر القَطيعي الراوي عن عبد الله))[(١)]، وبيّنها في عدة مواضع من كتابه : ((إطراف المُسْند المُعتلي بأطراف المسند الحنبلي))[(٢)]، وكتابه : ((إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة))[(٣)]، وقد وقفت على أربعة أحاديث منها، رواها عن شيوخه المعروف بالرواية عنهم[(٤)].

وقد حصل وهم للعلامة الهيثمي فعزى أحدها[(٥)] إلى الإمام أحمد في مسنده، وسبب هذا الوهم عناية الهيثمي في كتابه : ((مجمع الزوائد)) بمتن الحديث وصحابيه، ولهذا ذهل في هذا الموضع عن طرف إسناده الأدنى، ومن ذا يسلم.

ويتبين من خلال دراسة هذه الزيادات أن إسناد الحديث الأول واه، فشيخ القَطيعي فيه رموه بالكذب.

وكذا إسناد الحديث الثاني حيث إن فيه راوياً رموه بالكذب، مع أن في إسناده اضطراب، والحديث الثالث صحيح، وأما الرابع فالذي يظهر أن القَطيعي أخطأ في متنه فقلب المعنى [(٦)].

والخلاصة : أن أسانيد أكثرها واهية مع قلتها، والقَطيعي ليس من الأئمة النقاد الذين لهم الخبرة بأحوال الرواة والأسانيد، وهو مثل المؤلفين في الفضائل والمغازي وغيرهم، ممن يعنون بمجرد نقل الأخبار وأداء ما سمعوا، وفيهم يقول

---

(١) المعجم المفهرس ١٢٩

(٢) منها : ١/٢٧٠/١٥٥

(٣) منها : ١/٣٩٣/٢٨٩

(٤) انظر الفصل الثاني، ص : ١٢٦

(٥) انظر الحديث الثاني هنا، ص : ١٣٣

(٦) انظر، ص : ١٥١

شـــيخ الإسلام ابن تيمية : ((هؤلاء وأمثالهم قصدوا أن يرووا ما سمعوا من غير تمييز بين صحيح ذلك وضعيفة))[١].

(١) منهاج السنة ٤/٨٤

الفصل الثاني :

تخـــــــريج زيـــــــادات القَطِيعـــــــي

الحديث الأول :

قال القَطِيعي : ((حدثنا أبو شعيب : عبد الله بن الحسن بن أحمد الحراني، ثنا أبو جعفر النُفيلي، ثنا كثير بن مروان، عن إبراهيم بن أبي عَبلَة الشامي، عن أنس ﷺ قال : دخل علينا رسول الله ﷺ -يعني المدينة- فلم يكن في أصحابه أَشْمط غير أبي بكر، وكان يُغَلِّفُها بالحناء والكَتَم)).

وذكر ابن حجر أنه من زيادات القَطِيعي[١].

١- دراسة الإسناد :

* أبو شعيب، هو : الأموي البغدادي المؤدب.

سمع من أبيه، وجده، وأحمد بن عبد الملك الحراني، وأبي جعفر النُفيلي، وكان سماعه منه سنة ثماني عشرة ومائتين، ن قاله أبو علي بن الصواف.

وروى عنه المحاملي، ومحمد بن مخلد، وإسماعيل بن علي الخطبي، وغيرهم، ورواية القطيعي عنه مشهورة [٢].

قال عنه صالح بن محمد -جزرة-، والدارقطني، ومسلمة : ((ثقة))، وزاد الدارقطني : ((مأمون)).

وقال موسى بن هارون : ((صدوق...، السماع من أبي شعيب الحراني يفضل على السماع من غيره ؛ فإنه المحدث ابن المحدث)).

---

(١) إطراف المُسْنِد المُعتلي ١/٢٧٥/١٥٥، وإتحاف المهرة ١/٣٩٣/٢٨٩، وبحثت عنه في المطبوع - المصور عن الطبعة الأولى الميمنية بمصر سنة ١٣١٣هـ-، فلم أجده، ولم يجده أيضاً محقق "إطراف المسند"، و"إتحاف المهرة"، كما لم أظفر به -في مظانه- في عدد من النسخ الخطية، منها : نسخة مصورة من المكتبة القادرية ببغداد برقم (٦٦١)، ونسخة دار الكتب المصرية برقم (٤٤٨)، ونسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٤٢٤٦ ف).

(٢) انظر : أحاديثه عنه في جزء الألف دينار من ح ١٠١حتى ح ١٠٦

وذكر نصر الصائغ أنه كان يأخذ الأجرة على التحديث، ولا يقدح هذا في ضبط الراوي.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال : ((كتب عنه أصحابنا، يخطئ ويهم))، وهذا جرح مفسر فيقدم ؛ ولهذا فإن الذهبي قال عنه : ((صدوق)).

والخلاصة أنه : صدوق، ومات سنة ٢٩٥، قاله أبو علي بن الصواف، وصححه الخطيب البغدادي، ومولده سنة ٢٠٦هـ[١].

* وأبو جعفر النُفيلي، هو : عبد الله بن محمد بن علي بن نُفيل القضاعي الحراني.

روى عن : الإمام مالك، وزهير بن معاوية، وعبد الله بن مبارك، وغيرهم.

وروى عنه : أبو داود، والنسائي، وأبو زرعة، ويحيى بن معين، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة حافظ، وثقه وأثنى عليه الإمام أحمد، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، وابن حبان، وغيرهم، وأخرج له البخاري، وأصحاب السنن، ومات سنة ٢٣٤هـ[٢].

* وكثير بن مروان بن محمد بن سُويد الفِهْري المقدسي أبو محمد.

روى عن : إبراهيم بن أبي عَبْلة، وعبد الله بن يزيد الدمشقي، والحسن بن عرفة، وغيرهم.

وروى عنه : محمد بن الصباح، وأبو جعفر النُفيلي، وابنه محمد بن كثير، وغيرهم.

---

(١) انظر : سؤالات السهمي للدارقطني ٣٢٦، والثقات لابن حبان ٣٦٩/٨، وتأريخ بغداد ٤٣٥/٩، والميزان ٤٠٦/٢، واللسان ٣٣٨/٣

(٢) انظر : الجرح والتعديل ١٥٩/٥، وسؤالات أبي داود للإمام أحمد ٣١٨، وسؤالات الآجري لأبي داود ١٤٠، ١٧٨٩، ١٧٩٢، والثقات لابن حبان ٣٥٦/٨، وتهذيب الكمال ٣٥٤٥/١٦، وتهذيب التهذيب ١٥/٦، والتقريب ٣٥٩٤.

قال ابن معين: ((ضعيف))[1]، وقال أيضاً: ((شامي ليس بشيء، كذاب كان ببغداد يحدث بالمنكرات))[2]، وقال أيضاً : ((رأيته وكان كذاباً))[3]، وقال محمود ابن غيلان : ((أسقطه أحمد وابن معين وأبو خيثمة))[3]، وقال الآجري : ((سألت أبا داود عن كثير بن مروان، قال : شامي، بلغني عن يحيى أنه ضعفه))[4]، وقال يعقوب بن سفيان : ((شامي ليس حديثه شيئاً))[5]، وقال النسائي : ((ليس بشيء))[6]، وقال أبو حاتم : ((يكتب حديثه ولا يحتج به))[7]،

وذكره العقيلي[8] والدارقطني[9]، وابن شاهين[10]، وابن الجوزي[11] في الضعفاء، وقال ابن حبان في المجروحين : ((منكر الحديث جدّاً، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا وجه التعجب))[12].

والذي يظهر أنه : كذاب يحدث بالمنكرات ؛ لما تقدم من كلام الإمام ابن معين، حيث رآه وسبر مروياته وتبين له كذبه.

(١) تأريخ الدوري ٤٩٩٧، ٥١١٤

(٢) تأريخ بغداد ٤٨١/١٢

(٣) لسان الميزان ٥٧١/٤، وتعجيل المنفعة ١٤٧/٢

(٤) سؤالاته ١٦٣١

(٥) المعرفة والتأريخ ٤٥٠/٢

(٦) تعجيل المنفعة ١٤٧/٢

(٧) الجرح والتعديل ١٥٧/٧

(٨) الضعفاء الكبير ٧/٤

(٩) الضعفاء والمتروكين ٤٤٧

(١٠) تأريخ أسماء الضعفاء والكذابين ٥٢٩

(١١) الضعفاء والمتروكين ٢٧٩٣

(١٢) ٢٢٥/٢

* وإبراهيم بن أبي عَبْلة الشامي، واسم أبي عَبْلَة: شِمْر بن يقظان بن عبد الله الفلسطيني الرملي.

روى عن : واثلة بن الأسقع[١] ﷺ، وأم الدرداء ــ رضي الله عنها[٢]ــ، وغيرهما.

وروى عنه : مالك، والليث، وابن المبارك، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه ابن معين، ودُحيم، والنسائي، ويعقوب بن سفيان، وأبو حاتم، والدارقطني، وغيرهم، وأخرج له البخاري، ومسلم، وأبوداود، والنسائي، وابن ماجه، ومات سنة ١٥٢هـ[٣].

٢ – الحكم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناد واهٍ، وسيأتي أنه معل بالنكارة، وأما متنه فثبت من طرق أخرى.

٣ – تخريجه وبيان اختلاف الرواة فيه على وجهين :

الوجه الأول : من رواه عن إبراهيم بن أبي عَبْلَة، عن أنس بن مالك ﷺ، وهو :

* كثير بن مروان في هذه الرواية التي أخرجها القَطِيعي.

الوجه الثاني: من رواه عن إبراهيم بن أبي عَبْلَة، عن عُقبة بن وَسَّاج، عن أنس ﷺ، وهما :

أ – محمد بن حِمْير :

(١) قاله ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/١٠٥/٢٩٧

(٢) قاله ابن معين (تأريخ الدوري ٥١٨٣، ٥٣٣٥).

(٣) انظر : سؤالات ابن الجنيد لابن معين ٧٠، والجرح والتعديل ١٠٥/٢، وتهذيب الكمال ٥٩/١ وتهذيب التهذيب ١٢٤/١، والتقريب ٢١٣

أخـــرجه الـــبخاري[1]، وابن سعد[2]، وأبو نُعيم[3] من طريق محمد، عن إبراهيم به بنحوه.

ب – وأبو عُبيد المَذْحجي مولى سليمان بن عبد الملك :

عـــلّقه البخاري بالجزم[4] ووصله الإسماعيلي[5]، وابن حبان[6] من طريق الأوزاعي عنه به بنحوه وبلفظ : ((فكان أسنَّ أصحابه)) وزيادة في آخره.

* النظر في أحوال الرواة *

* كثير بن مروان، تقدم عند دراسة الإسناد.

* ومحمد بن حِمْير، هو : السَّليحي الحمصي.

روى عن : إبراهيم بن أبي عَبْلَة، ومحمد بن زياد، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم.

وروى عنه: سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ونُعيم بن حماد، وهشام بن عبد الملك، وغيرهم.

قـــال ابـــن معين[7]، ((ودُحيم ثقة))[8]، وذكره ابن حبان في الثقات[9]، وأخرج له البخاري، وأبوداود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه.

---

(١) في (٦٣ كـــتاب مـــناقب الأنصار، ٤٥ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٢٥٦/٧/ ٣٩١٩).

(٢) الطبقات ١٩١/٣

(٣) حلية الأولياء ٢٤٨/٥

(٤) في (٦٣ كـــتاب مـــناقب الأنصار، ٤٥ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٢٥٦/٧/ ٣٩١٩).

(٥) كما في تغليق التعليق لابن حجر ٩٧/٤

(٦) كما في الإحسان ٥٤٦٩/٢٨٣/١٢

(٧) تأريخ الدارمي ٧٥٩

(٨) تهذيب التهذيب ١١٨/٩

(٩) ٤٤١/٧

وقال الإمام أحمد : ((ما علمت إلا خيراً))[١]، وقال ابن معين[٢]، والنسائي[٣]، والدارقطني[٤]: ((لا بأس به)).

وقال أبو حاتم: ((يكتب حديثه ولا يحتج به))[٥]، وقال يعقوب بن سفيان : ((ليس بالقوي))[٦]، ولهذا أورده ابن الجوزي في الضعفاء والكذابين[٧]، وقال الذهبي : ((له غرائب وأفراد))[٨].

وأبو حاتم متشدد، ويعقوب قد خالفه الجمهور، وتفسير الذهبي لا يحطه إلى مرتبة الضعيف، ولهذا فإن ابن حجر قال عنه : ((صدوق))[٩].

والخلاصة أنه : لا بأس به، وله غرائب وأفراد.

* وأبو عُبيد المَذْحجي مولى سليمان بن عبد الملك، قيل اسمه حَي أو حُيَي.

روى عن : أنس، وعمر بن عبد العزيز، وعقبة بن وَسَّاج، وغيرهم.

وروى عنه : الأوزاعي، ومالك، وسهيل بن أبي صالح، وغيرهم.

وبالداسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه أحمد، وأبوزرعة، ويعقوب بن سفيان، وعلي المديني، وغيرهم، وأخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم، وأبوداود،

(١) العلل لعبد الله ٤١٢٩

(٢) معرفة الرجال لابن محرز ٣٣٧/٩١/١

(٣) تهذيب التهذيب ١١٨/٩

(٤) سؤالات البرقاني ٤٢٦

(٥) الجرح والتعديل ١٣١٥/٧

(٦) المعرفة والتأريخ ٣٠٩/٢

(٧) ٥٥/٣

(٨) الميزان ٥٣٢/٣

(٩) التقريب ٥٨٣٧

والنسائي، ومات سنة فيه بعد المئة [1].

* النظر في اختلاف الرواة *

ممـــا سبق يتبين أن رواية كثير: منكرة لمخالفته رواية الثقات، وقال ابن حجرعن روايتهم: ((وهو الصواب)) [2].

٤ – الحكم العام على الحديث :

مما تقدم يتبين أن متن الحديث قد صح من طرق أخرى.

٥ – شرح غريبه :

* قوله : ((أَشْمَط))،الشَمْط : الشيب قاله ابن الأثير [3]، والمقصود بيان أنه أكبرهم سنّاً، وقد جاء في رواية البخار ي المتقدمة بلفظ : ((أسنّ))، وهذا يدل أيضاً على أن البقية كانوا شباباً.

* وقوله : ((الكَتَم)) هو : بفتح الكاف والمثناة الخفيفة : ورق يخضب به، ينبت في الصخور فيتدلى خيطاناً لطافاً [4].

---

(١) انظـــر : العلل لعبد الله ١٨٥١، والجرح والتعديل ٢٧٥/٣، والمعرفة والتأريخ ٤٧٢/٢، وتهذيب الكمال ٧٤٧١/٣٤، وتهذيب التهذيب ١٧٦/١٢، والتقريب ٨٢٢٧

(٢) إطراف المُسْنِد المُعتلي ١٥٥/٢٧٠/١

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥٠١/٢

(٤) انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي ١٦٩٧/٣، والنهاية لابن الأثير ١٥٠/٤، وفتح الباري ٢٥٨/٧

الحديث الثاني :

قـــال القَطِيعي : ((حدثنا محمد بن يونس، ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة، ثنا إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن محمد، عن رجل من أهل البصرة، عـــن أبي برزة الأسلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ليس من البر الصيام في السفر)).

وذكر ابن حجر أنه من زيادات القَطِيعي[١]، وعزاه الهيثمي[٢] للإمام أحمد، وهو وهم منه؛ لأن محمد بن يونس من شيوخ القَطِيعي ـــ كما سيأتي ـــ .

١ – دراسة الإسناد :

* شـــيخ القَطِيعي، هو : محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكُدَيْمي القرشي السامي –بالمهملة– البصري أبو العباس.

روى عن : روح بن عبادة، وأبي داود الطيالسي، وسعيد بن عامر، وغيرهم.

وروى عنه : ابن أبي الدنيا، والمحاملي، والقَطِيعي، وغيرهم.

وبالدراســـة لحاله يتبين أنه : كذاب يضع الحديث، فقد كذبه محمد بن هارون[٣]، وأبو داود[٤]، وعبد الله بن الإمام أحمـــد[٥]، والحافظ القاســـم بن زكريا المُطَرِّز[٦]،

---

(١) إطـــراف المُسْنِد المُعتلي ٦/٧٤/٧٧٨١، وبحثت عنه في المطبوع من المسند فلم أظفر به، وكذا لم يظفر به محقق "إطراف المُسند المعتلي"، و لم أجده أيضاً في عدد من النسخ الخطية المذكورة في ص ١٢٦

(٢) مجمع الزوائد ٣/١٦١ وقال : ((فيه رجل لم يسم)).

(٣) الكامل لابن عدي ٦/٢٢٩٥

(٤) سؤالات الآجري ١٨٥٦

(٥) كما في سؤالات السهمي ٤٠٤

(٦) الضعفاء والمتروكين للدارقطني ٤٨٧

وابن حبان[١]، وابن عدي[٢].

وقال ابن أبي حاتم : ((سمعت أبي وعرض عليه شيء من حديثه فقال : ليس هذا حديث أهل الصدق))[٣]، وقال ابن عدي : ((كان ابن صاعد وعبد الله بن محمد لا يمتنعان من الرواية عن كل ضعيف... إلا عن الكُدَيمي فإنهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره، ولو ذكرت كلَّ ما أنكر عليه وإدعائه ووضعه لطال ذلك))[٤]، وقال أبو أحمد الحاكم: ((ذاهب الحديث، تركه ابن صاعد وابن عقدة، وسمع منه ابن خزيمة ولم يحدث عنه، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمة الحديث))[٥]، وقال الدارقطني: ((يتهم بوضع الحديث))[٦]، وقال الذهبي: ((هالك))[٧]، وقال أيضاً: ((أحد المتروكين))[٨]، وقال حين أورد بعض مناكيره: ((ومن افترى هذا على أبي نُعيم !؟))[٨]، قال ابن حجر : ((يعني أنه من أكذب الناس)) [٩].

فإن قيل : إن الإمام أحمد أثنى عليه حيث يقول : ((كان حسن المعرفة، حسن الحديث ما وجد عليه إلا صحبته سليمان الشاذكوني))[١٠]، فيجاب عليه

(١) المجروحين ٢/٣١٣

(٢) الكامل لابن عدي ٦/٢٢٩٥

(٣) الجرح والتعديل ٨/١٢٢

(٤) الكامل ٦/٢٢٩٤

(٥) تهذيب التهذيب ٩/٤٧٨

(٦) سؤالات السهمي ٧٤

(٧) المغني ٢/٦٤٦

(٨) الميزان ٤/٧٤

(٩) تهذيب التهذيب ٩/٤٧٨

(١٠) كما في تأريخ بغداد ٣/٤٣٩

بأنه لم يتبين حاله إلا بعد وفاة الإمام أحمد، حيث كانت في سنة ٢٤١هـ، وتوفي الكُديمي سنة ٢٨٦هـ، ولهذا يقول الدارقطني : ((ما أحسن القول فيه إلا من لم يخبر حاله))[١].

هذا وقال ابن حجر في التقريب: ((ضعيف))[٢]، وحكمه محل تأمل، وتقدم ما يخالفه، وابن حجر نفسه قال عنه في هدي الساري – مقدمة فتح الباري– : ((واهٍ))[٣].

* ومحمد بن خالد بن عَثْمة، هو : الحنفي البصري، وعَثْمة : أمه، قاله أبو داود[٤]، وابن أبي حاتم[٥].

روى عن : إبراهيم بن إسماعيل، ومالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وغيرهم.

وروى عنه : بُنْدار، وعلي المديني، والكُدَيمي، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه: لا بأس به، فقد قال عنه الإمام أحمد: ((ما أرى بحديثه بأس))[٦]، وقال أبو زرعة : ((لا بأس به))[٧]، وقال أبو حاتم : ((صالح الحديث))[٧]، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : ((ربما أخطأ))[٨]، وأخرج له أصحاب السنن[٩].

---

(١) كما في تهذيب التهذيب ٤٧٨/٩

(٢) ٦٤١٩

(٣) ٤٦٠

(٤) سؤالات الآجري ١٣٢٧

(٥) الجرح والتعديل ٢٤٣/٧

(٦) العلل لعبد الله ٤٥٥/٣

(٧) الجرح والتعديل ٢٤٣/٧

(٨) ٦٧/٥٥/٩

(٩) انظر : تهذيب الكمال ٥١٧٩/٢٥، وتهذيب التهذيب ١٢٥/٩، والتقريب ٥٨٤٧

* وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني ثم البغدادي أبو إسحاق.

روى عن : أبيه، والزهري، وشعبة، وغيرهم.

وروى عنه : الليث، وأبو داود الطيالسي، وابناه يعقوب وسعد، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة حجة، وثقه الإمام أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، والعجلي وغيرهم، وأثنى عليه ابن معين أيضاً، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ١٨٥هـ [(١)].

* وعبد الله بن عامر، هو : الأسلمي المدني أبو عامر.

روى عن : أبي الزناد، ومحمد بن المنكدر، وسُهيل بن أبي صالح، وغيرهم.

وروى عنه : يزيد بن حبيب، والأوزاعي، وسليمان بن بلال، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ضعيف يقلب الأسانيد والمتون ويرفع المراسيل والموقوف، وضعفه : ابن سعد، وابن معين، وأحمد، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، وأبو أحمد الحاكم، وزاد ابن معين : ((ليس بشيء))، وزاد أبو حاتم : ((ليس بمتروك))، وأخرج له ابن ماجه.

وقال الإمام البخاري : ((يتكلمون في حفظه))، وقال أيضاً : ((ذاهب الحديث))، وقال ابن حبان في المجروحين : ((يقلب الأسانيد والمتون، ويرفع المراسيل والموقوف))، وقال ابن عدي : ((لا يتابع في بعض هذه الأخبار... وهو ممن يكتب حديثه))، وقال ابن حجر : ((ضعيف))[(٢)].

---

(١) انظر : تأريخ الدارمي ٧، وطبقات ابن سعد ٣٢٢/٧، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٢٨٢، ٢٤٧٥، ٣٤٢٢، والجرح والتعديل ١٠١/٢، وترتيب ثقات العجلي ٢٣، وتأريخ بغداد ٨١/٦، وتهذيب التهذيب ١٠٥/١، والتقريب ١٧٧

(٢) انظر : التأريخ الكبير ١٥٦/٥، والأوسط ١٣٨/٢، وطبقات ابن سعد -القسم المتمم- ٤١٠/ ٣٤٥، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٦١، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٥٦٤٢، والجرح والتعديل ١٢٣/٥، والمجروحين لابن حبان ٦/٢، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٤، والكامل =

* ومحمد : كذا قال عبد الله بن عامر هنا، وسيأتي[(١)] أنه قال مرة أخرى : ((عـــن رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزة...))، وقال أيضاً : ((عن محمد بن آل أبي بَــرْزة، عن أبي بَرْزة))، وهذا كله اضطراب منه، وقد أورد الإمام البخاري محمد هذا في باب أفناء الناس من المحمدين [(٢)]، وهم غير المنسوبين، وقال : ((لم يصح حديثه)).

والخلاصة أنه : مجهول العين.

* ورجـــل مـــن أهل البصرة : تقدم في السابق ما يدل على أنه محمد، ولم يضبط عبد الله بن عامر هذا الإسناد.

* وأبو بَرْزة، هو : نَضْلة بن عبيد الأسلمي الصحابي ﷺ.

٢ – الحكـــم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناد واه، وتقدم أن البخاري ذكر عدم صحته، وقال الدارقطني في العلل : ((غير ثابت))[(٣)]، وحكمهما على هذا الإسناد، وأما متنه فصح من حديث جابر ﷺ كما سيأتي.

=

لابن عدي ١٤٧٠/٤،وتهذيب الكـــمال ١٧٥/٤، وتهذيب التـــهذيب ٢٤١/٥، والتقـــريب ص ٣٤٠٦ .

تنـــبيه : رمز له في الميزان (٤٣٩٤/٤٤٨/٢) برمز : ابن ماجه والترمذي، والذي يظهر أن ذكر الـــترمذي، وهم، بدليل ما في المغني (٣٢٣٦/٤٣٤/١)، والكاشف (٢٨٢٦/١٠٠/٢)، حيث ذكـــر رمـــز ابـــن ماجه وحده، وهو الذي يوافق ما في تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب وكذا الـــتقريب، ســـواء بتحقيق محمد عوامة ٣٤٠٦، أم بتحقيق أبي الأشبال صغير أحمد ٣٤٢٨، أم بتحقيق وتحرير بشار عواد، وشعيب الأرنؤوط ٣٤٠٦، وقد ذكروا جميعاً أنهم اعتمدوا نسخة بخط ابن حجر.

(١) ص : ١٣٨

(٢) التأريخ الكبير ٢٦٩/١

(٣) ٣٠٨/٣

٣ – تخريجه وبيان اختلاف رواية عبد الله بن عامر له على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : رواه عن : محمد، عن رجل من أهل البصرة، عن أبي بَرْزة ﷺ.

وهي رواية القَطِيعي هنا عن الكُدَيمي، عن محمد بن خالد بن عَثْمة، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله به.

الوجه الثاني : رواه عن : رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزة ﷺ.

أخرجه الإمام البخاري في التأريخ الكبير[١]، وأعرض عن أدائه بصيغة التحديث حيث قال : ((قال لي : محمد بن أبي سمينة حدثنا محمد بن عَثْمة، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزة))[٢] الحديث، والذي يظهر أن الإمام صنع ذلك لوهن هذا الإسناد، ولهذا قال بعده : ((ولم يصح حديثه))[٢].

وأخرجه البزار عن محمد بن معمر، عن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن محمد بن آل أبي بَرْزة، عن أبي بَرْزة ﷺ [٢].

الوجه الثالث : رواه عن : خاله عبد الرحمن بن حَرْمَلة، عن محمد بن المنكدر، عن أبي بَرْزة الأسلمي ﷺ.

أخرجه الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي، عن معمر بن بكار السعدي، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر به، وقال الطبراني : ((لم يرو هذا الحديث عن عبدالرحمن بن حَرْمَلة إلا عبد الله بن عامر، ولا عن عبد الله ابن عامر إلا إبراهيم بن سعد، تفرد به معمر بن بكار، ولا يُروى عن أبي بَرْزة إلا بهذا الإسناد))[٣]، ويَرِد على الطبراني ما تقدم.

---

(١) ٢٦٩/١

(٢) البحر الزخار ٣٨٥٨/٣٠٢/٩

(٣) المعجم الأوسط ٥٥٩٧/٣٧٣/٥

* النظر في الاختلاف السابق *

مما سبق يتبين أن عبد الله بن عامر اضطرب في إسناده اضطراباً شديداً، كما أنه قلب إسناده إذ الحديث مشهور برواية جابر بن عبد الله ﷺ – كما سيأتي – ، وابن عامر معروف بالضعف وقلب الأسانيد كما تقدم[١]، ويؤكد ذلك أن المحفوظ عن عبد الرحمن بن حَرْملة في هذا الباب مرسل سعيد بن المُسيِّب بلفظ آخر، وهو ما أخرجه عبد الرزاق عن ابن عيينة، عن عبدالرحمن ابن حَرْمَلة، عن ابن المُسيِّب قال : ((كنت عنده فأتاه قوم من أهل الجزيرة فقالوا: يا أبا محمد[٢] إنا نسافر في المحامل وإنا نُكفى، أفنصوم؟،قال : لا، قالوا : إنا نقوى على ذلك، قال : رسول الله كان أقوى وخيراً منكم، قال : خياركم الذين إذا سافروا قصروا الصلاة، ولم يصوموا))[٣]، وبذلك يتبين أنه قلب الأسانيد والمتون.

هذا ولا يتابعه على روايته عن محمد بن المنكدر إلا من هو أدنى منه، حيث أخرج البخاري في تأريخه[٤]، وابن عدي[٥] من طريق خالد العبد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر ﷺ مرفوعاً: ((خياركم من قصر الصلاة في السفر، وأفطر)).

* وخالد العَبْد، هو : ابن عبد الله البصري.

روى عن : الحسن البصري، وابن المنكدر.

وروى عنه : سَلْم بن قتيبة، وإسرائيل، وغيرهما.

---

(١) ص : ١٣٦

(٢) هو : ابن المُسيِّب.

(٣) المصنف ٢/٥٦٦/٤٤٨٠

(٤) ٣/١٦٥

(٥) الكامل ٣/٨٩٥

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : كذاب قدري، رماه عمرو بن علي بالوضع[1]، وروى البخاري بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الوارث أنه قال : ((سمعت خالداً العبد ـــ وهو ضعيف ـــ يقول: قال الحسن: صليت خلف ثمانية وعشرين بدرياً كلهم يقنت بعد الركوع، فقلت: من حدثك؟، قال: حدثنا ميمون المَرَائي، فلقيت ميموناً فسألته، فقال : قال الحسن مثله، قلت من حدثك ؟!، قال : خالد العَبْد))[2]، قال البخاري : ((ما أعلم لميمون إلا حديثين))، وهذه الحكاية دليل على أن خالداً كان يكذب، وروى البخاري أيضاً بإسناده إلى سَلْم بن قتيبة أنه قال : ((أتيت خالداً العبد، فإذا معه درج فيه : حدثنا الحسن، حدثنا الحسن، فانفلت الدرج من يده، فإذا في أوله هشام بن حسان قد محاه، قلت ما هذا ؟، قال : هذا كتبت أنا هشام بن حسان عن الحسن، قلت : تكون مع هشام، وتكتب فيه هشام ؟!، قال : ما أعرفني بك ألست خرجت مع إبراهيم))[3]، قال البخاري : ((إبراهيم هذا كان إنساناً علوياً خرج))[4][5]، وصنيع خالد السابق يدل على أنه كان يسرق الأسانيد ويغيرها، وقد أورد البخاري في ترجمة حديث ((خيارکم)) – حديث الباب–، وقال بعده : ((منكر الحديث))[6]،

---

(١) التأريخ الأوسط ٤٣/٢

(٢) التأريخ الكبير ١٦٥/٣، والأوسط ٩٨/٢، ٩٩

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التأريخ الكبير ١٦٥/٣، والأوسط ٩٨/٢، ٩٩

(٥) إبراهيم هو : ابن عبد الله بن الحسن العلوي، خرج على بني عباس، والمقصود أن خالداً أراد تخويف سَلْم بأنه إن أظهر حاله وشى به، انظر تعليقات العلامة المعلمي على التأريخ الكبير ١٦٦/٣

(٦) في التأريخ الكبير ١٦٥/٣

وكذبه الدارقطني[١]، وقال في الضعفاء والمتروكين : ((متروك))[٢] ، وقال ابن حبان في المجروحين : ((كان يسرق الحديث، ويحدث من كتب الناس من غير سماع))[٣]، وقال ابن عدي : ((قدري... ليس له من الحديث إلا مقدار عشرة وأقل... وأحاديثه... مناكير))[٤]، وقال الذهبي : ((قدري واه تركوه))[٥].

وقد أورد الدارقطني في العلل رواية عبد الله بن عامر، عن عبد الرحمن بن حَرْمَلة، عن ابن المنكدر، عن أبي بَرْزة، ورواية خالد العَبْد، عن ابن المنكدر، عن جابر، وقال : ((كلاهما غير ثابت))[٦]، يعني بهذا الإسناد.

٤ – الحكم العام : متن الحديث قد صح من حديث جابر بن عبد الله ﷺ حيث أخرجه الإمام أحمد[٧]، والبخاري[٨]، ومسلم[٩]، وأبو داود[١٠]، والنسائي[١١]، وغيرهم من طريق شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن جابر به بمثله وقصة في متنه.

---

(١) كذا في الميزان ٦٣٣/١، وفي لسان الميزان ٤٨٠/٢، ولم أجده في سؤالات البرقاني، والسهمي، والسلمي، والحاكم، وابن بكير للدارقطني، والسنن والعلل له أيضاً.

(٢) ١٩٨/١٩٨

(٣) ٢٨٠/١

(٤) الكامل ٨٩٥/٣

(٥) المغني في الضعفاء ٢٠٣/١

(٦) ١١٥٨/٣٠٨/٦

(٧) ٣١٩/٣، ٣٩٩

(٨) في (٣٠ كتاب الصوم، ٣ باب قول النبي ﷺ لمن ظَلل عليه واشتد الحر : ليس من البر الصيام في السفر، ١٩٤٦).

(٩) في (١٣ كتاب الصيام، ١٥ باب جواز الصوم والفطر للمسافر، ٢٦١٢).

(١٠) في (١٤ كتاب الصيام، ٤٣ باب اختيار الفطر، ٢٤٠٧).

(١١) في (٢٢ كتاب الصوم، ٤٩ باب، ٢٢٦٤).

الحديث الثالث :

قال القَطِيعي : ((حدثنا الفضل بن الحُبَاب، حدثنا القَعْنَبي، حدثنا شعبة، حدثنا منصور، عن رِبْعي، عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ قال : ((إِنَّ مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت))[1].

وذكر ابن حجر أنه من زوائد القَطِيعي [2].

١ – دراسة الإسناد :

* شيخ القَطِيعي، هو : الفضل بن الحُبَاب بن محمد بن شُعيب بن عبدالرحمن الجُمَحي البصري، والحُبَاب لقب أبيه، واسمه : عمرو، قاله ابن حبان[3].

روى عن : القَعْنَبي، وأبي الوليد الطيالسي، ومُسَدَّد، وعلي المديني، وغيرهم.

وروى عنه: أبو عَوانة، وابن حبان في صحيحيهما، والطبراني، والإسماعيلي، وغيرهم.

ذكره ابن حبان في الثقات[3]، وقال مسلمة بن القاسم: ((كان ثقة مشهوراً كثير الحديث))[4]، وقال الخليلي : ((احترقت كتبه، منهم من وثقه، ومنهم من تكلم فيه، وهو إلى التوثيق أقرب، والمتأخرون أخرجوه في الصحيح))[5]، وقال ابن حجر : ((روى عنه ابن عبد البر في الاستذكار[6] من

(١) المسند ٢٢٧٠٢/٢٧٣/٥

(٢) إطراف المُسْنِد المُعتلي ٨٨٢٣/٧٨/٧، وإتحاف المهرة ٢٦٨/١١

(٣) ٨/٩

(٤) كما في لسان الميزان ٥١٣/٤

(٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٢٣٣/٥٢٦/٢

(٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ١٤٢٩٤/١٠

طريقه حديثاً منكراً جداً ما أدري مَنِ الآفة فيه... [١] ، فلعل ابن الأحمر سمعه منه[٢] بعد احتراق كتبه))[٣]، وذكر الدارقطني في الغرائب له حديثاً وقال : ((تفرد به أبو خليفة))[٣]، وقال ابن حجر : ((أخطأ في سنده))[٣].

ولم يصرح الخليلي باختلاطه بعد احتراق كتبه، وما ذكره ابن حجر– مع أنه احتمال– لا يفيد الاختلاط، بل هو عند التأمل دليل على الضبط؛ لأن من كان مكثراً واحترقت كتبه، ولم يخطئ إلا في حديثين، فهو بالإتقان والثقة والحفظ أولى، وقد أغرب عدد من الحفاظ المتقنين المكثرين في أحاديث مع جلالتهم وتوفر كتبهم، ولم يحطهم ذلك عن مرتبتهم، ولهذا فإن الذهبي قال عنه: ((مسند عصره بالبصرة... كان ثقة عالماً ما علمت فيه ليناً))[٤]، وقال أيضاً : ((ولد سنة ست ومئتين، وعُني بهذا الشأن وهو مراهق، فسمع سنة عشرين ومئتين، ولقي الأعلام، وكتب علماً جماً.وكان ثقة صادقاً مأموناً))[٥].

والذي يظهر أنهم تكلموا فيه من أجل مسألة الوقف في القرآن، حيث قال مسلمة بن القاسم : ((كان يقول بالوقف وهو الذي نُقم عليه))[٦]، وذكر السهمي أنه لما حضرته الوفاة قال : ((قد جعلت كل من تكلم فيَّ في حِل إلا من قال إني أُقف في القرآن، أقول : القرآن كلام الله غير مخلوق))[٧]، وقال أبو علي النَّيْسَابُوري الحافظ : ((دخلت أنا وأبو عَوَانة البصرة، فقيل : إن أبا خليفة

(١) لسان الميزان ٤/٥١٣

(٢) لسان الميزان ٤/٥١٣

(٣) لسان الميزان ٤/٥١٣

(٤) الميزان ٣/٣٥٠

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤/٧

(٦) لسان الميزان ٤/٥١٣

(٧) سؤالات السهمي للدارقطني ٣٥٢

قد هُجر، ويُدَّعى عليه أنه قال : القرآن مخلوق، فقال لي أبو عَوَانة : يا بني لا بد أن ندخل عليه، قال: فقال له أبو عَوَانة: ما تقول في القرآن؟، فاحمر وجهه وسكت، ثم قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلا الكذب، فإني لم أكذب قط، أستغفر الله، قال : فقام أبو علي فقبل رأسه، ثم قام أبو عوَانة إلى أبي خليفة فقبل كتفه))[١].

والخلاصة أنه : ثقة احترقت كتبه فربما أغرب، ومات سنة ٣٠٥هـ.

* والْقَعْنَبي هو: عبد الله بن مَسلمة بن قَعْنَب الحارثي المدني البصري أبو عبدالرحمن.

روى عن : مالك، وشعبة، والليث، وغيرهم.

وروى عنه : البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم.

وثقه العجلي وابن قانع، وأثنى عليه مالك، وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وابن المديني، وغيرهم، وأخرج له الجماعة إلا ابن ماجه[٢].

وقال ابن حجر: ((ثقة عابد))[٣]، وكلامه محل تأمل، فمرتبته أعلى من ذلك، فقد قال ابن معين: ((ثقة مأمون لا يسأل عنه، لو ضاع كتابه ثم أخذه ممن سمع معه في المثل، كان جائزاً، هو رجل صدق))[٤]،وقال أبو حاتم – على تشدده– : ((ثقة حجة))[٥]، وقال أبو زرعة : ((ما كتبت أجل في عيني منه))[٦]، وذكر يعقوب بن سفيان أنه ثقة ثم قال : ((حجة))[٧]، وذكره ابن

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/١٠

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٢٩١/٣، وسؤالات الدقاق لابن معين ٣٧٣، وترتيب ثقات العجلي ٧٥٦، وتهذيب التهذيب ٢٩/٦

(٣) التقريب ٣٦٢٠

(٤) معرفة الرجال لابن محرز ٤٤٥/١

(٥) الجرح والتعديل ١٨١/٥

(٦) الموضع السابق.

(٧) المعرفة والتأريخ٣٤٧/١

حـبان في الـثقات وقال : ((كان من المتقنين في الحديث))[1]، ولهذا قال عنه الذهـبي : ((أحـد الأعـلام))[2]، وقال أيضاً : ((الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام))[3].

والخلاصة أنه : ثقة حجة عابد، ومات سنة ٢٢١هـ.

* وشـعبة هـو : ابن الحجاج العَتَكي مولاهم، الواسطي ثم البصري أبو بِسطام، الثقة الحافظ المتقن أمير المؤمنين في الحديث[4].

* ومنصور هو : ابن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي أبو عَتَّاب.

روى عن : زيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، ورِبْعي بن حِراش، وغيرهم.

روى عنه : الأعمش، وسليمان التيمي، والثوري، وشعبة، وغيرهم.

وهـو : ثقة ثبت، وثقه وأثنى عليه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وعلي بن المديـني، والعجـلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة١٣٢هـ[5].

---

(١) ٣٥٣/٨

(٢) الكاشف ١٣١/٢

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٠

(٤) انظـر ترجمـته في : طـبقات ابن سعد ٩٣/٩، الجرح والتعديل ١٢٦/١، ١٦٠٩/٤، والـثقات ٤٤٦/٦، وتهذيـب الكمال ٥٨١/٢، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/٤، والتقريب ٢٧٩٠

(٥) انظر : طبقات ابن سعد ٥٠٠/٥، وتأريخ الدوري ٤١١٢، وسؤالات ابن محرز ٦٤٥، والجرح والتعديل ٧٧٨/٨، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٦٦٦، وترتيب ثقات العجلي ٥٧٠، والـثقات ٤٧٣/٧، وتهذيـب الكمال ١٣٧٦/٣، والكاشف ٣٠٢/١، وتهذيب التهذيب ٢٧٧/١٠، والتقريب ٦٩٠٨

* ورِبْعِي هو : ابن حِراش –بكسر الحاء المهملة، وآخره معجمة– العبسي الكوفي أبو مريم.

روى عـــن : عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وأبي مسعود، ـــ رضوان الله عليهم ـــ، وغيرهم.

وروى عنه : الشعبي، ومنصور بن المعتمر، وأبو مالك الأشجعي، وغيرهم.

وهـــو : ثقـــة عابد مخضرم، وثقه ابن سعد والعجلي، وغيرهما، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ١٠٠هـــ على خلاف [(١)].

* وأبو مسعود هو : عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ.

٢ – الحكم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناد صحيح، ولم يسمع القَعْنَبي من شعبة إلا هذا الحديث ـــ كما سيأتي في التخريج ـــ .

٣ – لطائفـــه : إسناده كله عراقيون، وأبو مسعود نزل الكوفة قاله ابن سعد[(٢)].

٤ – تخريجه :

أخرجه ابن حبان عن أبي خليفة الفضل بن الحُبَاب[(٣)].

وأبو داود[(٤)]، كلاهما عن القَعْنَبي.

والبخاري[(٥)] عن آدم بن أبي إياس.

---

(١) انظـــر: طبقات ابن سعد ١٢٧/٦، والجرح والتعديل ٢٣٠٧/٣، وترتيب ثقات العجلي ٤١٨، وتأريخ بغداد ٤٣٣/٨، والثقات ٢٤٠/٤، وتهذيب الكمال ٤٠١/١، والكاشف ١٧٧/٣، وتهذيب التهذيب ٢٠٥/٣، والتقريب ١٨٧٩

(٢) الطبقات ١٦/٦

(٣) كما في الإحسان ٦٠٧/٣٧١/٢

(٤) في (٤٠ كتاب الأدب، ٦ باب في الحياء، ٤٧٩٧).

(٥) في (٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٤ باب، ٣٤٨٤).

والطيالسي[١]، وأحمد عن محمد بن جعفر[٢]، وروح بن عبادة[٣]، كلهم – القَعْنَبي، وآدم والطيالسي، ومحمد، وروح– عن شعبة.

وأخرجه أحمد عن سفيان الثوري [٤].

والبخاري من طريق زُهير بن معاوية[٥]، ثلاثتهم – شعبة، والثوري، وزُهير– عن منصور به بمثله، ورواية آدم عند البخاري بدون قوله : ((الأولى)).

وسئل أبو داود : ((أعند القَعْنَبي عن شعبة غير هذا الحديث ؟، قال : لا))[٦]، وقال ابن حبان ((ما سمع القَعْنَبي من شعبة إلا هذا الحديث))[٧].

٥ – شرح قوله : ((فاصنع ما شئت)) :

ذكر أهل العلم في معناها أقوال منها :

أ – أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، وإلى هذا ذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، والمعنى: إذا لم يكن حياء، فاعمل ما شئت فإن الله يجازيك عليه، ولهذا نظائره ومنه قول تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٨]، وقوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [٩]. [١٠]

---

(١) ٦٢١

(٢) ١٢٢/٤

(٣) ١٢١/٤

(٤) ١٢١/٤

(٥) في (٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٤ باب، ح ٣٤٨٣).

(٦) في (٤٠ كتاب الأدب، ٦ باب في الحياء، ٤٧٩٧).

(٧) في الموضع السابق من الإحسان.

(٨) فصلت، آية : ٤٠

(٩) الزمر، آية : ١٥

(١٠) انظر : معالم السنن للخطابي ١٠٩/٤

ب - أنه بمعنى الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر، وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام[1]، والمعنى : من لم يستح صَنَعَ ما يشاء، وانهمك في كل فاحشة ومنكر.

(١) غريب الحديث ٣٢/٣

الحديث الرابع :

قال القَطِيعي : ((حدثنا بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي، ثنا الفضل بن دُكَيْن، ثنا زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشَّعْبي، عن مسروق، قال : قالت عائشة : فتلت القلائد لهدي رسول الله ﷺ وهو محرم)).

وذكر ابن حجر أنه من زيادات القَطِيعي [(١)].

١ – دراسة الإسناد :

* شيخ القَطِيعي، هو : أبو علي البغدادي.

روى عن : حفص بن عمر، والحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

روى عنه : إسماعيل الصَّفَّار، وأبو علي بن الصواف، والطبراني، والقَطِيعي، وغيرهم.

وهو: ثقة نبيل، وثقه الدارقطني، والخطيب البغدادي، والذهبي، وغيرهم، ومات سنة ٢٨٨هـ [(٢)].

* والفضل بن دُكَين بن حماد التيمي مولاهم الأحول أبو نُعيم المُلاَئي الكوفي، مشهور بكنيته، ودُكَين لقب أبيه، واسمه عمرو،

روى عن : الأعمش، والثوري، ومالك، وغيرهم.

روى عنه : البخاري، ومحمد بن عبد الله بن نُمير، وابن أبي شيبة، وغيرهم.

وهو: ثقة ثبت، وثقه وأثنى عليه : ابن سعد، وابن معين، وابن المديني وأحمد،

---

(١) إطراف المُسْنِد المعتلي ١٢١١١/٢٢٩/٩، وبحثت عنه فلم أظفر به في المطبوع من مسند الإمام، وعدد من النسخ الخطية المذكورة في ص ١٢٦، وكذا لم يظفر به محقق : "إطراف المسند المُعتلي".

(٢) انظر : سؤالات السلمي للدارقطني ٧٤، والجرح والتعديل ٣٦٧/٢، وتأريخ بغداد ٨٦/٧، وطبقات علماء الحديث للصالحي ٦٠٤/٣١٠/٢، وتذكرة الحفاظ ٦١١/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٥٢/١٣

والعجلي، وأبو حاتم، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، وذكر ابن المديني، وابن معين أن أوثق أصحاب الثوري: يحيى القطان، وابن مهدي، ووكيع، وابن المبارك، وأبو نُعيم –يعني: الفضل بن دُكَين–، ومات سنة ٢١٩هـ[(١)].

* وزكريا بن أبي زائدة، هو : الهمداني الوادعي الكوفي أبو يحيى.

روى عن : أبي إسحاق السَّبيعي، وعامر الشعبي، وسماك بن حرب، وغيرهم.

روى عنه : الثوري، وشعبة، وابن المبارك، ويحيى القطان، وأبو نُعيم، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه : ابن سعد، والعجلي، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، والبزار، ويعقوب بن سفيان، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، وكان يدلس، قاله أبو حاتم، وقال أبو زرعة : ((كان يدلس كثيراً عن الشعبي))، وجعله ابن حجر في المرتبة الثانية، ومات سنة ١٤٨هـ[(٢)].

* وعامر الشَّعْبي هو : ابن شراحيل الكوفي أبو عمرو.

روى عن : علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وغيرهم — رضوان الله عليهم.

روى عنه : أبو إسحاق السَّبيعي، والأعمش، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم.

وهو: ثقة ثبت فقيه فاضل، وثقه وأثنى عليه: سفيان بن عيينة، والحسن

---

(١) انظر : طبقات ابن سعد ٤٠٠/٦، ومعرفة الرجال لابن محرز ٥٠٤/١، وسؤالات ابن هانئ للإمام أحمد ٢١٦٤، والجرح والتعديل ٦١/٧، وترتيب ثقات العجلي ١٣٥١، والثقات ٣١٩/٧، وتهذيب الكمال ١٠٩٦/٢، وتهذيب التهذيب ٢٤٣/٨، والتقريب ٥٤٠١

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٣٥٥/٦، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٦٩٠، وسؤالات الآجُرِّي لأبي داود ٥٤٥، والمعرفة والتأريخ ٦٥٦/٢، ١٠٩/٣، وترتيب ثقات العجلي ٤٦٠، والجرح والتعديل ٥٩٤/٣، والثقات ٣٣٤/٦، وتهذيب التهذيب ٥٨٤/٣، والتقريب ٢٠٢٢، وفتح الباري ١٢٦/١، ٣٠٩، وتعريف أهل التقديس لابن حجر ٦٢/٤٧

البصـــري، وابن معين، وأبو زرعة، والعجلي، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات بعد ١٠٠هـ [(١)].

* ومســـروق هـــو : ابن الأجدع بن مالك الهمْداني الوادعي الكوفي أبو عائشة.

روى عـــن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وعائشة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ، وغيرهم.

وروى عنه : الشعبي، وإبراهيم النخعي، ومكحول، وغيرهم.

وهـــو : ثقـــة فقيـــه عابد مخضرم، وثقه ابن سعد، وابن معين، والعجلي، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ٦٢هـ [(٢)].

٢ – الحكم عليه : متن هذا الحديث معلول إذ قوله : ((وهو محرم)) يخالف المحفـــوظ من أنه ﷺ لم يكن محرماً حينذاك، والذي يظهر أن الوهم من القَطِيعي نفسه.

٣ – تخريجه، وبيان وهم القَطِيعي فيه :

قـــال القَطِيعي في روايته لهذا الحديث : ((وهو محرم)) فخالف بذلك رواية الحفاظ له بهذا الإسناد وبغيره من أن النبي ﷺ كان حلالاً ولم يكن محرماً.

والقَطِيعـــي نفسه قد رواه على الصواب في جزء الألف دينار بهذا الإسناد حيـــث قـــال : ((حدثنا بشر قال : حدثنا أبو نُعيم، قال : حدثنا زكريا بن أبي

---

(١) انظـــر : الجرح والتعديل ١٢٤/٤، وترتيب ثقات العجلي ٧٥١، وسؤالات الآجري لأبي داود ٦٨، والثقات ١٨٥/٥، وتهذيب الكمال ٦٤٢/٢، وتهذيب التهذيب ٥٧/٥، والتقريب ٣٠٩٢

(٢) انظـــر : طـــبقات ابن سعد ٧٦/٦، وتأريخ الدارمي ٧٤٨، والجرح والتعديل ٣٩٦/٨، وتـــرتيب ثقات العجلي ١٥٦١، والثقات ٤٥٦/٥، وتأريخ بغداد ٢٣٢/١٣، وتهذيب الكمال ١٣٢٠/٣، وتهذيب التهذيب ١٠٠/١٠، والتقريب ٦٦٠١

زائدة، عن عامر الشعبي عن مسروق، عن عائشة قالت : فَتَلْت لهدي رسول الله ﷺ القلائد قبل أن يُحرم))[١].

وأخرجه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد[٢].

والبخاري عن أبي نُعيم[٣].

ومسلم عن ابن نمير[٤]، ثلاثتهم عن زكريا بن أبي زائدة، وصرح بالسماع عند الإمام أحمد.

وأخرجه أحمد[٥]، والدارمي[٦]، والبخاري[٧]، ومسلم[٨]، والنسائي[٩]، والطحاوي[١٠]، من طريق إسماعيل بن أبي خالد.

وأخرجه أحمد[١١]، ومسلم[١٢]، وأبو يعلى[١٣]، والطحاوي[١٤] من طريق داود بن أبي هند، ثلاثتهم – زكريا، وإسماعيل وداود – عن عامر الشَّعْبي به.

---

(١) ١٥٩/٩٩

(٢) ١٩١/٦

(٣) في (٢٥ كتاب الحج، ١١٠ باب تقليد الغنم، ١٧٠٤).

(٤) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(٥) ٣٠/٦، ١٢٧، ١٩٠، ٢٠٨

(٦) ١٩٤١

(٧) في (٧٤ كتاب الأشربة، ١٥ باب إذا بعث بهديه ليذبح لم يحرم عليه شيء، ٥٥٦٦).

(٨) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(٩) في (٢٤ المناسك، ٦٥ باب فتل القلائد، ٢٧٧٩).

(١٠) ٢٦٥/٢

(١١) ٣٥/٦

(١٢) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(١٣) ٤٦٥٨

(١٤) ٢٦٥/٢

وأخرجه مالك[١]، وأحمد[٢]، والبخاري[٣]، ومسلم[٤]، والنسائي[٥]، وابن خزيمة[٦] من طريق عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة ـ رضي الله عنها.

وأخرجه الحميدي[٧]، وأحمد[٨]، والبخاري[٩]، ومسلم[١٠]، والترمذي[١١]، والنسائي[١٢]، وابن ماجه[١٣]، وابن خزيمة[١٤] من طريق الأسود، عن عائشة ـ رضي الله عنها.

---

(١) ٣٤٠/١

(٢) ٢٨٠/٦

(٣) في (٢٥ كتاب الحج ١٠٩، باب من قلد القلائد بيده، ١٧٠٠).

(٤) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(٥) في (٢٤ كتاب المناسك، ٦٥ باب فتل القلائد).

(٦) ٢٥٧٤

(٧) ٢١٨

(٨) ٩١/٦، ١٩١، ٢٥٣، ٢٦٢

(٩) في (٢٥ كتاب الحج، ١١٠ باب تقليد الغنم، ١٧٠١).

(١٠) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(١١) في (٧ كتاب الحج، ٧٠ باب ما جاء في تقليد الغنم، ٩٠٩).

(١٢)في (٢٤ كتاب المناسك، ٦٥ باب فتل القلائد).

(١٣) في (٢٥ كتاب المناسك، ٩٤ باب تقليد البدن، ٣٠٩٥).

(١٤) ٢٦٠٨

وأخرجه الحميدي[1]، وأحمد[2]، والبخاري[3]، ومسلم[4]، وأبو داود[5]، والنسائي[6]، وابن ماجه[7]، من طريق عروة، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ .

وروايات حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ كثيرة، وكلها تنص على أن النبيﷺ كان حلالاً ولم يحرم.

٤ شرح غريبه :

* قولها : ((فَتَلْتُ))، الفَتْل: لَيٌّ وبرْم شعبتي الحبل، وهو: الجَدْل، قال الليث: ((الفتل: لي الشيء كليك الحبل))[8]، وقال صاحب القاموس : ((أَبْرَم الحبل : جعله طاقَيْن ثم فتله))[9]، وقال أيضاً : ((جدله يجدله : أحكم فَتْلَه))[10].

* وقولها : ((القلائد))، هي : الحبال من الصوف التي تُعلق في عنق الهدي ليعرف أنه هدي، قال أبو عبد الله : محمد بن أبي نصر الحميدي – ت٤٨٨هـ:

---

(١) ٢٠٨

(٢) ٣٦/٦، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٢٥

(٣) في (٢٥ كتاب الحج، ١٠٧ باب فتل القلائد، ١٦٩٨).

(٤) في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١).

(٥) في (١١ كتاب المناسك، ١٦ باب من بعث بهديه وأقام، ١٧٥٨).

(٦) في (٢٤ كتاب المناسك، ٦٥ باب فتل القلائد).

(٧) في (٢٥ كتاب المناسك، ٩٤ باب تقليد الغنم).

(٨) كما في تهذيب اللغة مادة : فتل ٢٨٩/١٤

(٩) مادة : برم : ١٣٩٤

(١٠) مادة : جدل : ١٢٦٠

((قلائد الهدي : ما يُعلّق في عنقه ليُعلم أنه هدي))[١]، وقال القاضي عياض – ت٥٤٤هـ – : ((تقـليد الهدي وقلائد الهدي هو : أن يعلق في عنقه نعل أو جلدة أو شبه ذلك علامة له))[٢]، وهي هنا من الصوف بدليل ما جاء في رواية القاسـم بن محمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ : ((فَتَلْتُ قلائدها من عِهْـن كان عندي))[٣]، والعِهْن : الصوف، قال الحميدي : ((العِهْن : الصوف الملون، الواحدة عهْنَة، وهي القطعة من العِهْن))[٤].

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٠٣

(٢) مشارق الأنوار ١٨٤/٢

(٣) أخرجه البخاري في (٢٥ كتاب الحج، ١١١ باب القلائد من العِهْن، ١٧٠٥)، ومسلم في (٧كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١) وغيرها.

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٠٥

الخاتمة

تظهر من خلال هذه الدراسة عدة نتائج يتم إجمال أهمها فيما يلي :

١. حاجة أبواب علم مصطلح الحديث إلى الإكمال، وذلك بأن يضاف إليها ما يتعلق بمعرفة زيادات رواة الكتب على مؤلفيها، وتعد زيادات القَطِيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله مثالاً لها.

٢. أن غاية أكثر هؤلاء الرواة أصحاب الزيادات- أداء ما سمعوا ونقل الأحاديث دون تمييز بين الثابت وغيره؛ لأهم ليسوا من الأئمة النقاد الذين يعنون بانتقاء مروياهم، ويعرفون أحوال الرواة.

٣. أن للقَطِيعي زيادات قليلة على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، بلغت أربعة أحاديث.

٤. أنه روى أكثرها بأسانيد واهية، ويروي عن شيوخ له اهموا بالكذب، وفيها من الرواة كذلك.

٥. أن تقدم وفاة المعدِّل على وفاة الراوي، من أسباب خفاء حاله على المعدِّل عند تعارض الجرح والتعديل في الراوي، وسبق أن الإمام أحمد حسن حال محمد بن يونس الكُدَيمي[1] مع أن جمهور الأئمة على خلافه، وهو محمول على أن الإمام أحمد وثقه بناء على ما علمه من حاله قبل وفاته، إذ توفي قبله بخمس وأربعين سنة، وهي المدة التي تبين فيها حاله لغالب الأئمة الذين رموه بالكذب.

٦. الأصل اتصال رواية الثقة الذي لم يوصف بالتدليس عمن عاصره بحيث يمكن سماعه منه، أو سمع منه إلا إذا نص أحد الأئمة النقاد على أن هذا الراوي لم يسمع من شيخه إلا أحاديث معدودة، مثل القَعْنَبي، فقد نص أبو

---

(١) انظر : ص: ١٣٤ من هذا البحث.

داود وغيره على أنه لم يسمع من شيخه شعبة إلا حديثاً واحداً [١].

٧. ضـــرورة التنـــبيه عند دراسة كتب الرواية إلى ما هو أصيل من صنيع صـــاحب الكتاب، وإلى ما هو زيادات عليه، حتى يَصْدُق الحكم على تلك الكتب، وتُعرف مناهج أصحابها وشروطهم، ونحو ذلك.

(١) انظر : ص : ١٤٧ من هذا البحث.

المراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: عادل السعد، نشر : مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : د. زهير الناصر، نشر : الجامعة الإسلامية في المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلي بن بلبان الفارسي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني، تحقيق : د. محمد سعيد عمر، نشر : مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري، تحقيق : الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- إطراف المُسْنِد المُعتَلي بأطراف المُسنَد الحنبلي، للحافظ ابن حجر، تحقيق : د. زهير بن ناصر الناصر، نشر : دار ابن كثير في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق : د. محمد بن سعد آل سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، نشر : محمد أمين ، في بيروت.

- الأنساب، للسمعاني، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، نشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
- اختصار علوم الحديث، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – مع الباعث الحثيث، لأحمد شاكر –، نشر : دار العاصمة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- البحر الزخار المعروف بمسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله، نشر : مكتبة العلوم والحكم في المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق : د. أحمد أبو ملحم، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- برنامج محمد بن جابر الوادي آشي، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة، نشر : مركز البحوث العلمي في مكة المكرمة، طبعة ١٤٠١هـ.
- تأريخ أسماء الضعفاء والمتروكين، لأبي جعفرعمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق: د. عبد الرحيم القشقري، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- التأريخ الأوسط، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمد ابن إبراهيم اللحيدان، نشر : دار الصميعي في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- التأريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : عبدالرحمن المعلمي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.
- تأريخ بغداد، لأبي بكرأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.
- تأريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف، نشر : دار المأمون للتراث في دمشق.
- التأريخ، ليحيى بن معين، رواية الدوري، تحقيق : د. أحمد محمد نور

سيف، نشر: مركز البحث العلمي في جامعة الملك عبد العزيز في مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- تجريد أسانيد الكتب المشهورة، انظر : المعجم المفهرس.
- التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق : عزيز الله العطاردي، نشر : المطبعة العزيزية في الهند، ١٤٠٤هـ.
- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر : دار الفكر العربي.
- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، للحسيني، تحقيق : د. رفعت فوزي، نشر : مكتبة الخانجي في القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في مسنده، للحافظ أبي القاسم : علي بن الحسين بن عساكر، تحقيق : د. عامر صبري، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ترتيب تأريخ ثقات أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : د. إكرام الله إمداد، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : سعيد عبد الرحمن القزقي، نشر : المكتب الإسلامي في الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق : د. زُبيدة محمد سعيد، نشر : مكتبة السنة في القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

• تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق : محمد عوامة، نشر : دار الرشيد في حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

• التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني بن نفطة، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لعبد الرحمن بن الحسين العراقي، نشر: دار الحديث في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

• تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• تهذيب اللغة، لأبي منصور : محمد بن أحمد الأزهري، نشر : دار القومية العربية في مصر، طبعة ١٣٨٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق : د. بشار عواد، نشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

• الثقات، للحافظ ابن حبان، نشر : مكتبة مدينة العلم في مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

• جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

• الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نشر : دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة–.

• الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر : بيت الأفكار الدولية

في الرياض، طبعة ١٤١٩هـ.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكرأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق : محمود الطحان، نشر : مكتبة المعارف في الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ.
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.
- جزء الألف دينار وهو الخامس من الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان، لأبي بكرأحمد بن جعفر بن حمدان القَطِيعي، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر، نشر : دار النفائس في الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر : دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
- خصائص المسند، لأبي موسى محمد بن عمر المديني، تحقيق : أحمد محمد شاكر، نشر : دار المعارف في مصر ١٣٧٧هـ، في مقدمة مسند الإمام أحمد.
- ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر : الدار العلمية في الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند، للدكتور عامر حسن صبري، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، ليحيى بن معين، تحقيق : أحمد بن محمد نور سيف، نشر مكتبة الدار في المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- سؤالات أبي بكر أحمد بن محمد البرقاني، للدارقطني، تحقيق :

د.عبدالرحيم القشقري، نشر: خانة جميلي في باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- سؤالات أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السَلمي، للدارقطني في الجرح والتعديل، تحقيق : سليمان آتش، نشر : دار العلوم في الرياض ١٤٠٨هـ.
- سؤالات أبي عُبيد الآجري، لأبي داود السجستاني، تحقيق : د. عبدالعليم بن عبد العظيم، نشر: دار الاستقامة في مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- سؤالات حمزة بن يوسف السهمي، للدارقطني، تحقيق : موفق عبد الله بن عبد القادر، نشر : مكتبة المعارف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر : دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة .
- سنن أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، نشر دار السلام في الرياض بإشراف معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة .
- سنن النسائي الصغرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، نشر : دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة .
- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، نشر : دار الآفاق في بيروت.
- شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق :

محمد زهري النجار، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- صحيح أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر : المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- صحيح البخاري، انظر : الجامع الصحيح المختصر.
- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- صحيح مسلم، انظر : المسند الصحيح المختصر.
- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر أحمد بن عمرو العقيلي، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- الضعفاء والمتروكين، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق : موفق عبد الله بن عبدالقادر، نشر : مكتبة المعارف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- الضعفاء والمتروكين، لأبي الفرج : عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق : عبد الله القاضي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلي، نشر : دار المعرفة في بيروت.
- طبقات علماء الحديث، لابن الهادي، تحقيق: أكرم البوشي، نشر: دار إحياء الكتب العربية في مصر.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، نشر : دار بيروت، في بيروت ١٤٠٠هـ.
- العلل الواردة في الحديث النبوي، للدارقطني، تحقيق : د. محفوظ الرحمن السلفي، نشر : دار طيبة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- العلل ومعرفة الرجال، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، رواية ابنه

عبد الله، تحقيق : وصي الله عباس، نشر : المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- علم زوائد الحديث، للدكتور خلدون الأحدب، نشر: دار القلم في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- علوم الحديث، لأبي عمروعثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرَزوري بن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، نشر : دار الفكر في دمشق، ١٤٠٦هـ.
- غريب الحديث، للإمام الحربي، تحقيق : د. سليمان العايد، نشر : دار المدني في جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : محب الدين الخطيب، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
- الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للعلامة : أحمد ابن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، نشر : دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- فضائل الصحابة، للإمام أحمد، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس، نشر : مركز البحث العلمي في مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- فهرسة، لأبي بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي، نشر: مطبعة قومش في سرقطة، ١٨٩٣هـ.
- الفوائد المنتقاة والأفراد، انظر : جزء الألف دينار.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط، نشر: دار البيان في دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عزت علي عيد عطية، نشر دار الكتب

الحديثة في القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢.

- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر: دار صادر في بيروت.
- لسان الميزان، لابن حجر، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، نشر : دار الوعي في حلب.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، نشر : دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- المجمع المُؤسس للمعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر، تحقيق : د. يوسف المرعشلي، نشر : دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- مسائل عبد الله بن الإمام أحمد : انظر : العلل ومعرفة الرجال.
- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار إحياء التراث العربي في بيروت.
- مسند أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: عالم الكتب في بيروت.
- مسند أبي داود الطيالسي -سليمان بن داود-، نشر دار المعرفة في بيروت.
- مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق : عبد الله هاشم، نشر: حديث أكاديمي في باكستان ١٤٠٤هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي -أحمد بن علي المثنى-، تحقيق : حسين سليم

أسد، نشر: دار المأمون للتراث في دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، نشر : دار صادر في بيروت.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي، نشر : المكتبة العتيقة في تونس.
- المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، لابن الجزري، المطبوع في أول مسند الإمام أحمد، تحقيق : أحمد شاكر، نشر : دار المعارف في مصر ١٣٧٧هـ.
- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، نشر : المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أيمن أبويماني، وأشرف صلاح علي، نشر : مؤسسة قرطبة ١٤١٨هـ.
- معالم السنن – شرح سنن أبي داود –، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، نشر: المكتبة العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة –، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد شكور، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- معرفة الرجال، ليحيى بن معين، رواية أحمد بن محمد بن مُحْرِز، تحقيق : محمد كامل القصار، نشر : مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٥هـ.
- المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري، نشر مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- المغني في الضعفاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : د. نور الدين عتر.
- المنتظم في تأريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن

الجوزي، تحقيق : نعيم زرزور، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.

- منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر : مكتبة الرياض الحديثة في الرياض.
- موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، نشر : دار المعرفة في بيروت.
- النكت على كتاب ابن الصلاح، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : مسعود عبد الحميد السعدني، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي،تحقيق : زين العابدين بن محمد، نشر دار أضواء السلف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات بن الأثير، تحقيق : طاهر الزاوي، نشر : المكتبة العلمية في بيروت.

فهرس الموضوعات

سَدُّ الذَّرَائِعِ فِي مَسَائِلِ العَقِيدَةِ

عَلَى ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ

إعداد

د. عَبْدِ اللهِ بْنِ شَاكِرٍ الجُنَيْدِيّ

الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بالقنفذة



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [1].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [2].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [3].

أما بعد :

فلعل من نافلة القول ومكرور الكلام أن يقال : إن التوحيد وإفراد الله بجميع أنواع العبادة أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، فما من نبى بُعث فى قومه إلا أمرهم به ودعاهم إليه، كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[4] ، وهو مفتتح دعوة الأنبياء والمرسلين، فكل منهم قال لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، والمتتبع لكتاب الله الكريم يجد هذا واضحاً فيه غاية الوضوح، كما أنه كان من أعظم ما اعتنى به نبينا الأمين ﷺ حيث مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً يركز ويكرر ويؤكد الدعوة إلى هذا

---

(١) آل عمران / آية : ١٠٢ .

(٢) النساء / آية : ١ .

(٣) الأحزاب / آية : ٧٠ ، ٧١ .

(٤) الأنبياء / آية : ٢٥ .

الـــتوحيد، ثم بعد هجرته كان ينافح ويدافع ويزيل العقبات التى تعترض طريقه، حتى يُبَلِّغ ما أوحى الله به ويدخل الناس بهذا التوحيد إلى الدين الذى ارتضاه الله لهـــم، ووضـــع القواعـــد اللازمة لصيانته، وقضى على كل وسيلة مفضية إلى الإخـــلال به، وسدَّ كل ذريعة يمكن أن تؤدى إلى شائبة فيه - كما سيتضح من خـــلال هذا البحث - إن شاء الله تعالى - وهذا من كمال الشريعة ومقاصدها الحميدة .

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - : «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضى إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصى فى كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات فى محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود لكنه مقصود قصد الغايات، وهى مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرَّم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضى إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له، ومنعا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء» [1] .

ولأهميـــة هذا الموضوع وتجليته، وعدم وجود كتاب يجمع شتات ما تفرق مـــن أقـــوال لعلماء السلف فيه . استعنت الله عز وجل فى الكتابة حوله سائلا العلى الأعلى أن ينفع به .

وقد تضمن البحث بعد هذه المقدمة والتمهيد خمسة فصول وخاتمة، وبيان ذلك فيما يلى:

(١) إعلام الموقعين جـــ٣ / ١٤٧ .

- المقدمة : وقد بينت فيها أهمية دراسة هذا الموضوع والكتابة حوله .
- الـــتمهيد : وقد بينت فيه مفهوم الذريعة ، والأدلة على وجوب سدها من القرآن والسنة وأقوال بعض الأئمة.
- الفصل الأول : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر.

a. وتحته ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته.
- المـــبحث الـــثانى : بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر.
- المبحث الثالث : بعض أحـــاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر.
- الفصل الثانى : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر.

وتحته مبحثان:

١- المبحث الأول : سد الذرائع فى الألفاظ.

٢- المبحث الثانى : سد الذرائع فى الأعمال.

- الفصل الثالث : سد الذرائع فى توحيد المعرفة والإثبات.

وتحته مبحثان:

١- المبحث الأول : سد الذرائع فى مضاهاة أفعال الله تعالى.

٢- المبحث الثانى : سد الذرائع فى توحيد الأسماء والصفات.

- الفصل الرابع : سد الذرائع المتعلق بالنبوة والرسالة.

وتحته أربعة مباحث :

١- المبحث الأول : تأييد الأنبياء بمعجزات لا تحصل لغيرهم.

٢- المبحث الثانى : النهى عن المفاضلة بين الأنبياء.

٣- المبحث الثالث : إرسال المرسلين بلسان أقوامهم ليعقلوا خطابهم.

٤- المبحث الرابع : نهى المؤمنين عن مخاطبة النبى ﷺ بلفظ ((راعنا)) .

- الفصل الخامس : ســد الذرائع المتعلق بالإمامة والخروج على الحاكم.

وتحته مبحثان :

١- المبحث الأول : وجوب تنصيب إمام واحد والاجتماع عليه.

٢- المـبحث الثانى : ترك الخـروج على الحاكم وطاعته فى غير معصية الله.

- الخاتمـــة :

هذا وقد جعلته بين التطويل الممل والتقصير المخل، مع رغبة فى العودة إليه عند فسحة من الوقت.

وأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبنى عليه خيرا يوم الدين، وأن يغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد : ويشتمل على ما يلى:

١- تعريف الذريعة ومفهوم سد الذرائع.

٢- الأدلة على وجوب سد الذرائـــع.

أولاً: تعريف الذريعة:

الذريعة : هى الوسيلة والسبب إلى الشئ، وأصلها عند العرب : الناقة التى يستتر بها رامى الصيد حتى يصل إلى صيده [١].

قال ابن تيمية : «والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشئ، لكن صارت فى عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكـــن فيهـــا مفسدة، ولهذا قيل :الذريعة: الفعل الذى ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم» [٢].

وقال الشاطبى : «حقيقة الذريعة :التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة» [٣].

والذرائع بذلك تختلف عن الحيل، فسد الذرائع مطلوب، والحيل محرمة لا تجـــوز، لأن حقيقتها :تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعى وتحويله فى الظاهر إلى حكم آخر، كالواهب ماله عند رأس الحول فرارا من الزكاة [٤].

قال ابن تيمية :«واعلم أن تجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فـــإن الشـــارع سد الطريق إلى ذلك المحرم بكل طريق، والمحتال يريد أن يتوسل إليه» [٥].

(١) لسان العرب جـــ٨/٩٦ ، والقاموس المحيط جـــ٣ /٢٤ .

(٢) مجموعة الفتاوى الكبرى جـــ٣ /١٣٩ .

(٣) الموافقات جـــ٣ /١٩٩ .

(٤) المرجع السابق جـــ٣ /٢٠١ .

(٥) مجموعة الفتاوى الكبرى جـــ٣ /١٤٥ .

وقـــال ابن القيم : «وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فإن الشـــارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن، والمحتال يفتح الطريق إليها بحيلة، فـــأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع فى المحرم إلى من يعمل الحيلة فى التوصل إليه» [1].

ثانياً: الأدلة على وجوب سد الذرائع:

دل القـــرآن والســـنة والإجماع على وجوب سد الذرائع وإليكم بعض ما جاء من ذلك.

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

١- قال تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ [2].

ووجـــه الدلالة من الآية : أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن سب آلهة المشـــركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهى ســـب المشركين لله عز وجل، فكان النهى سدًا لهذه الذريعة، وهذا دليل على المنع من الجائز إذا كان يؤدى إلى محرم.

قـــال القـــرطبى : «فى هذه الآية ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع» [3].

ونقـــل القاسمى عن بعض العلماء قوله فى الآية : «إنه متى خيف من سب الكفـــار وأصـــنامهم أن يسبوا الله، أو رسوله، أو القرآن لم يجز أن يُسَبُّوا ولا دينهم، قال :وهى أصل فى قاعدة سد الذرائع» [4].

---

(١) إعلام الموقعين جـــ٣ /١٧١ .

(٢) الأنعام / آية : ١٠٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـــ٤/٢٤٩٧ .

(٤) محاسن التأويل جـــ٦ /٢٤٦٣ .

وقـــال الشيخ عبدالرحمن السعدى :((وفى هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشـــرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التى توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضى إلى الشر))[1].

٢- وقـــال تعالى :﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾[2].

ووجـــه الدلالـــة مـــن الآية :أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن كلمة ((راعـــنا))، ومعـــناها عـــندهم راعنا سمعك، أى :اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه ونـــراجعك فيـــه، وهذا معنى صحيح، ولكن الله نهاهم عنها سدا للذريعة، لأن اليهـــود كانوا يقولونها لاوين بها ألسنتهم، لتوافق كلمة شتم عندهم، أو نسبة النبى ﷺ إلى الرعونة.

وسيأتى كلام على هذه الآية - إن شاء الله تعالى - فى الفصل الخامس من هذا البحث.

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

١- عـــن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ((إن مـــن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل يا رسول الله، وكيـــف يـــلعن الرجل والديه؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه))[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان جـــ٢ /٤٥٤، ٤٥٥.

(٢) البقرة / آية : ١٠٤.

(٣) أخـــرجه البخارى فى كتاب الأدب باب ٤ جـــ١٠ /٤٠٣ ،ومسلم كتاب الإيمان باب ٣٨ ط/٩٢ وأبو داود فى كتاب الأدب باب ١٢٩ جـــ٥ /٣٥٢.

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن النبي ﷺ جعل الرجل لاعنا لأبويه إذا كان سببا فى ذلك، وإن لم يقصده .

قال النووى – رحمه الله – فى شرحه للحديث «فيه دليل على أن من تسبب فى شئ جاز أن ينسب إليه ذلك الشئ، وإنما جعل هذا عقوقاً لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيا ليس بالهين ....، وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهى عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر، والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك. والله أعلم»[1].

وقال ابن حجر :«قال ابن بطال :هذا الحديث أصل فى سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل فى هذا الحديث :قوله تعالى :﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ [2].

٢- قال عبدالله بن أبى بن سلول فى غزوة بنى المصطلق :«أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبى ﷺ فقام عمر فقال :يا رسول الله : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبى ﷺ «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» [3].

ووجه الدلالة من قول النبى ﷺ هذا، أنه كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة لتنفير الناس عنه وقولهم :إن محمدا يقتل أصحابه.

يقول ابن تيمية فى ذلك :«إن النبى ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس أن محمدا ﷺ يقتل أصحابه

(١) شرح النووى على مسلم جـ٢ /٨٨ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١٠ /٤٠٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير جـ٨ /٦٤٨ ، ومسلم فى كتاب البر باب ١٦ جـ٤ /١٩٩٨ .

لأن هـذا القـول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه، وممن لم يدخل فيه، وهذا النفور حرام»[١].

ثالثاً: الإجماع :

أجمع الصحابة على بعض المسائل التى يمكن أن يستدل بها على وجوب سد الذرائع، وقد اعتبرها أهل العلم أدلة على سد الذرائع واحتجوا بها، كما عمل بها كثير من الأئمة، وإليكم بعض الأدلة.

١- إن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة المبتوتة فى مرض الموت، حيث يتهم بقصد حرمانها من الميراث بلا تردد، وإن لم يقصد الحرمان، لأن الطلاق ذريعة وأما حيث لا يتهم ففيه خلاف معروف [٢].

وقد رجح ابن قدامة توريثها فقال :«وإن كان الطلاق فى المرض المخوف، ثم مات من مرضه ذلك فى عدتها ورثته، ولم يرثها إن ماتت .....، وروى عن عتبة بن عبدالله بن الزبير لا ترث مبتوته ......، ولنا :أن عثمان – رضى الله عنه – ورث تماضر بنت الأصبغ الكلبية من عبدالرحمن بن عوف، وكان طلقها فى مرضه فبتها، واشتهر ذلك فى الصحابة فلم ينكر فكان إجماعا» [٣].

٢- إجماع الصحابة – رضى الله عنهم – وعامة الفقهاء على قتل الجماعة بالواحد، وإن كان قياس القصاص يمنع ذلك، لئلا يكون عدم القصاص ذريعة إلى التعاون على سفك الدماء، قال ابن قدامة :«.....

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣ /١٤٠ .

(٢) انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ٤ /١٤٣ .

(٣) المغنى جـ٦ /٣٣٠،٣٢٩ .

ولأن القصاص لو سقط بالاشتراك أدى إلى التسارع إلى القتل به، فيؤدى إلى إسقاط حكمة الردع والزجر» [1].

وقد تتابع كثير من العلماء على اعتبار سد الذرائع، وحكَّمها الإمام مالك فى أكثر أبواب الفقه، كما ذكر الشاطبى [2] ، وقال بعد أن ذكر خلافا بين الإمامين مالك والشافعى :« فقد ظهر أن قاعدة سد الذرائع متفق على اعتبارها فى الجملة» [3].

وقال ابن بدران :«سد الذرائع هو مذهب مالك وأصحابنا» [4]. يعنى الحنابلة.

وقد قال بها ابن تيمية، وذكر لها ثلاثين شاهدا من الشريعة يدل عليها [5] ، وتوسع ابن القيم فذكر تسعة وتسعين دليلا عليها، وختم كلامه بقوله : « ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التى من أحصاها دخل الجنة ....، وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان :أحدهما :مقصود لنفسه، والثانى :وسيلة إلى المقصود، والنهى نوعان : أحدهما : ما يكون المنهى عنه مفسدة فى نفسه. والثانى :ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين» [6].

---

(١) المرجع السابق جـ٧ /٦٧٢ ، ومجموعة الفتاوى الكبرى جـ٤ /١٤٣ .
(٢) الموافقات جـ٤ /١٩٨ .
(٣) المرجع السابق جـ٤ /٢٠٠، ٢٠١ .
(٤) المدخل إلى مذهب أحمد /١٣٨ .
(٥) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣ /١٣٨ - ١٤٥ .
(٦) إعلام الموقعين جـ٣/١٧١ .

الفصل الأول : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر

المبحث الأول : تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته

الشرك الأكبر : هو أن يجعل العبد لله شريكاً وندا فى ربوبيته وإلهيته، وأغلب شرك المشركين وقع فى توحيد الإلهية كدعاء غير الله، أو صرف أى لون من ألوان العبادة لغير الله كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة وما إلى ذلك.

والشرك بالله أعظم ذنب عصى الله به، فهو أظلم الظلم، وأكبر الكبائر، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران فى الآخرة إلا بالشرك، وما أرسل الله الأنبياء والمرسلين وأنزل عليهم الكتب بالحق المبين إلا للتحذير منه وبيان قبحه وشؤمه، ودعوة الناس إلى ضده ألا وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

والشرك خطره عظيم وضرره على العبد كبير، وذلك للأسباب التالية:

١- لأنه تشبيه للمخلوق العاجز الضعيف بالواحد الأحد المتفرد بالجلال والكمال، ومن أشرك مع الله أحدا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم كما فى الصحيحين [١]. من حديث عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه – «قال :سألت رسول الله ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : أن تجعل الله ندا وهو خلقك» قال النووى : «الند : الضد والشبه، وفلان ند فلان ونديده ونديدته أى :مثله .. أما أحكام هذا الحديث : ففيه أن أكبر المعاصى الشرك ،وهذا ظاهر لا خفاء فيه» [٢].

٢- أن الله لا يغفر لمشرك مات على الشرك دون توبة. قال الله تعالى :﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [٣].

(١) أخرجه البخارى فى مواضع منها كتاب التفسير باب ٣ جـ٨ /١٦٣ ، وكتاب التوحيد باب ٤٦ جـ١٣/٥٠٣ ، ومسلم كتاب الإيمان. باب كون الشرك أقبح الذنوب جـ١ /٩٠ .

(٢) شرح النووى على مسلم جـ٢ /٨٠، ٨١ .

(٣) النساء / آية : ٤٨، ١١٧ .

٣- أن الله حرم الجنة على كل مشرك . قال تعالى :﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[١] .

٤- أن الشرك يحبط جميع الأعمال التى يعملها العبد، وتصير هباءً منـــثوراً فى يـــوم الدين . قال تعالى :﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾[٢] .

(١) المائدة / آية : ٧٢ .

(٢) الزمر / آية : ٦٥ ، ٦٦ .

المبحث الثانى : بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر .

بعد الوقوف على خطورة الشرك الأكبر ومفاسده وأضراره أتعرض لذكر نماذج يسيرة من القرآن والسنة جاء بها الشرع الحكيم لقطع علائق الشرك كله وما يؤدى إليه، حتى يتبين لنا كيف أن الإسلام سدَّ الذرائع المؤدية إلى الشرك، وأحكم الحديث فى هذا الباب أيما إحكام ليحذر العباد من الشرك ومن الوسائل المفضية إلى حصوله ووقوعه،فمن ذلك:

١- الآيات الدالة على عبودية عيسى – عليه السلام – وأنه بشر رسول مخلوق ، ليس بإله، أو فيه جزء من الإله، أو أنه ابن الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا–، وذلك سدًّا لذريعة الشرك، واتخاذه إلها من دون الله أو مع الله، ودفعا لأى شبهة ترد على الطريقة التى خلق بها . قال تعالى :﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [(١)] .

قال ابن تيمية :((.......... فأعنى بقوله (مثل عيسى) إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة ، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح، إنما ذكر عيسى فقط، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال :(وخلق منها زوجها)، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح فى بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح...، وهذا كله يبين به أن المسيح عبدٌ ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم))[(٢)] .

---

(١) آل عمران / آية : ٥٩ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٥ .

وقال ابن كثير :((يقول تعالى :﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ فى قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) فإنه الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل ((خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) والذى خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة فى عيسى بكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك فى آدم بالطريقة الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواها فى عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا، ولكن الرب عز وجل أراد أن يظهر قدرته حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق البرية من ذكر وأنثى))[(١)].

ويقرر ربنا فى آيات أخرى بشرية عيسى وأمه – عليهما السلام– وأنهما من جنس البشر، ويسلكان فى الطبيعة البشرية ما يسلكه غيرهم. قال تعالى :﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾[(٢)].

يعنى أن عيسى رسول من رسل الله تعالى الذين أرسلوا لهداية البشرية ودعوهما إلى توحيد الله وعبادته، وأمه صديقة من فضليات النساء، وحقيقتهما مساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما بدليل أنهما كان يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون ربا خالقا، ولا ينبغى أن يكون ربا معبودا.

قال الشوكانى فى تفسيره للآية :﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾، أى : هو مقصور على الرسالة لا يجاوزها كما زعمتم، وجملة ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ صفة لرسول، أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١/ ٤٠ .
(٢) المائدة / آية : ٧٩ .

خلوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلها، فقد كان لمن قبله مــن الرســل مثلها، فإن الله أحيا العصا فى يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فكيف جعلتم إحياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجبان كونه إلها، فإن كــان كما تزعمون إلها لذلك، فمن قبله من الرسل الذين جاءوا بمثل ما جاء به آلهــة، وأنــتم لاتقولــون بذلك ٠قوله :﴿ وأمه صديقة﴾ عطف على المسيح،أى :وما أمه إلا صــديقة.... ، وذلــك لا يســتلزم الإلهية لها ، بل هى كسائر من يتصف بهذا الوصــف مــن النساء٠ قوله :﴿ كانا يأكلان الطعام﴾ استئناف يتضمن التقرير لما أشــير إليــه مــن أنهما كسائر أفراد البشر :أى من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب، بل هو عبد مربوب ولدته النساء، فمتى يصلح لأن يكون ربا [١]٠

وقــال الشــيخ عبدالرحمن السعدى فى تفسيره :((أى :هذا غايته ومنتهى أمــره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر، ولا من التشريع إلا مــا أرســلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشــرية إلى مرتبة الربوبية، ((وأمه)) مريم ((صديقة)) أى : هذا أيضا غايتها، أن كــانت مــن الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء....، فإذا كان عيسى ــعليه السلام ــ من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأى شــئ اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟ ، وقوله :﴿كانا يأكلان الطعام﴾ دليل ظاهر عــلى أنهما عبدان فقيران محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانــا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب ولم يحتاجا إلى شئ، فإن الإله هو الغنى الحميد)) [٢]٠

(١) فتح القدير جــ٢ /٦٤ ٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن جــ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧ ٠

وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾[1] وأن مريم ولدت إلهـــا، ولذلك رد الله عليهم هذا البهتان وعليه فكيف يدَّعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم كما أن دلائل الحدوث ظاهـــرة عليه[2].

وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾[3].

قـــال القـــاسمى فى تفسيره: ((....... ذكر تعالى أنه يعدد نعمه على عيسى بحضـــرة الرسل واحدة فواحدة إشعاراً بعبوديته، فإن كل واحد من تلك النعم المعـــدودة عـــليه، تـــدل على أنه عبد وليس بإله ثم أتبع ذلك باستفهامه لينطق بإقـــراره – عليه السلام – على رؤوس الأشهاد بالعبودية، وأمره لهم بعبادة الله عز وجل إكذابا لهم فى افترائهم عليه، وتثبيتا للحجة على قومه، فهذا سر سؤاله تعـــالى له، مع علمه بأنه لم يقل ذلك، وكل ذلك لتنبيه النصارى الذين كانوا فى وقـــت نـــزول الآيـــة ومـــن تأثـــر بهـــم على قبح مقالتهم وركاكة مذهبهم واعتقادهم))[4].

ومثل ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً﴾ إلى قوله: ﴿وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[5].

---

(١) المائدة /آية :٧٢ .

(٢) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان جـــ١ /٢٥ .

(٣) المائدة /آية :١١٦ ، ١١٧

(٤) محاسن التأويل جـــ٦ /٢٢١٩ .

(٥) مريم الآيات من ٣٠ – ٣٦ .

قـــال ابـــن كثير فى تفسيره :((ومما أمر عيسى به قومه وهو فى مهده : أن أخـــبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه وأمرهم بعبادته فقال :﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أى :هـــذا الذى جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أى : قويم، من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى))[1].

وعن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال :((من شهد ان لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))[2].

---

(١) تفسير ابن كثير جــ٤ /٢٢٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء باب ٤٧ جــ٦ /٤٧٤ ، ومسلم كتاب الإيمان جــ١ /٥٨، ٥٩، وأحمد فى مسنده جــ٥ /٣١٣، ٣١٤ .

٢- الآيات الدالة على عبودية النبى ﷺ

جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل وترشد إلى حقيقة هامة ألا وهى أن النبى ﷺ بشر كسائر البشر، ولكنه فضل عليهم بالنبوة والرسالة التى توجب محبته وطاعته والانقياد لأمره ﷺ ، كما نهى ﷺ عن الغلو والإطراء فى شخصه، وذلك سدًّا لذريعة اتخاذه شريكا مع الله، أو صرف أى لون من ألوان العبّادة له ﷺ قال تعالى :﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[١] . ولهذا كانت العبودية هى أشرف مقام للنبى ﷺ وقد خاطبه ربه بها فى أشرف المناسبات وأعظم المقامات قال تعالى:﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾[٢]، وقال تعالى : ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾[٣] . وقال سبحانه :﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[٤]، وقال تعالى :﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا . قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾[٥] .

وإذا كان رسول رب العالمين الذى هو أكمل الخلق وأقربهم إلى الله عز وجل لا يملك ضرا ولا رشدا بنص كتاب الله الكريم فغيره من سائر الخلق ممن هم دونه ﷺ من باب أولى وأحرى، بل إنه ﷺ ما سبق غيره إلا بكمال عبوديته لربه .

قال ابن القيم «...... فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهودا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من

---

(١) الأعراف / آية : ١٨٨ .

(٢) الإسراء / آية : ١ .

(٣) الكهف / آية : ١ .

(٤) الفرقان / آية : ١ .

(٥) الجن / الآيات من ١٩ - ٢١ .

دعائـــه ﷺ «أصلح لى شأنى كله، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، ولا إلى أحد مـــن خـــلقك»[١]، وكان يدعو :«يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»[٢] ، يعلم ﷺ أن قلبه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئاً، وأن الله سبحانه يصرفه كمـــا يشاء، وهو يتلو قوله تعالى :﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا﴾[٣]، فضـــرورته ﷺ إلى ربـــه وفاقـــته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده..، ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم جاها وأرفعهم عنده منزلة لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربه .....، وذكره الله سبحانه بسمة العبودية فى أشرف مقاماته، مقام الإسراء، ومقام الدعوة، ومقام التحدى فقال : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾[٤] . وقال :﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه﴾[٥] . وفى حديـــث الشـــفاعة :«أن المسيح يقول لهم : اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[٦]، فنال ذلك المقام بكمال عبوديته لله وبكمال مغفرة الله لـــه»[٧] . وللعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى – رحمه الله – كلام جميل على هذا الموضوع يحسن إيراد شئ منه هنا لتتم الفائدة . قال وهو يفسر أوائل ســـورة الحجرات : «مسألتان : الأولى : اعلم ان عدم احترام النبى ﷺ المشعر بـــالغض منه، أوتنقيصه ﷺ والاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفـــر بالله، وقد قال تعالى فى الذين استهزءوا بالنبى ﷺ وسخروا منه فىغزوة

---

(١) أخرجه أبوداود فى كتاب الأدب باب ١١ جـــ٥ /٣٢٦ ، وأحمد فى مسنده جـــ٥ /٤٢ .

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الدعوات جـــ٩ /٥٠٤ ، ومسند أحمد جـــ٣ /٢٥٧ ،والسنة لابن ابى عاصم جـــ١ /١٠١ ، والآجرى فى الشريعة /٣١٧ .

(٣) الإسراء / آية : ٧٤ .

(٤) الإسراء / آية :١ .

(٥) الجن / آية : ١٩ .

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب ١٩ جـــ١٣/ ٣٩٢، ومسلم كتاب الإيمان باب ٨٤ جـــ١ /١٨٠، ١٨١ .

(٧) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٠ ،١١ .

تــبوك لما ضلت راحلته :((ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسو له كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم))[1].

المسألة الثانية : وهى من أهم المسائل ، اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميــز بــين حقوق الله تعالى التى هى من خصائص ربوبيته التى لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبى ﷺ ليضع كل شئ فى موضعه على ضوء ما جاء به النبى ﷺ فى هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

وإذا عــرفت ذلــك فاعلم :أن من الحقوق الخاصة بالله التى هى من خصائص ربوبيته التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التى لا يقدر على كشفها إلا الله، فالتجاء المضــطر الــذى أحاطت به الكروب ودهمته الدواهى لا يجوز إلا لله وحده، لأنه من خصــائص الربوبية، فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته، وطاعــة رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبى ﷺ لأن أعظم أنواع توقــيره وتعظــيمه هو اتباعه والاقتداء به فى إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعــلا، وقد بين جل وعلا فى آيات كثيرة من كتابه أن التجاء المضطر من عباده إليه وحــده فى أوقــات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى ... قال تعالى :﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون﴾[2]، ثم بين من خصائص ربوبيــته الدالة على أنه المعبود وحده فقال :﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾[3] ، فهــذه المذكورات التى هى خلق السموات والأرض وإنزال الماء من الســماء وإنبات الحدائق ذات البهجة التى لا يقدر على إنبات شجرها إلا الله من خصــائص ربوبيــة الله، ولــذا قــال تعالى بعدها ((أإله مع الله)) يقدر على خلق

---

(١) التوبة / آية :٦٥ ، ٦٦ .

(٢) النمل / آية : ٥٩ .

(٣) المائدة / آية : ٦٠ .

السموات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق به، والجواب «لا» لأنه لا إله إلا الله وحده ...»[١].

٣- الآيات الدالة على أن دعاء غير الله واللجوء إليه شرك.

جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تبين أن الدعاء والاستعاذة والاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له، وأن الآلهة الباطلة التى عبدت من دونه لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرا، فكيف يرجو العبد منها شيئا لا تملكه، وذلك سدًّا لذريعة التعلق بها، أو اعتقاد نفع فيها، ويسلك القرآن الكريم فى ذلك مسلكا عظيما يضيق المقام عن استقصائه، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض من ذلك [٢].

أ- بيان عجز هذه الآلهة المزعومة وإبراز فقرها وضعفها كقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾[٣]. وكقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين. ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[٤]. فقد بينت هذه الآيات بيانا شافيا قاطعا للعذر أن غير الله لا يدعى لأنه إلى جانب أنه لا ينفع ولا يضر لم يخلق شيئا بالاستقلال، كما لم يخلق شيئا بالشركة، وليس عند المشركين أى دليل على ما يفعلون، ثم بينت الآيات ضلال من يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، بل نصَّت على أن المدعو غافل عن دعاء الداعى، مما يبين عجزه وضعفه وشدة

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن جـ٧ /٦١٧ - ٦٢١.
(٢) باختصار وتصرف من كتاب دعوة التوحيد للدكتور /محمد خليل هراس ص ٣٥ - ٤٠.
(٣) الإسراء آية: ٥٦ - ٥٧.
(٤) الأحقاف الآيات من ٤ - ٦.

احتياجه إلى خالقه وربه، وقد ذكر القاسمي - رحمه الله - فى الآيات الأخيرة لطيفة جميلة نقلها عن من يعرف بالناصر وإليك نصها :((لطيفة : قال الناصر: فى قوله "إلى يوم القيامة" نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المُغيًّا عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية، لأهم فى يوم القيامة أيضا لا يستجيبون لهم، فالوجه - والله أعلم - أها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها، وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثانى، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشئ وضده، وذلك أن الحالة الأولى التى جعلت غايتها القيامة، لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة والكفر بعبادقم إياهم، فهو من وادى ما تقدم آنفا فى سورة الزخرف فى قوله :﴿بل متّعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين· ولما جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾[1] .

ومثل هذه الآيات ما جاء فى قوله تعالى :﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير· إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾[2] .

فقد أخبر الله فيها عن حال المدعوّين من دونه من الملائكة والأنبياء وغيرهم بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأهم قد انتفت عنهم الأسباب التى تكون فى المدعو، وهى الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية؟[3] .

(١) محاسن التأويل جـ١٥ /٥٣٣٨ ، ٥٣٣٩ ، والآيتين من سورة الزخرف ٢٩،٣٠ .
(٢) فاطر / آية : ١٣ ، ١٤ .
(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ١٨٨ .

ب- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة و رميهم بالضلال والسفه وعدم التعقل والتفكر، حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا من لا يستحق العبادة ممن لا يملك لهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا يسمع ولا يبصر،ولا يملك من أمر نفسه شيئا، وذلك لأن الإله يجب أن يكون متصفا بصفات الجلال والكمال منزها عن صفات العجز والنقص والحدوث والاحتياج، لأن كل ذلك مناف للإلهية . قال تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام – فى خطابه لقومه :﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾[1] . وقال تعالى :﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾[2] .

جـ- تصوير ما سيكون وسيقع يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين، وإنكارهم أن يكون لهم يد فى إضلالهم وشركهم، ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى :﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون. فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين. هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾[3] .

يقول ابن كثير فى هذه الآيات :«وفى هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغنى عنهم شيئا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أراده، بل تبرأ منهم فى وقت أحوج ما يكونون إليه،

(١) الأنبياء / آية : ٦٧ .

(٢) الرعد / آية : ١٤ .

(٣) يونس الآيات من ٢٨ – ٣٠ .

وقد تركوا عبادة الحى القيوم السميع البصير، القادر على كل شئ، العليم بكل شـــئ، وقـــد أرسل رسله وأنزل كتبه آمرا بعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى :﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾[١]، وقال تعالى :﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٢]، وقال :﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[٣].

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله فى كتابه، وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد»[٤].

(١) النحل / آية :٣٦ .
(٢) الأنبياء / آية : ٢٥ .
(٣) الزخرف / آية : ٤٥ .
(٤) تفســير ابن كثير جـ٣ /٢٠١ ، ٢٠٢ ، وراجع ما بعدها من صفحات فإنه كلام جيد ونفيس.

المبحث الثالث: بعض أحاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر .

بعث رسول الهدى ﷺ رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، وكان ﷺ حريصا كل الحرص على رجوع العباد إلى ربهم وعبادتهم له وحده، وكان توحيد العبادة على رأس المهمات التى ركز عليها ﷺ ، بل هو لُبّ دعوته ودعوة إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ولذلك لا نجد عجبا حينما نجد كتب السنة قد امتلأت بكثير من الأحاديث التى حذر فيها النبى ﷺ أمته من الشرك، واحتاط ﷺ لهذا الأمر احتياطا عظيما بالغا، فسد الذرائع وأغلق أى باب يؤدى إلى الشرك، وأكّد وكرر ونهى وحذر فى مواقف مختلفة متعددة، حتى وقع ذلك منه ﷺ وهو على فراش الموت .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :((وقد كان النبى ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا ((لا إله إلا الله))، فإن الإله هو الذى تألهه القلوب، لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف))[1] .

وهذه نبذة يسيرة مما قاله ﷺ فى ذلك .

١- نهى عن الغلو فيه حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى عبادته من دون الله، أو مع الله .

فعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال :سمعت النبى ﷺ يقول ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا : عبدالله ورسوله))[2] والإطراء هو مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه[3]، ولذلك نهى عنه النبى ﷺ حتى لا تقع أمته فيه، وتفعل كما فعلت النصارى بعيسى بن مريم .

---

(١) مجموع الفتاوى جـ١ /١٣٦ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء باب ٤٨ جـ٦ / ٤٧٨ ، والدرامى فى كتاب الرقائق جـ٢ ٣٢٢ /٠، وأحمد فى مسنده جـ١/٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥.

(٣) النّهايـة في غريب الحديث والأثر جـ ١٢٣/٣ .

قـال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ فى شرحه للحديث :((أى لا تمدحـونى فتغـلوا فى مدحـى كما غلت النصارى فى عيسى - عليه السلام- فـادَّعوا فيـه الإلهية، وإنما أنا عبدالله ورسوله فصفونى بذلك كما وصفنى ربى فقولوا عبدالله ورسوله...))[1].

وقد بين النبى ﷺ أن الغلو بصفة عامة أهلك الأمم السابقة، وكان سببا فى القضـاء عليها، ومن هنا حذر أمته منه حتى لا تهلك كهلاكهم، فعن ابن عباس - رضـى الله عنه - ((قال : قال لى رسول الله ﷺ غداة جمع [2] هلُم القط لى ، فـلقطت لـه حصيات من حصى الخذف [3]، فلما وضعهن فى يده قال : نعم بأمـثال هـؤلاء، وإياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين))[4].

ولمسـلم عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ ((هـلك المتنطعون)) قالها ثلاثا [5]. والمتنطعون : هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم [6].

وكـرر الـنبى ﷺ هـذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة فى التعليم والإبلاغ، وتحذيرا من الوقوع فيه لخطره وضرره على العقيدة وحماية لجناب التوحيد.

قـال ابـن القيم ((فدين الله بين الغالى فيه والجافى عنه، وخير الناس النمط الأوسـط، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهى الخيار العدل لتوسطها

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٠٣ ، ٢٣١ .
(٢) يعنى مزدلفة.
(٣) أى حصى صغارا . انظر لسان العرب جـ٩ / ٦١ .
(٤) أخرجه أحمد فى مسنده جـ١/٢١٥ ، ٣٤٧ ، والنسائى فى كتاب مناسك الحج جـ٥ / ٢١٨ ، وابن ماجة كتاب المناسك باب ٦٣ جـ٢/١٠٠٨، وابن أبى عاصم فى السنة جـ١/٤٦، والحاكم فى المستدرك، وقال :صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .
(٥) صحيح مسلم كتاب العلم باب ٤ جـ٤ / ٢٠٥٥ .
(٦) شرح النووى على مسلم جـ١٦ / ٢٢٠ .

بـــين الطرفين المذمومين، والعدل : هو بين طرفى الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها •

قال الشاعر:

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت ∴ بها الحوادث حتى أصبحت طرفا[١] •

وقـــد كان الغلو هو سبب عبادة الأصنام وحدوث الشرك فى الأرض كما جـــاء فى البخارى عن ابن عباس – رضى الله عنه – فى قول الله تعالى : «وقالوا لاتـــذرنَّ آلهـــتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا» [٢] قال «....... أسمـــاء رجـــال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ [٣] العلم عبدت» [٤] •

فهؤلاء كما جاء فى الحديث غلوا فى هؤلاء الصالحين لمَّا صوروا صورهم ونصـــبوها فى مجالســـهم، وكان الدافع لهم إلى ذلك – فى زعمهم– أن ينشطوا ويجتهدوا فى الطاعة والعبادة ويسلكوا سبيلهم ولكن آل الأمر بعد طول الأمد وغلـــبة الجهل ووسوسة الشيطان إلى عبادتهم من دون الله عز وجل، وقد ساق ابـــن جرير الطبرى بإسناده إلى محمد بن قيس أنه قال :«كانوا قوما صالحين من بـــنى آدم، وكـــان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقـــتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فـــلما مـــاتوا وجـــاء آخرون دب إليهم إبليس فقال «إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم» [٥] •

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـــ١ / ١٨٢ •

(٢) نوح / آية : ٢٣ •

(٣) يعنى تحول وتغير ونسى بسبب ذهاب العلماء •

(٤) البخارى كتاب التفسير جـــ٨ /٦٦٧ •

(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن جـــ٢٩ / ٦٢ •

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن :((فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير علـــى صـــور الصالحين سُلّما إلى عبادها، وكل ما عبد من دون الله من قبر، أو مشهد، أو صنم، أوطاغوت فالأصل فى عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوى البصائر))[1]۰

وقال الشيخ حافظ الحكمى بعد ذكره لحديث ابن عباس :((فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادها ممن يخلفهم))[2]۰

وقال الشيخ صديق حسن خان :((ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو فى المخلوق وإعطاؤه فوق مترلته))[3]۰

٢- بيان النبى ﷺ أن الاستغاثة بالله وحده۰

الاســـتغاثة: هـــى طلب الغوث وهو إزالة الشدة۰يقال : استغاثنى فلان فأغثـــته، ولا تجـــوز بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله۰ قال تعالى مبينا استغاثة الرســـول ﷺ وصحبه الكرام بربهم وحده :﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾[4]۰

وعن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه – قال ((لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشـــركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نـــبى الله ﷺ القبـــلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه :(اللهم انجز لى ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض)، فمـــازال يهـــتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن

---

(١) فتح المجيد (الهامش) ص ٢٢٥ ۰

(٢) معارج القبول جـــ١ / ٤٢٢ ۰

(٣) الدين الخالص جـــ٢/ ٤٤٥ ۰

(٤) الأنفال / آية : ٩ ۰

منكبيه، فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال:يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾، فأمده الله بالملائكة »[١].

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال :قال أبو بكر : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله : «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل»[٢].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث :«فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا بمن دونه. كره النبي ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته، حماية لجناب التوحيد وسدا لذرائع الشرك وأدبا وتواضعا لربه وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته»!

وقال في قرة العيون :«........ وقيل إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعا مخافة أن يقع من أمته استغاثة بمن لا يضر ولا ينفع»[٣]. قلت : ويظهر بذلك أن الاستغاثة نوعان:

---

(١) مسلم كتاب الجهاد باب ١٨ جـ٣ /١٣٨٤ ، وأحمد في مسنده جـ١ / ٣٠ ، ٣٢ .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠ / ١٥٩ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. قلت : ابن لهيعة ضعيف مختلط إلا في رواية العبادلة عنه، وهذه ليست منها، وقد ذكر بعض العلماء هذا الحديث في كتبهم كابن تيمية وغيره وسقته هنا كشاهد على موضوع سد الذرائع التي أنا بصدد الحديث عنها.

(٣) فتح المجيد / ١٨٤ ، ١٨٥ ، وبها مشه كلامه في قرة العيون.

أ- استغاثة لا يقدر عليها إلا الله ولا تطلب إلا منه وحده، وطلبها من غيره شرك، وهى التى تقدم الحديث عنها.

ب- اســـتغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ويتمكن من فعله والقيام به، فهـــذه ليست شركا، وذلك كاستغاثة الغريق مثلا بمن ينقذه ومنه استغاثة الإســـرائيلى بموسى - عليه السلام - كما جاء فى قوله ﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾[1].

٣- النهى عن اتخاذ القبور مساجد وعبادة الله عندها.

قبل بيان ما ورد فى الشرع من ذلك أرى من الضرورى أن أبين أولاً صفة القـــبور الشـــرعية، حـــتى يتبين لنا المخالفات التى وقع فيها من اتخذوا القبور مســـاجد، ونفهم أيضا أهمية التحذيرات المتكررة من النبى ﷺ ونهيه الشديد عن اتخاذ القبور مساجد.

قال ابن فارس فى مادة ((قبر)) :"القاف والباء والراء أصل صحيح يدل عـــلى غمـــوض فى شئ وتطامن[2]، ومن ذلك القبر قبر الميت، ويقال فى اللغة: أطمأنت الأرض وتطأمنت: انخفضت [3].

وهـــذا يحـــدد مفهـــوم كلمة ((قبر)) فى اللغة، وهو ما كان من المواضع منخفضا غير شارع ولا بارز.

(١) القصص / آية : ١٥ .

(٢) أى انخفاض .

(٣) انظرمعجم مقاييس اللغة (ج٥/٤٧)ولسان العرب جـــ١٣ / ٢٦٨ .

وقــد بين النبى ﷺ فى سنته صفة القبور، وما يجب أن تكون عليه، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما– قال «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه»[(١)].

وعن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى على بن أبى طالب: ألا أبعثك على مــا بعثنى عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[(٢)].

وقــد وردت أحــاديث كثيرة بهذا المعنى، وكلها تدل على تحريم البناء على القبور أو الكتابة عليها وتجصيصها، وإيقاد السرج عليها[(٣)].

والآن إلى ذكــر بعــض الأحــاديث الواردة فى النهى عن اتخاذ القبور مساجد والصلاة عندها، وبيان ما فى ذلك من سد لذرائع الشرك.

١–عن عائشة وعبدالله بن عباس – رضى الله عنهما – قالا: لما نزل[(٤)] برسول الله ﷺ طفق[(٥)] ﷺ يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتنم بها كشفها عــن وجهــه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الجنائز باب ٣٢ جـ٢ /٦٦٧، وأحمد فى مسنده جـ٣/ ٣٣٩، والترمذى فى أبواب الجنائز باب ٥٧ جـ٤ / ١٥٥، وأبو داود فى كتاب الجنائز باب ٧٦ جـ٣ /٥٥٢.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الجنائز باب ٣١ جـ٢ /٦٦٦، والترمذى فى أبواب الجنائز باب ٥٥ جـ٤/١٥٠، وأبو داود فى كتاب الجنائز باب ٧٢ جـ٣ / ٥٤٨.

(٣) يــراجع فى ذلك المبحث الثالث من الفصل الثانى من كتابى "أصول الاعتقاد عند الإمام البغوى".

(٤) نُزل و نزل، والمعنى: لما نزل ملك الموت، أو حضرت المنية، والوفاة رسول الله ﷺ

(٥) طفق: بكسر الفاء وفتحها، أى: جعل، والكسر أفصح وأشهر.

(٦) الحديــث أخرجه البخارى فى مواضع منها كتاب الصلاة باب ٥٥ جـ١/٥٣٢، وكتاب الجنائز باب ٦١ جـ٣ /٢٠٠، وباب ٩٦ جـ٣/٢٥٥، وكتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٠ =

قال القرطبي فى معنى الحديث :((وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب فى عبادة الأصنام))، وقال أيضاً :((ولهذا بالغ المسلمون فى سد الذريعة فى قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكنوا أحدا من استقبال قبره [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :((فحرم ﷺ أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها، كما تقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه، والدعاء به، والدعاء عنده، فنهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله، والفعل إذا كان يفضى إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، كما نهى عن الصلاة فى الأوقات الثلاثة لما فى ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذى يفضى إلى الشرك))[2].

وقال فى موطن آخر:((إنه نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تكبير القبور وتشريفها وأمر بتسويتها، ونهى عن الصلاة إليها

= جـ٦/٤٩٤، ومسلم فى كتاب المساجد باب ٣ جـ١/ ٣٧٧، والنسائى فى كتاب المساجد باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد جـ٢/٣٣ وأحمد فى مسنده جـ٦ /٢٢٨ ، ٢٧٥ .

(١) فتح المجيد /٢٣٩ .

(٢) مجموع الفتاوى جـ٣ / ١٦٣ ، ١٦٤ .

وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا، وحرم ذلك على من قصد هذا ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدا للذريعة»[١].

٢-وفى الصحيحين وغيرهما [٢] أن أم حبيبة وأم سلمة – رضى الله عنهما – ذكــرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال ﷺ :«أولئك إذا مــات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

قــال ابــن حجــر «وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويــتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهــلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونهــا فعبدوها، فحذر النبى ﷺ عن مثل ذلك ســدا للذريعة المؤدية إلى ذلك [٣].

وقال ابن القيم بعد ذكره لهذا الحديث وغيره من الأحاديث الناهية عن اتخــاذ القبور مساجد :«إن فتنة الشرك بالصلاة فى القبور ومشابهة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإذا نهى عن ذلك، أى عن الصــلاة بعد هذين الوقتين سدا لذريعة التشبه التى لا تكاد تخطر ببال المصلى، فكيف بهذه الذريعة القريبة التى كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى

---

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى جــ٣ / ١٤١ .

(٢) أخــرجه البخارى فى كتاب الصلاة باب ٤٨ جــ١/٥٢٣ ، وباب ٥٤ جــ١/٥٣١ ، وكــتاب الجــنائز باب ٧٠ جــ٣ / ٢٠٨ ، وكتاب مناقب الأنصار باب ٣٧ جــ٧ / ١٨٧،١٨٨ ، ومســلم فى كــتاب المساجد باب ٣ جــ١ / ٣٧٥ ، والنسائى فى كتاب المساجد جــ٢ /٣٣ .

(٣) فتح البارى جــ١/٥٢٥ .

واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل منها فى المساجد مما هو محادة لله ورسوله ﷺ))[1].

٣- وعـــن جندب بن عبدالله البجلى أنه سمع النبى ﷺ قبل أن يموت بخمــس وهو يقول ((إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله تعالى قــد اتخذنى خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً، ولو كنت متخذا من أمتى خليلاً لاتخــذت أبـــا بكــر خليلا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنــبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك))[2].

قـــال النووى ((قال العلماء : إنما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مســجداً خوفـــاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية ......))[3].

وقـــال ابن القيم ((إن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن مـــن فعـــل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصـــلاة إليهـــا وعـــندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذهـــا عيدا، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدًّا للذريعة))[4].

وقـــد ذكر الصنعاني بعد سياقه لبعض الأحاديث المبينة لصفات القبور الشرعية :((وهذه الأخبار المعبر فيها باللعن والتشبيه بقوله :(لا تجعلوا قبرى وثنا يعـــبد مـــن دون الله)، تفيـــد الـــتحريم للعمارة والتزيين والتجصيص، ووضع

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ١/ ١٨٨ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحة كتاب المساجد باب ٣ جـ١ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣) شرح النووى على مسلم جـ ٥ / ١٣ .

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين جـ٣ /١٥١ .

الصـــندوق المزخـــرف، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه، والتمسح بجدار القـــبر، وأن ذلك قد يفضى مع بعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السـابقة مـــن عبادة الأوثان، فكان فى المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضـــية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة فى شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضى إليه))[١].

٤-وعـــن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنـــه - قـــال ((نذر رجل على عهـــد الـــنبى ينحر إبلا ببوانة[٢]، فقال النبى ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا :لا، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالو : لا . قال رسول الله ﷺ ((أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم))[٣].

---

(١) سبل السلام شرح أدلة الأحكام جــ٢/٥٧٤ .

(٢)بوانة: هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.انظر معجم البلدان (جــ ١/٥٠٥)

(٣) أخـــرجه أبوداود فى سننه كتاب الأيمان والنذور باب ٢٣ جــ٩ / ١٤٠ .وقال الشيخ الألبانى. صحيح. انظر صحيح سنن أبى داود جــ٢ /٦٣٧ .

الفصل الثانى: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر.

الشرك الأصغر: هو النوع الثانى من أنواع الشرك بعد الأكبر، وهو لا يخرج من الملة، ولكنه قد يحبط العمل الذى يصاحبه أو ينقص ثوابه [1]، وقد خاف النبى ﷺ على أمته منه، كما جاء فى حديث محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟» [2]، والمراد بالرياء فى هذا الحديث هو يسيره، لا النفاق الاعتقادى الأكبر المخرج من الملة، وذلك أن الرياء قد يطلق ويراد به النفاق الأكبر كما جاء فى قوله تعالى: ﴿كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[3].

قال ابن كثير فى تفسيره: «...... أى: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: "ولا يؤمن بالله واليوم الآخر"» [4].

---

(١) انظر معارج القبول جـ١ / ٤٥٠.
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده جـ٥ / ٤٢٨، ٤٢٩، والبغوى فى شرح السنة جـ١٤ / ٣٢٤.
(٣) البقرة / آية: ٢٦٤.
(٤) تفسير ابن كثير جـ١ / ٤٧٠.

وطـــريقة التفريق بين الرياء الذى هو النفاق الأكبر، وبين الرياء الذى سمـــاه النبى ﷺ شركاً أصغر حديث :«إنما الأعمال بالنيات.....»[١]، فالنية هى الـــتى تفـــرق بيـــنهما، وقد وضح ذلك وفصله الشيخ حافظ الحكمى فقال : «......فـــإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل والدار الآخرة فذلـــك النفاق الأكبر ...، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة، ولكن دخل عليها الرياء فى تزيينه وتحسينه فذلك هو الذى سماه النبى ﷺ الشرك الأصغر وفسره بالرياء العملى......»[٢].

ولخطـــورة هذا النوع من الشرك أيضاً، ولخفائه أحياناً، وصيانة لجانب الـــتوحيد، فقد سدَّ الشارع كل الوسائل المفضية إلى الوقوع فيه، وسأبين ذلك من خلال المبحثين التاليين:

---

(١) أخرجه البخارى فى مواطن منها كتاب بدء الوحى باب ١ جـــ١ / ٩، ومسلم فى كتاب الإمارة باب ٤٥ جـــ٣ / ١٥١٥ .

(٢) معارج القبول جـــ١ / ٤٥٤ .

المبحث الأول: سد الذرائع فى الألفاظ

لقد تهاون كثير من الناس فى هذه المسألة، وأصبحوا يطلقون كلمات توقعهم فى هذا اللون من الشرك، ولكثرة وقوعه وانتشاره بدأت الحديث عنه فى هذا الفصل، ومن أمثلة سد الذرائع فى هذا الباب ما يلى:

أ- النهى عن الحلف بغير الله: لما كان الحلف بالشئ يقتضى تعظيمه، والعظمة فى الحقيقة لله وحده، نهى الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله كما فى حديث عمر - رضى الله عنه - قال : قال لى رسول الله ﷺ :((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم))[1].

وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))[2]. قال الترمذى بعد سياقه : ((هذا حديث حسن [3]، وتفسير هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله : "فقد كفر أو أشرك))، على التغليظ، والحجة فى ذلك حديث ابن عمر أن النبى ﷺ سمع عمر يقول : وأبى وأبى، فقال :((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم))، وحديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :((من قال فى حلفه :و اللات والعزى فليقل :لا إله إلا الله)).

وهذا مثل ما روى عن النبى ﷺ أنه قال :((الرياء شرك))، وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية :﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾ الآية . قال : لا يرائى))[4].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأيمان باب ٤ جـ١١/ ٥٣٠ ، ومسلم كتاب الأيمان باب ١ جـ٣ /١٢٦٦ ، ومالك فى الموطأ جامع الأيمان جـ٣ /٦٧ من شرح الزرقانى.

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب النذور باب ٨ جـ٥ / ١٣٥ من تحفة الأحوذى.

(٣) قال الشيخ الألبانى بعد ذكره لكلام الترمذى هذا، بل هو صحيح. انظر السلسلة الصحيحة جـ٥ /٧٠ .

(٤) الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى جـ٥ / ١٣٦ ، ٣١٧ .

قال ابن حجر :((والتعبير بقوله :"فقد كفر أو أشرك للمبالغة فى الزجر والتغليظ فى ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك))[١] .

قال أبو جعفر الطحاوى :((لم يرد به الشرك الذى يخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكنه أراد أنه لا ينبغى أن يحلف بغير الله تعالى، لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به محلوفا به، كما جعل الله تعالى محلوفا به، وبذلك جعل من حلف به أو ما حلف به شريكا فيما يحلف به، وذلك أعظم، فجعله شركا بذلك شركا غير الشرك الذى يكون به كافرا بالله تعالى خارجا عن الإسلام)) .

قال الشيخ الألبانى بعد نقله لهذا الكلام :((يعنى – والله أعلم – أنه شرك لفظى وليس شركا اعتقاديا، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته، وهو كلام وجيه متين))[٢] .

ب–النهى عن قول :((ما شاء الله وشئت)) .

قال البخارى فى صحيحة ((باب لايقول ما شاء الله وشئت))[٣] .

وعن حذيفة بن اليمان أن رجلا من المسلمين رأى فى النوم أنه لقى رجلا من أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون . تقولون : ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال :((أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد)) [٤] .

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعى :((المشيئة إرادة الله قال الله سبحانه وتعالى :﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾[٥] ، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون

---

(١) فتح البارى جـ١١ /٥٣١ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١ /٢١٧ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأيمان والنذور باب ٨ جـ١١ /٥٣٩ .

(٤) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الكفارات باب ١٣ جـ١ م ٦٨٥، والدارمى فى سننه كتاب الاستئذان جـ٢/٢٩٥ ، وأحمد فى مسنده جـ٥ /٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٥) الإنسان / آية : ٣٠ .

خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، فيقال لرسول الله ﷺ :((ما شاء الله ثم شئت))، ولا يقال :((ما شاء الله وشئت))[1].

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رجلاً قال للنبي ﷺ :((ما شاء الله وشئت))، فقال له النبي ﷺ :((أجعلتنى والله عدلا، بل ما شاء الله وحده))[2].

قــال ابن القيم :((إنه ﷺ قال :"لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وذم الخطيب الذى قال :(من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى)، ســدا لذريعة التشريك فى المعنى بالتشريك فى اللفظ، وحسما لمادة الشرك حتى فى اللفظ، ولهذا قال للذى قال له :((ما شاء الله وشئت)) أجعلتنى لله ندا؟ فحسم مادة الشرك، وسد الذريعة إليه فى اللفظ، كما سدها فى الفعل والقصد، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها وأعمها))[3].

وقــال الشــيخ الألبانى بعد ذكره لبعض الأحاديث في هذا الموضوع: ((قلت: وفى هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره :ما شاء الله وشئت يعتبر شركا فى نظــر الشارع، وهو من شرك الألفاظ، لأنه يوهم أن مشيئة العبد فى درجة مشــيئة الرب سبحانه وتعالى، وسببه القرن بين المشيئتين، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعى العلم مالى غير الله وأنت، وتوكلنا على الله وعليك، ومــثله قول بعض المحاضرين : باسم الله والوطن، أو باسم الله والشعب، ونحو ذلــك مــن الألفاظ الشركية التى يجب الانتهاء عنها والتوبة منها، أدبا مع الله تبارك وتعالى))[4].

---

(١) شرح السنة للبغوى جــ١٢ / ٣٦١ .

(٢) مسند أحمد جــ١ /٢١٤، ٢٢٤،٢٨٣، ٣٤٧ .

(٣) إعلام الموقعين جــ٣ / ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة جــ١ /٢١٧ .

جـ- النهى عن قول : عبدى وأمتى .

عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة – رضى الله عنه – يحدث عن النبى ﷺ أنه قال :((لا يقل أحدكم :أطعم ربك وضئ ربك، وليقل :سيدى، مولاى، ولا يقل أحدكم : عبدى،أمتى، وليقل :فتاى، وفتاتى وغلامى))[1] .

قال البغوى :((قيل :إنما منع من أن يقول :ربى أواسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل فى معنى الشرك، والعبد والحُر،فيه بمنزلة واحدة، فأما ما لا تعبُّد عليه من سائر الحيوان والجماد فلا يمنع منه، كقولك : رب الدار، ورب الدابة والثوب، ولم يمنع العبد أن يقول :سيدى ومولاى، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده، والسياسة له وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمى الزوج سيدا . قال الله سبحانه وتعالى :﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾[2] ......، ومنع السيد من أن يقول : عبدى، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عَبْدُالله، مُتعبَّد بأمره ونهيه، فإدخاله مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك ...))[3] .

وقال النووى فى شرحه للحديث ((يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدى وأمتى، بل يقول ((غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العتق باب ١٧ جـ٥ /١٧٧، ومسلم فى كتاب الألفاظ باب ٣ جـ٤/١٧٦٥، وأبوداود فى سننه كتاب الأدب باب ٨٣ جـ٥/٢٥٦ ، وأحمد فى مسنده جـ٢ /٣١٦ ، ٤٢٣، ٤٦٣ .

(٢) يوسف / آية : ٢٥ .

(٣) شرح السنة جـ١٢ /٣٥٠ ، ٣٥١ .

بــين الــنبى ﷺ العــلة فى ذلك فقال :كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول فى اللفظ»[1].

وقــال ابن القيم :«إن النبى ﷺ نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته : عــبدى وأمتى، ولكن يقول :فتاى وفتاتى، ونهى أن يقول لغلامه :وضئ ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك فى اللفظ والمعنى، وإن كان الرب ههنا هو المالك كــرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومــنع مــن إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك»[2].

وقال عبدالرحمن بن حسن :«هذه الألفاظ المنهى عنها، وإن كانت تطلق لغة، فالنبى ﷺ نهى عنها تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك فى اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه فى الاسم فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك فى الربوبية التى هى وصف الله تعالى...، فالنهى عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد، وبعدا عن الشرك حتى فى اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله :(سيدى ومولاى) وكذا قوله :(ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى)، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله. قال الله تعالى :﴿إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾[3]، ففى إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك فى اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا :(فتاى وفتاتى وغلامى)، وهنا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، فقد بلغ ﷺ أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص فى الدين، فلا خير إلا دلهم

---

(١) شرح النووى على مسلم جـ١٥ / ٧ .

(٢) إعلام الموقعين جـ٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) مريم / آية : ٩٣ .

عليه،خصوصا فى تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم منه خصوصا ما يقرب من الشرك لفظا وإن لم يقصد. وبالله التوفيق»[١].

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ٤٦٧ .

المبحث الثانى : سد الذرائع فى الأعمال

كما نهى الشارع عن الشرك فى الألفاظ وسَدَّ كل الوسائل المؤدية إليه، نهـى أيضا وحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك فى الأعمال، ويظهر ذلك فى الصور التالية:

أ- النهى عن التمائم:

التمائم: جمع تميمة، وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين فى زعمهم فأبطلها الإسلام [1].

وعـن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) [2].

وقـد اختلف العلماء فى التمائم إذا كانت من القرآن الكريم، فأباحها البعض كالرقى الشرعية، ومنعها آخرون سدا لذريعة الوقوع فى الشرك، ومن هؤلاء ابن مسعود وابن عباس وغيرهم.

قـال الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كتابه التوحيد :((التمائم شئ يعلق علـى الأولاد عـن العـين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهىعنه منهم ابن مسعود - رضى الله عنه -)).

قـال شـارحه :((هـذا هو الصحيح- أى النهى عن تعليق التمائم من القرآن - لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول : عموم النهى ولا مخصص للعموم.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ١/ ١٩٧ ، وانظر شرح السنة جـ١٢ /١٥٨ .

(٢) أخـرجه أبـوداود فى سننه كتاب الطب باب ١٧ جـ١٠ /٣٦٧ ، وابن ماجة كتاب الطب باب ٣٩ جـ٢ /١١٦٧ وأحمد فى مسنده جـ١ /٣٨١ .

الثاني : سد الذريعة فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك •

الثالث :((أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك))[١] •

وقال الشيخ حافظ الحكمي:

وفـــي التمائـــم المعلقـــات ∴ إن تـــك آيـــات بينـــــات

فالاختلاف واقع بين السلف ∴ فبعضهم أجازها والبعض كف

ثم ذكر بعض أسماء المانعين والمبيحين وعقب بقوله :((ولا شك أن منع ذلك ســـد لذريعة الاعتقاد والمحظور، لاسيما فى زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والـــتابعين فى تـــلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان فى قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره فى وقتنا هذا – وقت الفتن والمحن– أولى وأجدر بذلك .....))[٢] •

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز :((واختلف العلماء فى التمائم إذا كانت مـــن القـــرآن أومن الدعوات المباحة • هل هى محرمة أم لا؟ والصواب تحريمها لوجهين :

أحدهمـــا : عمـــوم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمائم من القرآن وغير القرآن •

والوجـــه الـــثانى : سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أبيحت التمائم من القرآن اختـــلطت بالـــتمائم الأخرى واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمائم كـــلها، ومعلوم أن سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصى من أعظم القواعد الشرعية • والله ولى التوفيق))[٣] •

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ١٣٢ ، ١٣٣ •

(٢) معارج القبول جـــ١ / ٤٦٩ ، ٤٧٠ •

(٣) من مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز جـــ١ /٢٧٩ •

وعـــليه فتعليق التمائم ينهى عنه بإطلاق سدا للذريعة فى ذلك التى منها تعـــليق ما ليس من القرآن، وتعظيما لكلمات الله وآياته من امتهانها أثناء قضاء الحاجـــة وغير ذلك، خاصة فى هذا الزمان الذى كثرت فيه البدع وانتشر أهل الخرافة والدجل والمشعوذين وغلب الجهل على كثيرين.

قال الشيخ الألبانى بعد ذكره لتعريف التميمة :«ولا تزال هذه الضلالة فاشـــية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التى يضعها بعض الســـائقين أمامهم فى السيارة– يعلقونها على المرآة وبعضهم يعلق نعلا فى مقدمة الســـيارة أو فى مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس فى واجهة الدار أو الدكان كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما يـــنافيه مـــن الشركيات والوثنيات التى ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها»[1].

ب- النهى عن انحناء الرجل للرجل أو القيام له.

عـــن أنـــس بن مالك – رضى الله عنه – قال :«قال رجل يا رسول الله : الـــرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحنى له؟ قال :لا، قال :فيلتزمه ويقبله. قال : لا، قال : فيأخذ بيده ويصافحه، قال :نعم»[2].

قـــال ابن القيم :«إن النبى ﷺ نهى الرجل أن ينحنى للرجل إذا لقيه كما يفعل كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة فى خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يـــرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدى شيوخهم الأحيـــاء والأمـــوات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها،

---

(١) السلسلة الصحيحة جـــ١ /٨١٠.

(٢) أخـــرجه الـــترمذى فى أبواب الاستئذان باب ٣١ جـــ٧ /٥١٤، وابن ماجة فى كتاب الأدب باب ١٥ جـــ٢ /١٢٢٠، وأحمد فى مسنده جـــ٣ / ١٩٨.

وطائفـــة ثالـــثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون فى الصلاة، فـــتقاسمت الفـــرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبى ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سداً لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله [(١)].

تنـــبيه: جـــاء فى حديـــث أنس السابق نهى عن الالتزام وهو المعانقة، وقد وردت عـــن أصحاب النبى ﷺ لقول أنس – رضى الله عنه – :((كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)) [(٢)].

وعانق عبدالله بن أنيس جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – لما رحل إليه من المدينة إلى الشام ليسأله عن حديث لرسول الله ﷺ [(٣)].

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث، ودفعوا التعارض الظاهر بينها، ومنهم الإمام البغوى، وفى ذلك يقول :((قال حميد بن زنجوية: قد جاء عن النبى ﷺ أنه نهـــى عن المعانقة والتقبيل، وجاء أنه عانق جعفر بن أبى طالب وقبله عند قدومه مـــن أرض الحبشة...، ولكل وجه عندنا، فأما المكروه من المعانقة والتقبيل، فما كان على وجه الملق والتعظيم وفى الحضر، فأما المأذون فيه، فعند التوديع وعند القـــدوم مـــن السفر وطول العهد بالصاحب، وشدة الحب فى الله ومن قبّل فلا يقبل الفم،ولكن اليد والرأس والجبهة)) [(٤)].

وقال الشيخ الألبانى عقب ذكره لبعض أحاديث النهى وأحاديث الإباحة: ((فـــيمكن أن يقـــال : إن المعانقـــة فى السفر مستثنى من النهى لفعل الصحابة ذلك)) [(٥)].

---

(١) إعلام الموقعين جـــ٣/١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد جـــ٨ /٣٦ .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد باب المعانقة جـــ٢/٤٥٨ ، وعلقه فى صحيحه فى كتاب العلم باب ١٩، وقال الحافظ فى الفتح: إسناده حسن، وأحمد فى مسنده جـــ٣ / ١٩٨ .

(٤) شرح السنة للبغوى جـــ١٢ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـــ١/٢٥٢ .

وكما نهى ﷺ عن الانحناء سدًّا للذريعة، كره أن يقوم الناس له، كما ذكر وعيداً شديدا لمن يحب أن يتمثل الناس له قياما.

فعن أنس – رضى الله عنه– قال: ((ما كان فى الدنيا شخص أحب إليهم رؤية من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه، لما يعلمون من كراهيته لذلك))[1].

وعن أبي مجلز قال: ((خرج معاوية فقام عبدالله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)). قال الترمذى: ((وفى الباب عن أبي أمامه، وهذا حديث حسن))[2].

ولا يتعارض النهى عن القيام هنا مع قول النبى ﷺ لمَّا قدم سعد بن معاذ إلى بنى قريظة ليحكم فيهم: ((قوموا إلى سيدكم))[3] للفرق بين الحالين، وقد وضح ذلك ابن يتمية –رحمه الله– وفصله تفصيلا دقيقا فقال: ((لم تكن عادة السلف على عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه ﷺ كما يفعله كثير من الناس، بل قد قال أنس بن مالك: لم يكن شخص أحب إليهم من النبى ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهيته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيا له، كما روى عن النبى ﷺ أنه قام لعكرمة وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: قوموا إلى سيدكم، وكان قد قدم ليحكم فى بنى قريظة....، وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له فحسن، وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائى بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد جـ٢/٤١٩، والترمذى فى أبواب الاستئذان باب ٤٧ جـ٨/٢٩، وأحمد فى مسنده جـ٣ /١٣٢.

(٢) سنن الترمذى أبواب الاستئذان باب ٤٧ جـ٨ / ٣٠، والبخارى فى الأدب المفرد جـ٢ / ٤٦٦، وأبوداود فى سننه أبواب السلام باب ٢٤ جـ١٤/١٤٢ وأحمد فى مسنده جـ٤/٩٣، ١٠٠.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان باب ٢٦ جـ١١/٢٩.

لترك حقه، أو قصد خفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة، فالأصلح أن يقام له، لأن ذلــك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة، فليس فى ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور فى قولــه ﷺ : ((من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار))، فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئة إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقــال :قمــت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه فى القيام بخلاف القائم للقاعد))[1] .

كما جمع بين الأحاديث ابن القيم جمعا حسنا، وذكر أن الأحاديث التى ورد فيهــا القيام كان لعارض، وأنه كان قياما إلى الرجل للقائه، لا قياما له، ثم قــال :((فالمذموم : القيام للرجل، وأما القيام إليه للتلقى إذا قدم :فلا بأس به، وبهــذا تجتمع الأحاديث))[2] قلت : هذا جمع جيد وحسن بين النصوص الثابتة، وعليه فينهى القيام للشخص للتعظيم مهما كانت منزلته سدًّا لذريعة الوقوع فى الشــرك، بعد الغلو فيه، أو مجاوزة الحد فى حبه وتعظيمه وما إلى ذلك كما هو واقــع مــن بعض أتباع الطرق لمشايخهم، وأما القيام لعارض كالقيام للقادم من سفر، أو لغائب على سبيل البر والإكرام فلا بأس به .

وقــد نقل أبو عبدالله بن الحاج[3] عن أبي الوليد بن رشد أن القيام يقع على أربعة أوجه:

الأول: محظــور، وهــو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعاظما على القائمين إليه .

الثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبابرة .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ١ /٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) شرح ابن القيم لسنن أبي داود من كتاب عون المعبود جـــ١٤ / ١٢٧ .

(٣) انظر المدخل لابن الحاج جزء ١ من ص ١٦٨، وفتح الباري لابن حجر جزء ١١ / ٥١ ، ٥٢

الثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها.

وقال التوريشتي في شرح المصابيح :معنى ((قوموا إلى سيدكم))، أى إلى إعانته وإنزاله من دابته، ولو كان المراد التعظيم لقال: قوموا لسيدكم)) [(١)].

وقال الألباني في حديث أبي مِجلَز :((دلنا هذا الحديث على أمرين:

الأول: تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له، وهو صريح الدلالة، بحيث إنه لا يحتاج إلى بيان.

والآخر: كراهة القيام من الجالسين للداخل، ولو كان لا يحب القيام، وذلك من باب التعاون على الخير، وعدم فتح باب الشر، وهذا معنى دقيق دلنا عليه راوى الحديث معاوية – رضى الله عنه –، وذلك بإنكاره على عبدالله بن عامر قيامه له،واحتج عليه بالحديث، وذلك من فقهه فى الدين، وعلمه بقواعد الشريعة التى منها سد الذرائع))[(٢)].

ومن هذا الباب ما جاء فى صحيح البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت :((صلى رسول الله ﷺ فى بيته وهو شاك، فصلى جالسا، وصلى وراءه قوم قياما، فأشار أن اجلسوا، فلما انصرف قال :إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا))[(٣)].

قال ابن القيم :((إن النبى ﷺ أمر المأمومين أن يصلوا قعودا إذا صلى إمامهم قاعدا، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يجئ عنه ما ينسخه، وماذاك إلا سدا لذريعة مشابهة الكفار، حيث يقومون على ملوكهم وهو قعود))[(٤)].

(١) المرجع السابق جـ١١ / ٥٢ .
(٢) السلسلة الصحيحة جـ١ / ٦٢٩ .
(٣) أخرجه البخارى فى كتاب تقصير الصلاة باب ١٧ جـ٢ / ٥٨٤ .
(٤) إعلام الموقعين جـ٣ / ١٥٨ .

قــلت: تأمل أيها المسلم حرص الإسلام ورسول رب العالمين وسلف الأمة الصــالحين على مخالفة الكفار والمشركين، ونهى الشريعة الغراء عن المباح خوفا من الوقوع فى الحرام، كل ذلك صيانة وحماية للعقيدة، وتحقيقا للتوحيد .

فمــا بالــنا اليــوم نجد جرأة كبيرة، حتى من بعض المنتسبين إلى العلم فى التســاهل فى هــذا الــباب، وياليت الأمر - مع خطورته- اقتصر على الجائز المؤدى إلى الحرام، بل وقعوا صراحة فيما نهى عنه الشارع الحكيم، وسقطوا فى أعمال الجاهلين . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الفصل الثالث : سد الذرائع فى توحيد المعرفة والإثبات

توحيـــد المعـــرفة والإثبات أحد نوعى التوحيد، وهو التوحيد العلمى الخـــبرى الاعتقادى المتضمن إثبات صفات الجلال والكمال لله عز وجل، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلا رب سوى خالق الأرض والسماء، كما أنـــه لا يشـــبهه أحد من خلقه، لا فى ذاته، ولا فى صفاته وأفعاله، تعالى سبحانه وتقدس عن الشبيه والنظير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :((........ ولهذا لما كان وجوب الوجود مـــن خصـــائص رب العالمين، والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان الاســـتقلال بالفعل من خصائص رب العالمين، وكان التنزه عن شريك فى الفعل والمفعـــول من خصائص رب العالمين...، ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقا، ولا ربـــا مطـــلقا ونحـــو ذلك، لأن ذلك يقتضى الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلا لله وحده))[1].

وقـــد ســـدّ الشارع الذرائع التى يمكن أن تؤدى إلى وقوع محظور فى هذا النوع من التوحيد، وبيان ذلك فى مبحثين كما يلى :

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢ / ٣٤ ، ٣٥ .

المبحث الأول: سد الذرائع فى مضاهاة أفعال الله تعالى :

أفعال الله كثيرة، وهى مبينة أن الله رب كل شئ ومليكه وخالقه ورازقه، وهو الذى يحييه ويميته ويدبر أمره، وهو أمر تشهد له الفطرة، ويذعن له العقل، وقــد ذكــر ربنا ذلك فى آيات كثيرة من كتابه، كما نفى أن يكون لأحد معه شريك فى الخلق والتكوين فقال سبحانه : ((ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إلــه إذا لذهــب كــل إلــه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون))[١].

ويظهر احتياط الشرع لهذا النوع من التوحيد بذكر الأمثلة الآتية:

١- النهى عن تصوير ذوات الأرواح:

نهى الإسلام عن تصوير ذوات الأرواح سدًّا لذريعة المضاهاة فى أفعال الله تعــالى، وهى هنا الخلق، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل :((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة))[٢].

قــال الــنووى بعد ذكره لبعض الأحاديث الناهية عن التصوير :((وهذه الأحــاديث صــريحة فى تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجر ونحــوه ممــا لا روح فيه، فلا تحرم صنعته ولا التكسب به وسواء الشجر المثمر وغــيره، وهــذا مذهــب العلماء كافة إلا مجاهدا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه، وقال القاضى :لم يقله أحد غير مجاهد، واحتج مجاهد بقــوله تعــالى : ﴿ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقى﴾، واحتج الجمهور بقوله ﷺ : ((ويقال لهم أحيوا ما خلقتم))، أى اجعلوه حيوانا ذا روح كما ضاهيتم..))[٣].

---

(١) المؤمنون / آية : ٩١ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب اللباس باب ٩٠ جــ١٠ / ٣٨٥ ، وكتاب التوحيد باب ٥٦ جــ ١٣ / ٥٢٨ ، ومسلم فى كتاب اللباس باب ٢٦ جــ٣ / ١٦٧١ .

(٣) شرح النووى على مسلم جــ١٤ / ٩٠ ، ٩١ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث السابق :((وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شئ ومليكه، وهو خالق كل شئ، وهو الذى صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التى تحصل بها الحياة))[١].

وقال الشيخ صديق حسن خان :((قال بعض أهل العلم فى معنى هذا الحديث : يعنى أن المصورين يدعون الإلهية فى هذه الستزة[٢]، لكونهم يريدون أن يصنعوا أشياء مثل ما صنعه الخالق القدير، فهم مسيئو الأدب بالله عز وجل، ودعواهم هذه كذب صريح وحجة داحضة))[٣].

٢- النهى عن قول : ((مطرنا بنوء كذا)) :

عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال :((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب، وأما من قال :بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب))[٤].

قال الشافعى :((من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ماكان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا ، فذلك كفر، كما قال رسول الله ﷺ ، لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ولا يمطر ولا يصنع شيئا، وأما من قال مطرنا بنوء كذا، على معنى : مطرنا

---

(١) فتح المجيد / ٤٩٢ .

(٢) هكذا في المصدر ولعلها (الصورة) والله تعالى أعلم.

(٣) الدين الخالص جـ٢ / ٢٢٨ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الآذان باب ١٥٦ جـ٢ / ٣٣٣ ، وكتاب الاستسقاء باب ٢٨ جـ٢ / ٥٢٢ ، ومسلم فى كتاب الإيمان باب ٣٢ جـ١ / ٨٣ . وغيرهما.

بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله : مطرنا فى شهر كذا، ولا يكون هذا كفرا، وغيره من الكلام أحب إلى منه))[١] .

قال ابن حجر عقب نقله لكلام الشافعى السابق :((يعنى حسما للمادة وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث))[٢] .

وقـــال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقا على كلام الشافعى :((إن كلام الشـــافعى لا يـــدل على جواز ذلك، وإنما يدل على أنه لا يكون كفر شرك، وغيره من الكلام أحسن منه، أما كونه يجوز إطلاق ذلك أولا يجوز، فالصحيح أنه لا يجوز.....، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المترل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفى فى الألفاظ، كقوله : لولا فلان لم يكن كذا...))[٣] .

وقال النووى :((وأما معنى الحديث، فاختلف العلماء فى كفر من قال : مطـــرنا بـــنوء كذا على قولين : أحدهما : هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصـــل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام، قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكواكـــب فاعل مدبر منشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعـــتقد هذا فلاشك فى كفره، وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء والشافعى منهم، وهو ظاهر الحديث، قال : وعلى هذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معـــتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعبادة، فكأنـــه قـــال : مطرنا فى وقت كذا، فهذا لا يكفر، والأظهر كراهيته، لكنها كـــراهة تتريـــه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها))[٤] .

قلت : الأولى النهى مطلقا عن قول هذه الكلمة سدا للذريعة، وقد بين ذلـــك ووضحه الشيخ سليمان فقال : ((الاستسقاء بالنجوم نوعان : أحدهما أن

---

(١) الأم للشافعى جــ ١ / ٢٨٨ .

(٢) فتح البارى جــ ٢ / ٥٢٣ .

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / ٤٠٣ .

(٤) شرح النووى على مسلم جــ٢ / ٦٠ ، ٦١ .

يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشـــركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾[1] ، وليـــس هذا معنى الحديث، فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال فى أمته، ومن اعتقد أن النجم ينزل المطر فهو كافر .

الثانى : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفـــاعل لذلك المنزل له، لكن معنى أن الله تعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافا فى مذهب أحمد فى تحريمه وكراهته، وصـــرح أصحاب الشافعى بجوازه والصحيح أنه محرم، لأنه من الشرك الخفى، وهـــو الذى أراده النبى ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية، ونفاه وأبطله، وهو الذى كان يزعم المشركون، ولم يزل موجودا فى هذه الأمة إلى اليوم، وأيضاً فإن هذا مـــن النبى ﷺ حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذريعة الشرك ولو بالعبارات الموهمة التى لا يقصدها صاحبها))[2] .

---

(١) العنكبوت / آية : ٦٥ .

(٢) تيسير العزيز الحميد / ٣٩٩ .

المبحث الثانى : سد الذرائع فى توحيد الأسماء والصفات:

من المعلوم المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى له وحده الأسمــاء الحسنى والصفات العلى التى لا يشاركه فيها غيره، وهم يثبتون كل ما جــاء فى كــتاب الله، ومــا صح به الخبر من سنة رسول الله ﷺ من غير تشبيه وتمثيل، أو تعطيل وتأويل٠

ولأهمية السلامة فى جانب الاعتقاد -ومنه الأسماء الحسنى- وبما أن أسماء الله وصفاته تحمل معنى العظمة والجلال التى لا يشارك فيها الخالق المخلوق، فقد احتاط الشارع لهذا الجانب، وسد كل طريق يؤدى إلى الخلط فيه، وهذه بعض الأمثلة :

١- إثبات علم الغيب لله وحده ونفيه عن الأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم٠

مــن الصفات الثابتة الدالة على كمال العلم وسعة القدرة والعظمة انفراد الله عــز وجــل بعلم الغيب، فلا يشاركه فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب٠ قال تعالى :﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾(١)٠

ولمــا كان الأنبياء والمرسلون يخبرون عن الله أمره، ويعلمون الناس شرعه بــإعلام الله لهم، ومن ذلك أمور تتصل بعالم الغيب كما قال تعالى :﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا٠ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا٠ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا﴾(٢)، فقد نفى الله عنهم علم الغيب ونص على بشريتهم وبين منزلتهم، وقرر ذلك فى كتابه أكثر من موطن سدا لذريعة نسبة علم الغيب إليهم، ويظهر ذلك واضحا فى ســياق الآية السابقة، ويظهر أيضا فى قوله تعالى :﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا

---

(١) النحل / آية : ٦٥ ٠

(٢) الجن / الآيات من ٢٦ - ٢٨ ٠

ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[(١)] .

قال ابن كثير :((أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع به على شئ من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى:﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ الآية، وقوله: ((ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير))، قال عبدالرزاق عن الثورى عن منصور عن مجاهد : لو كنت أعلم متى أموت لعملت صالحا، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقال مثله ابن جريج وفيه نظر، لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة، وفى رواية كان إذا عمل عملا أثبته، فجميع عمله كان على منوال واحد، كأنه ينظر إلى الله عز وجل فى جميع أحواله، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك والله أعلم، والأحسن فى هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس :((ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)) أى من المال .....،وقال عبدالرحمن بن زين بن أسلم :((وما مسنى السوء)) قال : لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيه، ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أى نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات، كما قال تعالى :﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾[(٢)] .

وللشيخ محمد رشيد رضا كلام جميل في هذه الآية بين فيه أن الناس قد افتتنوا بمن اصطفاهم الله من الأنبياء والمرسلين وغلوا فيهم، فكان هذا السياق الكريم بهذه الصورة ردا عليهم، كما بينت حقيقة أمر النبى ﷺ ، وأنه بشر لا يرفع إلى مرتبة الألوهية كما تجب طاعته، لأنه رسول رب العالمين، وفى ذلك يقول :((أى قل أيها الرسول للناس فيما تبلغه من أمر دينهم إننى لا أملك لنفسى – أى ولا لغيرى بالأولى – جلب نفع مّا فى وقت مّا، ولا دفع ضرر مّا

(١) الأعراف / آية : ١٨٨ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

فى وقت مَّا... كما أنه لا يملك شيئا من علم الغيب الذى هو شأن الخالق دون المخلوق كما يأتى بيانه فى تفسير الجملة التالية، والاستثناء على هذا منفصل عما قبله مؤكد لعمومه، أى لكن ما شاء الله تعالى من ذلك كان، فهو كقوله تعالى :"سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله))...، وهذا الوجه المختار عندنا، لأن الناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم الله ووفقهم لطاعته وولايته من الأنبياء ومن دون الأنبياء من الصالحين...، ((ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء))، والجملة استدلال على نفى علم النبى ﷺ الغيب كأنه يقول : لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب– وأقربه ما يقع فى مستقبل أيامى فى الدنيا – لاستكثرت من الخير كالمال وأعمال البر...، وفيه وجه آخر :أنه مستأنف غير معطوف على ما قبله، ومعناه: وما مسنى الجنون كما زعم الجاهلون، فيكون حاصل معنى الآية : نفى رفعه إلى رتبة الألوهية الذى افتتن بمثله الغلاة، أو نفى وضعه فى أدنى مرتبة البشرية الذى زعمته الغواة العتاة وبيان حقيقة أمره...))[1]٠

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى الآية :((هذا ارتقاء فى التبرؤ من معرفة الغيب ومن التصرف فى العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشئ من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها، والجملة مستأنفة ابتدائية قصد من استيفائها الاهتمام بمضمونها، كى تتوجه الأسماع إليها، ولذلك أعيد الأمر بالقول مع تقدمه مرتين فى قوله :(قل إنما علمها عند ربى)، (قل إنما علمها عند الله) ، للاهتمام باستقلال المقول، وأن لا يندرج فى جملة المقول المحكى قبله، وخص هذا المقول بالإخبار عن حال الرسول ﷺ نحو معرفة الغيب ليقلع من عقول المشركين توهم ملازمة معرفة الغيب لصفة النبوة، إعلانا

---

(١) تفسير المنار جـ٩ /٥٠٨ – ٥١٢ ٠

للمشركين بالتزام أنه لا يعلم الغيب، وأن ذلك ليس بطاعن فى نبوته حتى يستيأسوا من تحديه بذلك ...)) [1].

٢- إثبات صفة العلم ومعية الله لخلقه مع استوائه على عرشه.

ذكر ربنا سبحانه وتعالى فى كتابه استواءه على عرشه فى أكثر من موضع، وهو استواء يليق بجلال الله وكماله، ومعناه عند السلف علو الله خلقه[2]، وذكر البخارى عن أبي العاليه : استوى إلى السماء : ارتفع، وقال مجاهد : استوى : علا على العرش[3].

ودفعا لما يمكن فهمه من علو الله على خلقه أن الله بعيد من عباده، فلا يعلم ما هم عليه نصَّ سبحانه فى كثير من آيات الاستواء على علمه بخلقه، وبتدبير أمر مملكته، وإحاطته بما هم عليه، كما ذكر معيته لهم مع استوائه على عرشه، حتى لا يفهم أحد أن الله حال فى مخلوقاته.

وأكتفى هنا بذكر آخر آية فى القرآن الكريم أثبتت علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، مع إثبات صفتى العلم والمعية معا، ثم أتبعها بأقوال بعض أهل العلم فى معناها.

قال تعالى : ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[4].

قال الطبرى فى معنى الآية :((يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه. يعلم ما يلج فى الأرض من خلقه، يعنى بقوله يلج : يدخل ، وما يخرج منها منهم، وما ينزل من السماء إلى الأرض من شئ قط، وما

---

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ٩ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) انظر مثلا كتاب أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى جـ٣ / ٣٨٧ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١٣ / ٤٠٣ .

(٤) الحديد / آية : ٤ .

يعرج فيها فيصعد إليها من الأرض، وهو معكم أينما كنتم، يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس ، أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع، والله بما تعملون بصير...))[١] .

وقال ابن تيمية عن فهم السلف وتفسيرهم لمعنى المعية والقرب : ((.....وأما القسم الرابع، فهم سلف الأمة و أئمتها، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضا قريب مجيب ففى آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم[٢]، وكان النبى ﷺ يقول : ((اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل))[٣] . فهو سبحانه مع المسافر فى سفره ومع أهله فى وطنه، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم..))[٤] .

ومعية الله لخلقه تنقسم إلى قسمين : معية خاصة، وهى الواردة فى مثل قول الله تعالى: ﴿لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾[٥]، وفى قوله :﴿لا تحزن إن الله معنا﴾[٦]، وهذه المعية تقتضى النصر والتأييد والحفظ والإعانة، وهى للمؤمنين، ومعية عامة تتعلق بالناس جميعا، وهى الواردة فى مثل قول الله تعالى :﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا

(١) تفسير الطبرى جـ٢٧ / ١٢٥ .

(٢) يعنى الآية رقم ٧ من سورة المجادلة .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الحج باب ٧٥ جـ٢ / ٩٧٨، وأبوداود فى سننه كتاب الجهاد باب ٧٩ جـ٣ / ٧٤ وغيرهما.

(٤) مجموع الفتاوى جـ٥/ ٢٣١ ، ولمزيد من التفصيل يراجع ص ٤٩٤ - ٥١٣ من الجزء المذكور.

(٥) سورة طه / آية : ٤٦ .

(٦) التوبة / آية : ٤٠ .

هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾[1]، وهذه المعية تقتضى علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم[2].

وقد ذكر القاسمى عن ابن قدامة المقدسى أنه قال :((إن ابن عباس والضحاك ومالك وسفيان وكثيرا من العلماء قالوا فى قوله :(وهو معكم) أى علمه، ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ وإجماع السلف أن الله تعالى فى السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة محفوفة بها دلالة على إرادة العلم منها، وهو قوله :((ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض))، ثم قال فى آخرها :﴿إن الله بكل شئ عليم﴾[3]، فبدأها بالعلم وختمها به، ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه ينبئهم بما علموا يوم القيامة ويجازيهم عليه، وهذه قرائن كلها دلالة على إرادة العلم....))[4].

وقال عبدالرحمن السعدى :((وهو معكم أينما كنتم)) ، كقوله :((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا))، وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا توعد ووعد بالمجازاة بالأعمال بقوله :((والله بما تعملون بصير))، أى : هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال))[5].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين بعد كلام له عن آية سورة الحديد : ((فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم، واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم فى الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضا لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه))[6].

---

(١) المجادلة / آية : ٧ .

(٢) جامع العلوم والحكم / ٢٧٧ .

(٣) المجادلة / آية ٧ .

(٤) محاسن التأويل جـ١٦ / ٥٦٧٥ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن جـ٧ / ٢٨٤ .

(٦) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى / ٥٦ .

الفصل الرابع : سد الذرائع المتعلق بالنبوة والرسالة.

المبحث الأول: تأييد الأنبياء بمعجزات لا تحصل لغيرهم.

اختص الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بآيات[1]، بينات وبراهين ساطعات تدل على صدقهم وتوجب اتباعهم ويطلق عليها المعجزات، وإن كان الدليل على صدق الأنبياء لا ينحصر فى المعجزات، إلا أنها من الأدلة الصحيحة على ثبوت النبوة، وما أجرى على يد الأنبياء من المعجزات لا يقع لغيرهم بحال وذلك سدًّا لذريعة تكذيبهم، والاختلاف عليهم والكفر بما أرسلوه به، وحتى يتميزوا عن الكاذبين.

يقول ابن تيمية :((ولهذا يجب فى آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي، فكل ما عارضها صادرا ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادَّعى أنه ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة، وأمرهم موسى أن يأتوا أولا بخوارقهم، فلما أتت وابتلعتها العصا التى صارت حية، علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيمانا جازما))[2].

ويقول أيضا :((وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن أحدا إبطالها، لا من جنسهم ولا من غير جنسهم، فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا، فلا يتصور أن نبيا يبطل معجزة آخر وإن أتى بنظيرها فإنه يصدقه، ومعجزة كل منهما آية له وللآخر أيضا، كما أن معجزات أتباعهم آيات لهم بخلاف خوارق السحرة، فإنها تدل على أن صاحبها ساحر، يؤثر آثارا غريبة مما هو فساد فى العالم، ويسر بما يفعله من الشرك والكذب والظلم، ويستعين على ذلك بالشياطين، فمقصوده الظلم والفساد، والنبى مقصوده العدل والصلح،

---

(١) الآية : هى العلامة الدالة على الشيء، والمراد بها هنا: ما يجريه الله على أيدى أنبيائه ورسله من أمور خارقة للعادة، يعنى مخالفة للسنن الكونية المعتادة عند الناس ولا قدرة لهم عليها.

(٢) النبوات / ١٢ ، ١٣ .

وهــذا يستعين بالشياطين، وهذا بالملائكة وهذا يأمر بالتوحيد لله وعبادته وحده لا شــريك لــه، وهذا إنما يستعين بالشرك وعبادة غير الله، وهذا يعظم إبليس وجنوده وهذا يذم إبليس وجنوده))[1].

والقــرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ إلى يوم الدين، وأهم دليل على ثبوت نبوته ﷺ ، وقد تحدى الله به الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

يقول البيهقي :"فأما العلم" الذى اقترن بدعوته ولم يزل يتزايد أيام حياته، ودام فى أمته بعد وفاته، فهو القرآن العظيم، المعجز المبين، وحبل الله المتين، الذى هــو كما وصفه به من أنزله فقال :﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[2].

ومع تأييد الله لنبيه بالآيات المختلفة إلا أنه لم يجب المشركين إلى ما طلبوه مــن آيات لم يرد الله أن تكون لهم، وذلك سدا لذريعة التكذيب بها، فيهلكم الله، كمــا هى سنته فى ذلك قال تعالى :﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾[3].

قــال ابــن جرير فى تفسيره :((يقول تعالى ذكره : وما منعنا يا محمد أن نرســل بالآيــات التى سألها قومك إلا أن من كان قبلهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلما أتاهم ما سألوا كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجئ الآيات فعوجلوا، فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنا لو أرسلنا بها إليهم فكذبوا بها سلكنا فى تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها))، ثم ساق روايات كثيرة فى سبب نزول هــذه الآية منها ما ذكره ابن عباس – رضى الله عنه– قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأنى بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال : بل نستأنى بهم، فأنزل الله الآية..))[4].

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى جــ١ / ١٠ ، والآيات من سورة فصلت ٤١ ، ٤٢ .

(٣) الإسراء / آية : ٥٩ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن جــ١٥/ ٧٤ .

المبحث الثاني: النهي عن المفاضلة بين الأنبياء سدا لذريعة الانتقاص من أحدهم .

دل القـــرآن الكريم على أن الله فضل بعض النبيين على بعض كما قال تعـــالى :﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾[1]، ومـــع هذا وردت أحاديث صحيحة تنهى عن تفضيل بعض النبيين على بعض كما جاء فى حديث أبى هريرة – رضـــى الله عـــنه – قال :((بينما يهودى يعرض سلعته أعطى بها شيئا كرهه، فقـــال : لا والـــذى اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فـــلطم وجهـــه، وقال : تقول والذى اصطفى موسى على البشر والنبى ﷺ بين أظهـــرنا؟ فذهب إليه فقال : أبا القاسم، إن لى ذمة وعهدا، فما بال فلان لطم وجهى؟ فقال : لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبى ﷺ حتى رؤى فى وجهه، ثم قـــال : لاتفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومـــن فى الأرض إلا مـــن شاء، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى))

وعـــن ابـــن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال :((ما ينبغى لعبد أن يقول : (إنى خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه) [2].

وهذه الأحاديث لا تعارض آية التفضيل المذكورة آنفا، وينبغى أن يحمل النهى الوارد فيها عن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية، سدا لذريعة الانتقاص من المفضول .

قال النووى : قال العلماء : هذه الأحاديث تحتمل وجهين :

أحدهما : أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس،

---

(١) البقرة / آية : ٢٥٣ .

(٢) أخرجهما البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب ٣٥ جـــ٦ / ٤٥٠ ، ٤٥١، ومسلم فى كتاب الفضائل باب ٤٢ جـــ٤ / ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ .

فلما علم ذلك قال :((أنا سيد ولد آدم..)) [1] .

والثاني : أنه ﷺ قال هذا زجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس ﷺ [2] .

وقــد ذكر القرطبي أقوالاً كثيرة لأهل العلم فى هذه المسألة منها :((إنما نهى عن الخوض فى ذلك، لأن الخوض فى ذلك ذريعة إلى الجدال، وذلك يؤدى إلى أن يذكر منهم ما لا ينبغى أن يذكر ويقل احترامهم عند المماراة)) [3] .

وقــال ابن حجر : قال العلماء :((إنما قال ﷺ ذلك تواضعا . إن كان قالــه بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع فى نفسه تنقيص له، فبالغ فى ذكر فضله لسد هذه الذريعة)) [4] .

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر حديث أبي هريرة السابق :((فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ :(أنا سيد ولد آدم ولا فخر) [5]، فالجواب : أن هذا كــان لــه سبب ....لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموما، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموما، فــإن الله حــرم الفخر، وقد قال تعالى :﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ [6]، وقــال تعــالى :﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [7]، فعــلم أن المذمــوم إنمــا هو التفضيل على وجه الفخر، أو على الانتقاص بالمفضول)) [8] .

---

(١) أخرجه أبوداود فى كتاب السنة باب ١٤جــ٥ /٢٥٤ وابن ماجة فى كتاب الزهد باب ٣٧ جــ٢ /١٤٤٠ .

(٢) شرح النووى على مسلم جــ١٥ / ١٣٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جــ٢ / ١٠٧٠ .

(٤) فتح البارى جــ٦ / ٤٥٢ .

(٥) سبق تخريجه ص ٥٣ .

(٦) الإسراء / آية : ٥٥ .

(٧) البقرة / آية : ٢٥٣ .

(٨) شرح العقيدة الطحاوية / ١٧٠ ، ١٧١ .

وقـــد جاء فى أبحاث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما يلى :

((..... ومـــن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضـــل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية....، وقد تخاصم مسلم ويهودى فى العهد النبوى، ولطم المسلم وجـــه اليهـــودى، لأنه أقسم بالذى اصطفى موسى على العالمين وأقسم المسلم بـــالذى اصـــطفى محمدا على العالمين...، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين ﷺ غضب حتى عرف الغضب فى وجهه، وقال :(لا تخيرونى على موسى)[١]، ثم أثنى عـــليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله سدا لذريعة الفتن، وحرصا على وقارهم - صلوات الله وسلامه عليهم -...، وإذا كانت الدول تشدد فى ســـد الذرائع، وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه فى العقائد أخلق وفى مقام النبوة أوجب وأحق))[٢].

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب ٤٢ جـــ٤ / ١٨٤٤ .

(٢) حكم تمثيل الصحابة ص ٤١ لهيئة كبار العلماء.

المبحث الثالث: إرسال المرسلين بلسان أقوامهم ليعقلوا خطابهم.

أرسل الله أنبياءه ورسله باللسان الذى يتكلم به المرسل إليهم، حتى يعرفوا خطابه ومراده منه، ولئلا يتعللوا بعدم الفهم له، فكان الإرسال بهذه الطريقة سدا لذريعة تكذيبهم بحجة عدم الفهم عنهم. قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾[1].

واختص الله نبينا محمدا ﷺ بإرساله إلى الناس كافة من العرب والعجم، كما هو مرسل إلى الجن أيضا، ولا حجة لغير العرب فى ذلك، لأن الله قيض لدينه من ينشره إلى غير العرب بلساهم وأقيمت الحجة عليهم بذلك.

قال القرطبى: ((وما أرسلنا من رسول)) أى قبلك يا محمد ((إلا بلسان قومه))، أى بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم... ولا حجة للعجم وغيرهم فى هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبى ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[2].

وقال ابن تيمية: ((وأما كون القرآن أنزل باللسان العربى وحده فعنه أجوبة: أحدهما: أن يقال: والتوراه إنما أنزلت باللسان العبرى وحده..، وكذلك سائر الكتب لا يترلها الله إلا بلسان واحد، بلسان الذى أنزلت عليه، ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا، وسائر الأنبياء إنما يخاطبون الناس بلسان قومهم الذى يعرفونه أولا، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم، إما أن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه))[3].

---

(١) إبراهيم / آية: ٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٥ / ٣٥٦٩.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ / ١٨٩.

وقال ابن كثير :((هذا من لطفه تعالى بخلقه : أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع، عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ (لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه)..، وقد كانت هذه سنة الله فى خلقه : أنه ما بعث نبيا فى أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبى بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبدالله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس...))[1].

وقال القاسمى فى تفسيره :((فإن قلت : لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعا، ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾[2]، بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة... قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل، فبقى ان ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهمه، كما ترى الحال وتشاهد من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم))[3].

وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله الأنصارى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ....)) وذكر منها: ((وبعثت إلى كل أحمر وأسود..)).

قال النووى فى شرحه :((قيل المراد بالأحمر البيض من العجم وغيرهم، وقيل المراد بالأسود السودان، وبالأحمر من عداهم من العرب وغيرهم، قيل الأحمر الإنس ، والأسود الجن، والجميع صحيح فقد بعث إلى جميعهم))[4].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ / ٢٩٧ .

(٢) الأعراف / آية : ١٥٨ .

(٣) محاسن التأويل جـ١٠ / ٣٧٠٦ ، ٣٧٠٧ .

(٤) شرح النووى على مسلم جـ٥ / ٥ ، وانظر أيضا فتح البارى جـ١/ ٤٣٩ .

المبحث الرابع: نهى المؤمنين عن مخاطبة النبى ﷺ بلفظ ((راعنا)).

كان المؤمنون يقولون كلمة ((راعنا)) للنبى ﷺ ويقصدون بها معنى صحيحا وهو :راعنا سمعك، أى اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه، ونراجعك فيه القول لنفهمه عنك، ولكن اليهود كانوا يقولونها ويقصدون بها الحط من مقام النبى ﷺ فكانوا يقولون :((راعنا)) ، من المراعاة، وهى تقتضى المشاركة فى الرعاية، أى : ارعنا نرعك، وفى خطاب النبى ﷺ بذلك من سوء الأدب ما هو ظاهر، أو أنهم كانوا يميلون ألسنتهم فى نطق هذه الكلمة لتؤدى معنى آخر مشتقا من الرعونة فنهاهم الله عز وجل أن يقولوا لنبيه ﷺ هذه الكلمة سدًّا لذريعة الانتقاص من قدره ﷺ وأمرهم أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ومن المعانى أفضلها.

قال ابن تيمية :((إنه سبحانه منع المسلمين من أن يقولوا للنبى ﷺ (راعنا) مع قصدهم الصالح لئلا يتخذه اليهود ذريعة إلى سبه ﷺ ، ولئلا يتشبه بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدا))[1].

وقال ابن كثير :((نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالتهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص – عليهم لعائن الله –، فإذا أرادوا أن يقولوا :اسمع لنا . يقولون : راعنا، يورون بالرعونة، كما قال تعالى : ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين﴾[2]، وكذلك جاءت الأحاديث بالأخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون :(السام عليكم) والسام هو : الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ (وعليكم) وأنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا))[3].

---

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣ / ١٤٤ .

(٢) النساء / آية : ٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ / ٢١٣ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدى :((كان المسلمون يقولون حين خطابهم للــنبى ﷺ عــند تعلمهم أمر الدين: (راعنا)، أى : ارع أحوالنا، فيقصدون بها معــنى صحيحا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسد، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطــبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهى عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم))[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن جــ١ / ١٢٠ .

الفصل الخامس : سد الذرائع المتعلق بالإمامة والخروج على الحاكم

المبحث الأول : وجوب تنصيب إمام واحد والاجتماع عليه .

من المعلوم أن الإمامة[1] شرعت لحفظ الدين وسياسة الدنيا به ومن هنا دعا الإسلام إلى وجود إمام واحد تجتمع عليه القلوب، وتكون به الجماعة، وتعدد الأئمة مدعاة للتفرق والاختلاف، لما يمكن أن يقع بينهم من تناحر وشقاق، لذا كان من شريعة الإسلام الدعوة إلى إمام واحد سدًّا لذريعة التفرق والاختلاف، وها هي بعض الأدلة على ذلك من القرآن والسنة:

أولاً : أدلة القرآن الكريم .

قال تعالى :﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[2] وقال تعالى﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[3] .

فى هاتين الآيتين الكريمتين يأمر الله جماعة المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والاجتماع على كلمته وعدم مخالفته، حتى لا يحدث نزاع بينهم فيقع ما حذرت منه الآيتان .

يقول الشيخ رشيد رضا فى شرحه للآية الثانية :((أطيعوا الله فى هذه الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح فى القتال وفى غيرها، وأطيعوا رسوله فيما يأمر به وينهى عنه من شؤون القتال وغيرها من حيث إنه المبين لكلام الله الذى أنزل إليه على ما يريده تعالى منه، والمنفذ له بالقول والعمل والحكم، ومنه ولاية

---

(١) الإمامة رئاسةً عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انظر الموسوعة الفقهية جـ٦/٢١٦

(٢) النساء / آية : ٥٩ .

(٣) الأنفال / آية : ٤٦ .

القيـــادة العامة فى القتال، فطاعة القائد العام هى جماع النظام الذى هو ركن من أركان الظفر...))[1] .

وقال القاسمى فى تفسيره بعد شرحه للآية :((تنبيه : قال بعض المفسرين فى قوله تعالى :﴿ولا تنازعوا﴾ أى : لا تختلفوا فيما أمركم به من الجهاد، بل ليتفق رأيكم، قال : ولقائل أن يقول : استثمر من هذا وجوب نصب أمير على الجيش ليدبر أمرهم ويقطع اختلافهم، فإنه بلزوم طاعته ينقطع الاختلاف وقد فعله ﷺ فى السرايا، وقال : اسمعوا واطيعوا وإن أمرعليكم عبد حبشى))[2] .

ثانياً : أدلة السنة النبوية :

١- عن أبى هريرة – رضى الله عنه– عن النبى ﷺ قال :((كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى، وستكون خلفاء فيكثرون ، قالوا فما تأمرنا . قال : فوا ببيعة الأول فالأول . أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم))[3] .

٢- عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما))[4] .

قـــال الـــنووى فى شرح الحديث الأول :((ومعنى هذا الحديث: إذا بويع لخـــليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثانية باطلة يحرم الوفـــاء بهـــا، ويحـــرم عليه طلبها...، واتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين فى عصر واحد، سواء اتسعت دار الإسلام أم لا، وقال إمام الحرمين فى كـــتابه الإرشـــاد :قال أصحابنا لا يجوز عقدها لشخصين، قال : وعندى أنه لا

---

(١) تفسير المنار جـ١٠ / ٢٤

(٢) محاســن التأويل جـ٨/ ٣٠١٢، والحديث المذكور أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام باب ٤ جـ١٣/١٢١ .

(٣) أخـــرجه البخارى فى كتاب الأنبياء باب ٥٠ جـ٦ / ٤٩٥، ومسلم فى كتاب الإمارة باب ١٠ جت٣/ ١٤٧١ ..

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب ١٥ جـ٣ / ١٤٨٠ .

يجـوز عقدهـا لاثنين فى صقع واحد، وهذا مجمع عليه، قال : فإن بعد ما بين الإمـامين وتخللت بينهما شسوع فللاحتمال فيه مجال . قال : وهو خارج من القواطع وحكى المازرى هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصول وأراد به إمام الحرمين وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف ولظواهر إطلاق الأحاديث . والله أعلم»[1] .

وقـال ابن حجر : «فوا» فعل أمر من الوفاء، والمعنى : «أنه إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثانى باطلة»[2] .

وقال ابن تيمية : «إنه ﷺ سنَّ الاجتماع على إمام واحد فى الإمامة الكبرى وفى الجمعة والعيدين والاستسقاء وفى صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين فى صـلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية، لما فى التفريق من خوف تفـريق القـلوب وتشـتت الهمم، ثم إن محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعـة وصـلاح ذات الـبين وزجره عما قد يفضى إلى ضد ذلك فى جميع التصرفات لا يكاد ينضبط، وكل ذلك يشرع لوسائل الألفة وهى من الأفعال، وزجر عن ذرائع الفرقة وهى من الأفعال أيضاً»[3] .

وقـال ابن القيم : «إن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد فى الإمامة الكـبرى، وفى الجمعـة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف، مع كون صلاة الخـوف بإمـامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن، وذلك سدا لذريعة التفريق والاخـتلاف والتنازع، وطلبا لاجتماع القلوب وتألف الكلمة، وهذا من أعظم مقاصـد الشـرع، وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق، حتى فى تسوية الصف فى الصلاة، لئلا تختلف القلوب، وشواهد ذلك أكثر من أن تذكر[4] .

(١) شرح النووى على مسلم جـ١٢ / ٢٣١، ٢٣٢ .
(٢) فتح البارى جـ٦ / ٤٩٧ .
(٣) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ٣ / ١٤٤ .
(٤) إعلام الموقعين جـ٣ / ١١٨ .

المبحث الثانى: ترك الخروج على الحاكم وطاعته فى غير معصية الله.

يـرى أهـل السـنة والجماعة عدم الخروج على الحاكم المسلم الظالم الجائـر، مالم يصل ظلمه وجوره إلى الكفر البواح، وذلك سدا لمفسدة الخروج عـليه، وما يترتب عليه من إراقة للدماء، وانتشار الفوضى فى البلاد وبين العباد والأدلة على ذلك من السنة ما يلى :

١- حديـث عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال :

((بايعـنا رسـول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكـره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان))[١].

٢- عن عوف بن مالك الأشجعى – رضى الله عنه– قال :

((سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصـلون عـليهم ويصـلون عـليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضـونكم وتلعـنوهم ويلعـنونكم، قالوا : قلنا : يارسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك، قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة))[٢].

وقد وردت أحاديث كثيرة حول هذا المعنى وهى تفيد: ترك الخروج على الأئمة، ووجوب الطاعة فى المعروف، وعدم طاعته فى المعصية مع كراهة ما يأتى منها. وقد ذهب إلى القول والعمل بهذه الأحاديث أهل السنة والجماعة[٣].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الفتن باب ٢ جـ١٣ / ٥، ومسلم فى كتاب الإمارة باب ٨ جـ٣/ ١٤٧٠.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب ١٧ جـ٣ / ١٤٨١.

(٣) انظر مثلا اعتقاد احمد بن حنبل وعلى بن المدينى فى كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى جـ١ / ١٧٥ ١٩٣.

قال النووي فى شرحه لحديث عبادة السابق ذكره :((ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور فى ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته.. قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله أكثر منها فى بقائه))[1].

وقال ابن تيمية :((وقد استفاض وتقرر فى غير هذا الموضع - ما قد أمر به ﷺ - من طاعة الأمراء فى غير معصية الله ومناصحتهم والصبر عليهم فى حكمهم وقسمهم، والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك من متابعتهم فى الحسنات التى لا يقوم بها إلا هم، فإنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم فى معصية الله ونحو ذلك مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان..، ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح، وتقام الفتن كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة، وكما دلت عليه النصوص النبوية فى ذلك من الفساد الذى يربى على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفى غيرهم، ويفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه))[2].

وقال الحافظ ابن حجر :((وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء))[3].

وقال ابن القيم :((نهى النبى ﷺ عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة- وإن ظلموا أو جاروا- ما أقاموا الصلاة، سدا لذريعة الفساد العظيم والشر

(١) شرح النووى على مسلم جـ١٢ / ٢٢٩ .
(٢) مجموع الفتاوى جـ٣٥ / ٢٠ ، ٢١ .
(٣) فتح البارى جـ١٣ / ٧ .

الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن))[١].

وقال عبدالرحمن بن يحيى المعلمي :((وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا مــنه إلا الشر، خرج الناس على عثمان يرون أنهم يريدون الحق، ثم خرج أهل الجمل يرى رؤساهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق فكانت ثمرة ذلك بعد اللتيا واللتي أن انقطعت خلافة النبوة، وتأسست دولة بني أمية، ثم اضطر الحسين بن عــلي إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة..))[٢].

وهكذا سرد المعلمي مفاسد الخروج الكبيرة في فترة من فترات الإسلام العظيمة، مبينا ثمرات هذا الخروج وآثاره على الأمة الإسلامية لهذا جاء الشرع الحكــيم بســد الباب، ووضع أئمة أهل السنة ضوابط جليلة لمنع إراقة الدماء وحفاظا على المسلمين من التمزق والضياع[٣].

---

(١) إعلام الموقعين جـ٣ / ١٣٠ .

(٢) التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل جـ١ / ٩٩ .

(٣) يــراجع للفائدة كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدكتور عبدالله بن عمر الدميجي ص٤٩٠ - ٥٤٨ .

الخـــــاتمـــــــــــــــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد...،

فلقد انتهت بذلك صفحات هذا البحث بفصوله الخمسة التى بينت فيها ومن خلالها بعد المقدمة والتمهيد احتياط الشرع الحكيم للدين الحق القويم الذى جاء من عند الله عز وجل.

وقد ظهر من خلال هذه الدراسة أهمية علم التوحيد، وأهمية الحفاظ عليه، وسد كل منفذ يؤدى إلى خدشه، أو التهاون فى أمره، لكونه أساس الدين وقاعدته التى يقوم عليها.

وعلى هذا أقول : يجب على دعاة التوحيد والسنة الاهتمام الكبير بالتوحيد، ودراسته دراسة علمية قوية لتقديمه صافيا نقيا إلى البشرية، وذلك لترتفع راية التوحيد عالية خفاقة فوق كل مظاهر الشرك والوثنية، وتطهر البلاد ويخضع العباد لله الحى القيوم سبحانه وتعالى، وحتى ينتشر الأمن والسلام والرخاء، فبالتوحيد يتحقق للعبد ما يريد بمشيئة من له الخلق والأمر وحده.

وعلى المسلمين جميعا الاعتصام بحبل الله، والسير على منهاج النبوة، ولا نخشى قلة السالكين، لأن العاقبة للمتقين.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١)أصــول اعــتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لللالكائى تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ط / ١ الناشر دار طيبة بالرياض.
٢)أضواء البيان في إيضاح بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطى عالم الكتب / دار طيبة بالرياض بيروت.
٣)إعــلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية بتحقيق د / محمد محيي الدين عبد الحميد . ط / ١ / ١٣٧٤هــ مطبعة السعادة بمصر.
٤)إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. للإمام ابن قيم الجوزية. بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي . الناشر مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر.
٥)الأم. للامــام محمــد بن إدريس الشافعى مع مختصر المزنى ط / ٢ ١٤٠٣ هــ دار الفكر بيروت لبنان.
٦)تفسير القران الكريم الشهير بتفسير المنار. لمحمد رشيد رضا ط ٣ / ١٣٦٧ هــ دار المنار بمصر.
٧)تفســير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي طبعة دار الشعب بالقاهرة .
٨)تفســير القرآن العظيم. للحافظ ابن كثير بتحقيق عبد العزيز غنيم وجماعة طبعة الشعب القاهرة بدون تاريخ .
٩)تفســير القــاسمي المسمى محاسن التأويل. للإمام محمد جمال الدين القاسمي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى الحلبي .
١٠)تفسير التحرير والتنوير. للشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

١١)التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. للشيخ عبد الرحمن بن يحـيى المعلمي بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ومحمد عبد الرزاق حمزة ــ الناشر / دار الكتب السلفية بالقاهرة .

١٢)تيســير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ط/٣ــ المكتب الإسلامي .

١٣)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان. للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بتحقيق محمد زهدي النجار مطابع الدجوي بالقاهرة.

١٤)جــامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. لابن رجب بتحقيق محمد عبد الرزاق الرعود ط/١/ ١٤١١هــ دار الفرقان للطبع والنشر بالأردن .

١٥)جــامع الـــبيان في تفسير القرآن. للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطــبري ــ مصــور عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق عام ١٣٢٩هــ ــ القاهرة .

١٦)الجــواب الصـــحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية مطابع المجد التجارية بدون تاريخ .

١٧)حكــم تمثيل الصحابة. لهيئة كبار العلماء باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء طبعة دار أم القرى بالقاهرة بإشراف إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة .

١٨)دعــوة التوحيد. للدكتور محمد خليل هراس .ط/٢/ ١٤٠٧هــ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

١٩)الديــن الخــالص. للسيد محمد صديق حسن بتحقيق محمد زهدي النجار مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٢٠)دلائل النبوة. للبيهقي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ط/١/١٤٠٨ هــ الناشر دار الريان للتراث .

٢١)سبل السلام شرح بلوغ المرام. لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني بتحقيق إبراهيم عصر ــ الناشر دار الحديث بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٢)سلسلة الأحاديث الصحيحة. لمحمد ناصر الدين الألباني المجلد الخامس طـ /١ /١٤١٢هـ مكتبة المعارف ــ الرياض .

٢٣)سلسلة الأحاديث الضعيفة. للألباني المجلد الأول ــ ط/ ٤/ ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي .

٢٤)سنن النسائي. المجتبى للحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ومعه زهر الربى على المجتبى ــ ط/١ ــ ١٣٨٣هـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .

٢٥)سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي. بتصحيح عبد الرحمن عثمان. ط/٣/١٤٠٧هـ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٢٦)سنن ابن ماجة. للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ الناشر المكتبة العلمية بدون تاريخ .

٢٧)سنن الدارمي. للإمام أبي محمد بن عبد الرحمن الدارمي ــ طبع بعناية محمد أحمد دهمان ونشرته دار إحياء السنة النبوية بدون تاريخ .

٢٨)سنن أبي داود. للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ومعه معالم السنن للخطابي بتعليق عزت الدعاس وعادل السيد .ط/١/ ١٣٩٤هـ دار الحديث بسوريا .

٢٩)الشريعة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري بتحقيق محمد حامد الفقي ــ الناشر أنصار السنة بلاهور ــ باكستان .

٣٠)شرح النووي على صحيح مسلم ــ المطبعة المصرية ومكتبتها ــ بدون تاريخ .

٣١)شرح السنة. للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط ــ ط/ ١/١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامي .

٣٢)شرح العقيدة الطحاوية. بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ــ ط/ ٤/ ١٣٩١هــ المكتب الإسلامي .

٣٣)صــحيح الــبخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مع شرحه فتح الباري ــ الناشر مكتبة الرياض الحديثة ــ بدون تاريخ .

٣٤)صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ الناشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٣٥)صــحيح ســنن الترمذي. للألباني ــ ط/١/١٤٠٨هــ المكتب الإسلامي ببيروت ــ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٦)صــحيح ســنن أبي داود. للألباني ــ ط/١/١٤٠٩هــ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٧)طريق الهجرتين وباب السعادتين. لابن قيم الجوزية المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٧٦هــ .

٣٨)عون المعبود شرح سنن أبي داود. لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ــ ط/٣/١٤٠٧هــ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٣٩)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد ابن على الشوكاني ط/٢/١٣٨٣هــ مطبعة الحلبي بالقاهرة .

٤٠)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشــيخ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ومراجعة سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز .

٤١)فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد. لأبي عبد الله البخاري ــ تأليف فضل الله الجيلاني ــ مطبعة المدني بالقاهرة عام ١٤٠٢هــ

٤٢)القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. للشيخ محمد الصالح العثــيمين ــ ط/٣/١٤٠٩هـــ مركـــز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٤٣)كتاب السنة. للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك ومعه ظلال الجنة للألباني ـ ط/١/١٤٠٠هـ ـ المكتب الإسلامي .

٤٤)لسان العرب. للإمام أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ـ الناشر دار صادر ببيروت .

٤٥)المستدرك على الصحيحين. للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري بإشراف د. يوسف المرعشلي ـ الناشر دار المعرفة ببيروت .

٤٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ الناشر المكتب الإسلامي .

٤٧)مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة ـ بدون تاريخ .

٤٨)مجموع فتاوى ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد وابنه ـ مطابع دار العربية ببيروت .

٤٩)مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ إعداد وتقديم أ.د.عبد الله بن محمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز ـ ط/١/١٤١٦هـ ـ دار الوطن بالرياض .

٥٠)مجموعة فتاوى ابن تيمية الكبرى ـ طبعة المطبعة الفنية ـ بدون تاريخ ـ الناشر دار المنار بالقاهرة .

٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ من مطبوعات الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.

٥٢)معجم البلدان. لأبي عبد الله ياقوت الحموي طبعة دار صادر ببيروت عام ١٤٠٤هـ .

٥٣)معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بتحقيق عبد السلام هارون . طبعة دار الجيل ببيروت ـ بدون تاريخ .

٥٤)المغني. لابن قدامة بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ـ الناشر مطبعة الرياض الحديثة ـ بدون تاريخ .

٥٥)الموافقات في أصول الشريعة. لأبي إسحاق الشاطبي بتحقيق الشيخ عبد الله دراز ـــ طبع المطبعة الرحمانية بمصر ـــ بدون تاريخ .

٥٦)الموســوعة الفقهيــة. اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت/ ط/٤/١٤١٤هـ

٥٧)النبوات. لابن تيمية ـــ الناشردارالفتح بالقاهرة ـــ بدون تاريخ .

٥٨)الــنهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـــ المكتبة العلمية ببيروت ـــ بدون تاريخ .

المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس
دراسة شرعية اجتماعية

إعداد
د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود
الأستاذ المشارك في كلية الدعوة في جامعة أم القرى



المقدمة

الحمــد لله القائل : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [١٦٤/ الأنعام] .

وأصلّي وأسلّم على من اصطفاه ربّه وأرضاه ، القائل : « كلام ابن آدم كلّه عــليه لا له ؛ إلاّ ذكر الله عزَّ وجلَّ ، أو أمر بمعروفٍ أو نهي عن منكر » [1] ، وعلى آله وصحبه ، وأمّته الذين اتّبعوا هداه .

أمــا بعــــــد :

فللمسلم الفرد دور خاص في حياة المسلمين جماعة ، ولهم فيه تأثير فيما يأتي أو يــدع . ودوره يَبْرز أو يختفي حسب قدراته ، واستعداداته للمشاركة ، من خلال فرص الحياة الكثيرة ، ومعرفة استغلالها من قِبَلِه .

وأردت ــ والله المســتعان ــ من خلال بحث موضوع (المُداراة وأثرها في العلاقة بين النّاس) أن أشارك غيري دراسة أنجع السبل لإيجاد علاقات اجتماعية ناجحــة وفق المعنى الشرعي في مجتمع يدين في شتى نواحي الحياة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

وأُبيِّــن بعض ما ورد عن هذا السلوك الأساسي ــ الَّذي يربط جميع أفراد المجتمع بعضه ببعض ــ في القرآن والسنّة ، وما انعكس بعد ذلك من تأثير عنهما

(١) أخــرَجه الــتِّرمذيّ في الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، وقال : ((هذا حديث حسن غريب)) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كفُّ اللسان في الفتنة .

على حياة الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم .

ثمَّ مـــا طرأ بعد ذلك على هذا السلوك من توسّع في المفهوم لدى المتأخرين الَّذيـــن بدأت تميل كفّة ميزان حياقم إلى الأمور المادية ، بعالمها ، ومعالمها ، مما دفـــع بعضهم إلى التّخلّي ــ متعمّدًا ، أو مضطرًا ــ عن بعض الأخلاق الحميدة الَّتي تميّز الفرد المسلم عن غيره ، كالصدق ، والوفاء ، والمروءة ، ليصبح قاب قوســـين أو أدنى مـــن الســـيء من القول أو الفعل الَّذي من أخطره ، وأشنعه خصـــلتا : النفاق ، والكذب . اللتان تؤديان بصاحبيهما يوم القيامة إلى الدرك الأسفل من النار .

وقد قسَّمت بحثي هذا إلى أربعة مباحث بعد المقدّمة والتمهيد .

في الأَوَّل تعريف عام (للمداراة) في معناها اللّغوي ، والاصطلاحي .

وفي الـــثَّاني استعرضـــت بشيء من الإيجاز ما ورد في كتاب الله العزيز عن (المـــداراة) ومدلولاقا وفق ما اخترت من آيات كريمات . وحاولت أن أُبرز دور (المـــداراة) في دعوة الرسل بوصفها منهجًا قائمًا بذاته يحتاجه الدعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفي الثَّالث أوردت نماذج مختلفة ممّا ورد في السُّنَّة المطهرة من أحاديث تدعّم مـــا أردت بيانـــه مـــن تأثير (المداراة) على سلوك الداعية ، وإيجابية ذلك في نتائج دعوته .

وذكـــرت مـــن مواقف بعض الصَّحابة ، والتابعين ﷺ ما يندرج في المفهوم العام (المداراة).

وأمّـــا المبحث الرابع فأردت أن استبين واقع المجتمع المعاصر الَّذي اعتبرته امتداداً طبيعياً للمجتمعات السابقة فيما يخصّ معاملة الأفراد بعضهم بعضاً، وما اســـتجدَّ فيـــه من مفاهيم واسعة (للمداراة) فرضتها عوامل معيشية مختلفة على

كثير من أفراده ، يجنح معظمها إلى الخروج عن المفهوم الإسلامي الصحيح . وما انعكس بعد ذلك من نتائج سلبية على المجتمع المسلم المعاصر .

وفي الخاتمة حاولت أن استعرض أهم نقاط البحث الإيجابية مثل أسلوب الصالحين في الدعوة إلى الله ، والسلبية كخفّة الوازع الديني عند البعض ، وتفشي الرشوة ، وتعميم الوساطة ، واعتبار المحسوبية ، وتقرير الحلول المناسبة الّتي من أهمّها تحقيق معنى الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » (١) .

فإنَّ ذلك صمام أَمان للإنسان من الوقوع في كثير من المعاصي والآثام . ومن الله استمدّ العوَن والتوفيق .

وفي التمهيد قبل ذلك ذكرت نقاطًا من أهمها حاجة الإنسان للإنسان لقضاء حاجاته ، وتحقيق أهدافه ، وما يجب أن يكون بينهما من صدق ووفاء واحترام لتسلك العلاقة بينهما مسلكًا صحيحًا وفق ما نصّ عليه الشارع الحكيم عند تبادل المصالح .

ومنها تقوى الله في السرّ والعلن حتَّى لا يطغى الشَّر على الخير ، والرضا بما قسمه الله دون التطلع إلى ما بأيدي النّاس .

ومنها العمل التطبيقي لما جاء في القرآن من آيات باهرات تدلّ المسلم إلى أنجع الطرق ، وأقربها تحقيقًا من نفسه للخروج من اليأس إلى الأمل ، فإنَّ القلوب كلما كانت مطمئنة بالإيمان استطاع أصحابها العيش بسلام وأمان .

ومنها أن التفاوت في السلوك والأخلاق بين المسلمين سببه اختلاف

---

(١) أخرَجه البخاريّ في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النَّبي ﷺ .

درجـــات فهمهم لقواعد دينهم . وقبل ذلك صلاح النيّة ، أو فسادها في القول أو العمل .

ومـــنها أن العـــلم الشرعي السليم من آفة البِدع والضّلال يُكْسِي صاحبه كـــلما ازداد مـــنه ، درعًـــا واقيًـــا يرد عنه كيد الشيطان . ويبصِّره الصراط المستقيم .

ومنها أن القدوة الحسنة ، والنشأة القويمة ، والتربية السليمة للإنسان تجعل منه عنصرًا صالحًا طيّبًا ينتفع منه الجميع .

ومـــنها ارتـــباط مصالح النّاس بعضها ببعض ، فلا يستطيع إنسان الاكتفاء ذاتيًـــا في متطلبات معيشته دون الاستعانة بغيره . والناس على درجات متفاوتة مـــن الذكاء ، مما يجعلهم يتفاوتون في الجمع والتحصيل ، ولا يتّفقون في القدْر والنوع . وغير ذلك من النقاط الّتي احتواها هذا البحث الّذي يصبُّ في قالب العلاقات العامة ، والقدرات الإنسانية الاجتماعية وفق توجيه إسلامي حكيم ، والله أعلم وهو المستعان .



التمهيد

الحمد لله الَّذي هدى الإنسان النَّجدين : إمّا شاكرًا ، وإمّا كفورًا . وركّب فيـــه من الحواس ما مكّنه من الاتصال بغيره من المخلوقات ، والتّفريق بينها في المعاملة .

وربطه ببني جنسه بمجموعة كبيرة من الأخلاق ، والسلوك ، والمبادئ الَّتِي تـــنظّم نوع العلاقة بين الطرفين . وتجعل كلّ طرف يتوقّف عند حدود محدّدة ، تحفـــظ عـــليهم كرامـــتهم ، وتصـــون إنســـانيتهم ، وتحفـــظ لهم حقوقهم ، ومكتسباهم .

وللمعامـــلة بـــين الإنســـان والإنسان قواعد ثابتة من التقدير ، والاحترام المتبادل ، والخوف المشترك على الذات . فكما تدين تدان .

والله جعـــل النّاس سواسية ، أكرمهم عنده أتقاهم يوم القيامة . وفي الحياة الدنيـــا يـــتميّز بعضـــهم عن بعض بما تُستجمع به التقوى ، من يقين بالمعبود ، وإخلاص في العبادة ، وأداء للحقوق ، ما كان منها لله ، وما كان منها للعباد .

والعمل بأشكاله المتعددة ، المختلفة نوع من المعاملة بين النّاس ، تَحسُن ، أو تسوء تبعًا لأخلاقهم .

فيـــترع المحسن إلى الإحسان ، ويترع المسيء إلى الإساءة . وكلا الطرفين يظن جلب الأفضل لنفسه .

وفي العيـــش في مجـــتمع واحد يحتاج الإنسان لتحقيق أهدافه إلى وسائط ، ووسائل مختلفة ، فيبذل من فكره ، وجَهده الكثير ، الكثير .

فمـــنهم من لا يتورّع عن اتخاذ الوسائل أيًا كان نوعها ، ونتائجها لتحقيق غاياته ، حتى ولو أَضرَّ بغيره من أفراد مجتمعه . ومنهم من يقف عند حدود الله ،

حتى ولو خسر تحقيق غايته . وحاجة الإنسان لغيره لا ينفكّ يطلبها ما دبَّ على الأرض . ويطلبها غيره منه ، في أكثر أحواله ، وحينه .

ولمّا كان الإنسان منّا يعتريه الضّعف ، ويظهر منه التقصير ، فإنّه يلجأ ــ حينئذ ــ إلى الاحتيال على واقعه ، محاولاً الخروج بما يظنّه خيرًا بأساليب ، وأفاعيلَ شتى .

وإذا ضعف أمام حاجة نفسه ، وشهواتها ، ورغباتها ، استهوته الشياطين حيران بين مُضي وإحجام .

ولا تنفك النّفس ــ الأمّارة بالسوء ــ تلح في الطلب حَتّى يستحوذ على الإنسان شعور بالعجز عن مقاومتها ، والحدُّ من تفلّتها ، وغلوائها ، فيقع في المحذور ، ويتزعزع حينئذ كيانه الأخلاقي ، ويساق إلى أغوار ساحقة ، بغيضة من الدونية في تفكيره ، وتحليله للأمور .

ومتى استطاع الإنسان سبيلاً إلى خلق التوازن بين متطلبات نفسه ، وما يحكم الخلْق من ضوابط ، ونواميس كونية ، وشرائع سماوية ، استطاع أن يحدَّ كثيرًا من سرعة انزلاقه فيما يخالف أمور الدين ، والأخلاق . وقد أنزل الله إلى أمّة محمد ﷺ شريعة سمحة ، توافق طبائعهم الفطرية والمكتسبة في مجتمع إسلامي قائم على الحقّ المبين . فإن أخذ بها المسلم ، وجعلها طوقًا في عنقه ، كسب ، وأكسب غيره الخير منه .

فعندما تضيق عليه السبل يعمل بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح / ٥ ــ ٦] .

وعندما يستبطيء النتائج يعمل بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل / ١٢٦] .

وإذا خاف على نفسه من ظالم، أو حاقد، أو حسود عمل بقوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة / ١٣٧] .

وإن خاف فقرًا على نفسه أو عياله، ذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [التوبة / ٢٨] .

وقوله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق / ٢ ــ ٣] .

وإن شعر من الشيطان عليه هيمنة، وزيّن له سوء عمله، عمل بقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصّلت / ٣٦] . لأنّه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل / ٩٩ ــ ١٠٠] .

وإن رأى الإنسان من نفسه عُجْبًا، وتعاليًا على النّاس، واستخفافًا بحقوقهم، واحتقارًا لشئونهم تذكّر قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء / ٣٨] .

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص / ٨٣] .

وإن همّ بفعل معصية، وسعى لتحقيقها تذكّر قول الرسول ﷺ في الإحسان: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [١] .

---

(١) أخرجه البخاريّ في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبي ﷺ عن الإسلام =

وقول الله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء / ١٠٨] .

هـذه البصائر العظيمة ، ومثلها كثير في القرآن والسنّة أعلامُ خيرٍ مضيئة ، لا يضل من استنار بنورها ، وعمل بمقتضاها .

والسؤال : كيف يتفاوت المسلمون في سلوكهم ، وأخلاقهم وهم أمّة رسول واحد ، وينهلون من معين كتاب واحد ؟!! .

والجواب :

(١) أن التفاوت بينهم مردّه إلى فقههم في الدين ومعرفة الدليل ، وإخلاص النيّة في القول والعمل لله وحده . قال ابن القيّم : « يتفاوتون في معرفة النصوص ، والاطلاع عليها ، كما يتفاوتون أيضًا في فهمها ، فمنهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين ، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر ، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرّد اللفظ دون سياقه ، ودون إيمائه ، وإشارته ، وتنبيهه . ومنهم من يضم إلى النص نصًّا آخر متعلّقًا به فيفهم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك النص بمفرده .

=

والإحسان .ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسلام والإيمان والإحسان ، كلاهما عن أبي هُرَيْرة ﷺ .

وهذا مشروط بفهم يؤتيه الله عبده »[١] .

(٢) ومـا يزال الإنسان يتعلّم ، ويرقى في العلم حَتَّى يصبح علمه خيرًا لـه ، إن جاء وفق ما شرع الله على لسان نبيه ﷺ أو وبالاً عليه إن كان اتباعًا لهوى ، أو اقتداء بمبتدع .

(٣) ووعي الإنسان ، وإدراكه ، وحسن تقبّله للعلم مما يعطي الله عباده ، أو يمنعه ، بيَّن ذلك رسول الله ﷺ في حديث معاوية بن أبي سفيان يرفعه : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي »[٢] .

فالأمانة الَّتي تحمّلها الرسول ﷺ البلاغ للجميع بما أوحى الله إليه ، بلا تمييز بينهم ، ولا تقصير في حقِّ أحدهم ، ولا تخصيص لأحد دون آخر . فقسمته في البشارة ، والنذارة ، بين النّاس ، قسمة عدل ، وإنصاف ، وفيها تجرّد مطلق عن هوى ، أو عصبية ، ثُمَّ الله يعطي فهم هذه الشريعة ، بمفرداتها ، ومجموعها ، لمن يشاء من عباده ، وأراد له الخير ، ويمنعه عمّن يشاء بعدله ، وحكمته .

(٤) ويـتأثّر الإنسـان بما حوله ، وبمن حوله في سلوكه ، وأخلاقه منذ مـراحل تكوين شخصيته المبكّرة ، مما يشكّل في مجموعه ـ غالبًا ـ محور شخصية هـذا المخلوق في مستقبل أيام حياته . ومصداق ذلك قوله ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ »[٣] .

---

(١) أعلام الموقعين (١/٢٦٨) .

(٢) أخـرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرًا ، ومسلم في الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان .

(٣) رواه الـبخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه ، ومسلم في كتاب القدر (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) ، باب معنى كلّ مولد يولد على الفطرة . . كلاهما عن أبي هُرَيْرة ﷺ .

قال الخطابي : إنّ كلّ مولود من البشر إنما يولد في أوّل مبدأ الخلق ، وأصل الجبـــلّة على الفطرة السليمة ، والطبع المتهيء لقبول الدِّين . فلو تُرك عليها ، وخُلّي وسوْمَها لاستمر على لزومها ، ولم ينتقل عنها إلى غيرها .

وذلك أنّ هذا الدين بادٍ حسنه في العقول ، ويُسْره في النفوس .

وإنمـــا يعدل عنه من يعدل إلى غيره ، ويؤثره عليه لآفة من آفات النشوء ، والتقليد .

ولما سلم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيره ، ولم يختر عليه سواه .

ثمَّ تمثل بأولاد اليهود ، والنصارى في اتِّباعهم لآبائهم ، والميل إلى أديانهم ، فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة ، وعن المحجة المستقيمة [1] .

(٥) غير أن للعقل في الإنسان دورًا بالغ الأهميّة في هدايته ، عند اكتمال نضـــجه ، وتحـــرّره مـــن القيود غير الشرعية ، والأوهام في العادات والتقاليد الموروثة ، ويبقى على أصل خِلقته من السلامة من الآفات .

فمـــن النّاس من ينشأ كافرًا ثمَّ يهتدي بعقله ـــ بعد إرادة الله ـــ إلى الإيمان الحق ، متدبّرًا لآيات الله في الكون ، وفي نفسه .

فيتحوّل من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة .

والأمر نفسه يظهر في الأخلاق ، والسلوك، فينشأ الإنسان على نمط منهما سيئاً ثمَّ يهتدي بعد أن تزول عن عينيه غشاوة الضلال.

(٦) وإذا تكـــلّف إنســـان سلوكاً معيّناً لتحقيق غايته، تكلّف نمطاً غريباً،

---

(١) انظر كتابه أعلام الحديث (١/٧١٦) .

وشاقاً من التعقّل، والتفكير، لا يلبث أن يتلعثم صاحبه عند المواجهة، ويجنح إلى الإفصـــاح عن حقيقة نواياه فتظهر للعيان ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد / ٣٠] .

فالّذين تخلّفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ تذرّعوا بعورة بيوتهم ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب / ١٢ ــ ١٤] .

والّذيـــن تخـــلّفوا عن غزوة تبوك مدّعين الخوف على أنفسهم من الافتتان ببـــنات الروم ، كشف الله زيف دعواهم بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة / ٤٩] .

فالـــنفاق سلوك شاذ عن قاعدة البراءة للإنسان السوي . وإنما يكتسبه ـــ بعضهم ـــ لمرض في قلبه ، وضعف في إرادته ، وتخلخل في إيمانه .

ويَعْتَـــبرُ أنّ ذلـــك الســـلوك منه نوع من حسن التّصرّف ، والتّعْمية على الآخرين لتحقيق الغاية . فيصبح له أسلوب حياة .

وصدق الله القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف / ٢ ــ ٣] .

فمخالفة القول العمل ، خلق مذموم ، يفقد صاحبه احترام الآخرين . . .

والمعـــاملات ، والمبادلات بين إنسان ، وإنسان تقوم على حاجتهما الفطرية إلى إشباع رغباتهما ، وتتحقق بتعاونهما معًا في قضائها .

وهـــوى النّفس ، والشعور بالتميز عن الآخرين ، والأثرة تظهر في سلوك بعض النّاس عند تعاملهم . وهي أمور قد تجرُّ إلى صراع بين الطرفين ، وانتحال الأسباب باللجوء إلى أنواع من الحيل ، والالتواء في الأساليب .

ومـــن حكمة الباري ﷻ أن جعل كثيرًا من المصالح الدنيوية مرتبطًا بعضها ببعض ، ومكمّلاً بعضها بعضًا ، فلا يمكن لإنسان تحقيق مصلحة ذاتية من كثير مـــن الأشـــياء إلاّ بمســـاعدة غيره . ولا يستطيع إنسان الاكتفاء ذاتيًا في جميع حاجاتـــه في الحيـــاة دون الاســـتعانة بغيره ، سواء كان بطريق مباشر ، أو غير مباشر .

وجعـــل الله النّاس على درجات متفاوتة ، ومختلفة من الذكاء ، والفطنة ، فهم يتفاوتون أيضًا في الجمع والتحصيل ، ولا يتّفقون في القدْر والنوع .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ١٦٥] .

والضعيف يتودد إلى القوي لتحقيق منافعه الذاتية ، والقوي يبذل من ماله ، وســـطوته ما يؤمن حصوله على حاجته ، فينشأ من هذا الصراع في هذا المجال وغـــيره من مجالات الحياة المعيشية المختلفة ، تَفَتُّق الأذهان عن البحث في شتى الطـــرق ، والوســـائل المؤديـــة إلى تأمين ما يحتاجه النّاس من تحقيق مصالحهم فيما بينهم . وهم في ذلك ـــ يختلفون في الأسلوب ، والنهج ، ونوع الإرادة ، ودرجة الصبر ، وقوّة اليقين ، وقدرة التحمّل . وعلى سبيل المثال :

أ ـــ الإنسان كلما قَصَرَ حاجات نفسه المعيشية على الضروري منها ، عاش بعيـــدًا عن المهاترات الّتي تزري به ، وحفظ لقدْره ، ولكرامته علوّ المكانة ، ووفّر على نفسه الجهد والمشقّة في اللجوء إلى أكثر أساليب (المداراة) ، وقلّل من فتن الدنيا عليه ، وزخرفها ، وزينتها .

قال الرسول ﷺ لأبي هريرة : « اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الـــلَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ، باب الزهد عن رسول الله ﷺ .

قال الألباني في صحيح سنن التِّرمذيّ (٢/٢٦٦) : حسن .

ب ــ وأمّـــا الّذي لا يتورّع عن اتخاذ أي وسيلة لتحقيق غاياته فإنّه يُكيِّف أفعالـــه وفـــق مصـــالحه الذاتية ، وتكون علاقاته مع الآخرين محكومة بالمصالح الخاصة به ، فهو في سعي دائب ، وشغف وتعلّق بظاهر الحياة وزخرفها ، ولسان حاله يقول : إذا مت ظمآن فلا نزل القطر .

وأمّـــا الّذي يُداري ، ويُتدارى منه ، يأخذ بحق ، ويعطي بعدل ، يرغب في الـــزيادة ، ويخاف من المشتبهات فيها ، يملك من الإرادة ما يجعله يسيطر على رغبات نفسه ــ غالبًا عِند تجاوزها حدود الله .

فهو يحرص على المباحات عند التفتيش عن الوسائل ، ويتتبع الرخص عند الدفاع عن نفسه ، وإقناعه لها .

فشهوة حبّ التملك تغالبه عند استرساله في تصور الأمور ، وتحليلها .

فالأوّل يغلب عليه الزهد ، والقناعة ، اللّذان ملأا جوانح نفسه بالرضا بما قسم الله له .

والثاني غلبه هواه ، وطوَّعته نفسه ، وسيَّره الشيطان .

فـــالهوى أعمـــى بصـــيرته ، والنفس أطغته ، والشيطان زيّن له عمله فرآه حسنًا . فنفسه سوّلَت له فعل تحقيق شهواتها ، ففعل ، حَتّى إذا ذُكّر ، أو تذكّر سوء العاقبة ، علم أنّ الله غفور رحيم . وأطنب في التسويف ، وتشدّق بقوله : ليس إنسانًا معصومًا ، ثمّ تغلبه نفسه على ما تعوّد منها .

ثمَّ هـــو يـــنقم عـــلى كلّ من يفضله بمالٍ ، أو جاه ، أو عيال ، فلا ينسب التقصير إلى نفسه ، بل إلى سوء طالع ، وشحّ الفرص في الحياة .

ومـــا أن تـــلوح له فرصة منها حَتّى يبادر إلى اقتناصها غير مبال بالنتائج ، فالحلال ما وقع في يده ، والحرام ما استعصى عليه .

وأمـــا الثالث فهو الأنموذج الأقرب للإصلاح ، والصلاح ، خيره قريب ، وخوفه شديد من سوء العاقبة ، وتردده بين الصحيح والأصح جعله يميّز بين ما هو حرام وما هو حلال وما بينهما من مشتبهات الأمور .

وإذا ما غلبته نفسه ـ أحيانًا ـ على فعل المتشابه من الأقوال ، والأفعال ، يسترجع ، ويندم .

وفي مجـــتمع يعـــجُّ بالمفارقـــات الطـــبقية ، والاعتبارات الذاتية للألقاب ، والســـمات الشخصية ، والمكانة الاجتماعية ، والأصول العرقية ، يكون مجتمعًا قابلاً لشتى الأفكار ، والمناحي ، والاتجاهات .

فمـــن كل نوع تجد أنموذجًا ، وأفرادًا ، ولكل شرب تجد صادرًا وواردًا ، وخاصة ما يتعلّق بجانب (المداراة) سلوكًا يُتوصَّل به إلى تحقيق الغاية .

وفي هذا البحث أحاول الوصول ـ إن شاء الله ـ إلى شيء من معرفة بعض مـــا يتعـــلّق (بالمداراة) بالاستعانة بما ورد في القرآن من آيات ، وفي السنّة من أحاديث ، وآثار الصحابة ، والتابعين . ففي مجموع ذلك ما ينير الطريق للباحث ، ويكشف زيوف ما جدّ على مسألة (المداراة) عند المتأخرين الّذين ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٠٢] .

و (المـــداراة) سلوك لا يمكن أن يسلم منه إنسان سوي ، فربما كان أمرًا يجري منه مجرى الغرائز فيه الّتي لا تنتهي عن الطلب حَتَّى تنال إرواءها .

هـــذا على اعتبار أن حاجات الإنسان ومتطلباته في الحياة الدنيا لا تنتهي ، وإن كـــانت تقلّ وتكثر بين إنسان وآخر وفقًا لدرجة التحمّل ، والصبر لديه ، وتقييمه لفرص الحياة .

فـــالوقوف عـــلى سلبيات ، وإيجابيات (المداراة) يُسَهِّل الانتفاع بما هو صـــالح ، وطـــرح ما هو فاسد منها ، أو الحدّ من الفاسد بترويض النّفس على

القـناعة بالقـليل الصـالح عن الكثير الفاسد الّذي يضر بالدين ، والأخلاق والمروءة .

وقد قيل : من ابتغى الخير اتقى الشر .

وقال الباري جلّ وعلا : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

وأسأل الله السداد .

۞۞۞

المبحث الأول
المعنى اللغوي والاصطلاحي للمداراة
وبعض مرادفاتها

أولاً : المعنى اللغوي :

قال الأزهري : قال أبو زيد في كتاب « الهمز » :

(درأْتَ) الرجل (مُدارأة) إذا اتّقيتَهُ .

وقال أبو عبيد : (المدارأة) هاهنا مهموزة ، مِن (دِرأْت) وهي : المشاغبة ، والمخالفة على صاحبك . ومنه قول الله ﷻ : ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ، يعني اختلافهم في القتيل .

ومن ذلك قول الشعبي في المختلِعة : « إذا كان (الدُّرْءُ) من قِبلها فلا بأس أن يأخذ منها » .

يعني (بالدرء) : النشوز ، والاعوجاج ، والاختلاف . وكلّ من دفعتَه عنك فقد (درأْته) .

وقال ابن السّكّيت : (درأْته) عني (أدْرؤه) (درْأ) : إذا دفعته . ومنه قوله ﷺ : « ادرؤوا الحدود بالشبهات » [(١)] .

يقال : (درأت) فلانًا أي : دفعته . و (داريته) أي : لايَنْتُه .

(١) رواه أبو حنيفة عن ابن عبّاس في (مسنده) مرفوعًا ، ص١٨٦ . وضعّفه الألباني . انظر : (إرواء الغليل) ، حديث رقم (٢٣١٦) ، تلخيص الحبير (٤/٥٦) .

و (درأته) : (داريته) ودافعته ، ولاينته [١] . ا .هـ .

قال في اللسان :

و (المداراة) في حسن الخلق ، والمعاشرة مع النّاس يكون مهموزًا (مدارأة) ، وغير مهموز (مداراة) .

فمن هَمَزَه كان معناه : الاتقاء لشرّه .

ومن لم يهمزه جعله من (دريْت) الظبي أي : احتلت له ، وختلته حَتّى أصيده .

و (داريته) من (دريت) أي : ختلت .

قال الجوهري : و (مداراة) النّاس : المداجاة ، والملاينة .

ومنه الحديث : « رأس العقل ـ بعد الإيمان بالله ـ مداراة النّاس » [٢] .

أي : ملاينتهم ، وحسن صحبتهم ، واحتمالُهم لئلا ينفروا عنك .

و (داريت) الرجل : لاينته ، ورفقْتُ به [٣] .

---

(١) تهذيب اللغة : (١٤/١٥٦) .

(٢) أخرَجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في اصطناع المعروف عن هُشيم عن عليّ بن زيد عن سعيد بن المسيب . قال يحيى بن معين : لم يسمع هُشيم من عليّ بن زيد حديث (رأس العقل) . انظر تاريخه (٢/٦٢٢) ، قال البيهقي في شعب الإيمان (٦/٣٤٣) رقم (٨٤٤٦) : وصْلُه مُنْكَر ، وإنّما يُروى منقطعًا .

(٣) اللسان ، مادة : درأ .

ثانيًا : المعنى الاصطلاحي :

قال ابن حجر : قال ابن بطّال :

المـــداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي : خفض الجناح للنّاس ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة .

وظنّ بعضهم أن المداراة هي : المداهنة ، فغلِط .

لأنّ المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرَّمة .

والفـــرق أنّ المداهـــنة من الدِهان ، وهو الّذي يظهر على الشيء ، ويستر باطنه .

وفسَّـــرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه .

والمـــداراة هي : الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ، حيث لا يُظهِر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول ، والفعل ولاسيما إذا احتِيج إلى تألفه ، ونحو ذلك [١] .

وقال الجرجاني :

المداهـــنة هـــي أن تـــرى منكرًا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظًا لجانب مرتكبه ، أو جانب غيره ، أو لقلّة مبالاة في الدين [٢] .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : (٥٢٨/١٠) .

(٢) التعريفات : (ص٢٣٥) .

قال ابن حبان تعليقًا على حديث « مداراة النّاس صدقة »[1] : (المداراة) الَّـــتِي تكون صدقة للمداري هي تخلُّق الإنسان الأشياء المستحسنة مع من يُدفع إلى عشرته مالم يَشُبْها بمعصية الله .

والمداهنة هي : استعمال المرء الخصال الَّتِي تُستحسن منه في العِشرة ، وقد يشوبها ما يكره الله جلّ وعلا .

وقـــال ابـــن القيّـــم : « الفرق بين المداراة والمداهنة : أن المداراة التلطّف بالإنسان لتستخرج منه الحقَّ أو تردّه عن الباطل ، والمداهنة : التّلطّف به لتقرَّه عـــلى باطلـــه وتـــتركه عـــلى هواه ، فالمداراة لأهل الإيمان ، والمداهنة لأهل النفاق »[2] .

وقال أبو هلال العسكري :

الفـــرق بين (اللطف) و (المداراة) أن (المداراة) ضرب من الاحتيال ، والختْل ، من قولك : (دريت) الصيد إذا ختلته .

وإنما يقال : (داريت) الرجل إذا توصّلت إلى المطلوب من جهته بالحيلة ، والختل .

---

(١) رواه ابن حِبّان في صحيحه : ٢١٦/٢ ، حديث رقم (٤٧١) ، والطبراني (في الأوســـط) بـــرقم (٤٦٦) ، وأبو نُعيم في (الحلية) : ٢٤٦/٨ ، وابن السني (في عمـــل اليـــوم والليلة) برقم (٣٢٥) . قال الشّيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان : إسناده ضعيف . المسيب بن واضح : صدوق يخطـــيء كثيرًا ، فإذا قيل له لم يقبل ، قاله أبو حاتم . وانظر الكامل لابن عدي (٦/ ٢٣٨٣ ـــ ٢٣٨٥) ، كشف الخفاء (٢٠٠/٢) .

(٢) انظر كتاب « الروح » ص (٢٨١) .

قـــال : وفلان لطيف الحيلة إذا كان يتوصَّل إلى بغيته بالرفق ، والسهولة . ويكون اللطف حُسن العشرة ، والمداخلة في الأمور بسهولة [1] .



(١) الفروق ، لأبي هلال العسكري ص (٢٤١) .

المبحث الثّاني
ما ورد في القرآن الكريم عن المداراة ومدلولاتها

القرآن الكريم كتاب هداية ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة / ١٦] .

وهـــو كلام الله ووحيه إلى نبيّه المصطفى ـ محمّد بن عبدالله ـ ﷺ ، الّذي ختم به النبوة ، وقفّى به الرسل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى / ٥٢] .

وجـــاء القـــرآن الكريم في مضمونه شاملاً لما أراد الله بيانه لخلقه من أوامر ونواهٍ ، وواجبات وحقوق ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام / ٣٨] .

وهو ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود / ١] .

فهاتان الصفتان العظيمتان : الشمول ، والتفصيل أكْسَبَتا معجزة محمد بن عـــبدالله ﷺ الخـــالدة قوّة الحجّة ، وسلامة المنطق ، ورسوخ القاعدة ، وإيجابية المفهـــوم ، واستمرارية التطبيق ، وصلاح النظام ، وعدم الخشية من التبديل أو التحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر / ٩] .

فلا يجد العاقل السوي عند سماعه أو تلاوته إلاّ أن يُذعن ويستجيب .

ومن أعرض ، وناوأ ، فلمرض في قلبه ، أو لجهله فحوى الخطاب ، أو فيه شيء من المكابرة قد تَسَوَّرَ بصره فأعمى بصيرته .

وقـــصّ فيـــه مـــن القَصص أحسنه عن الأمم السابقة في العصور الغابرة ، ليـــتفكّر ، ويـــتذكّر ، ويعتبر إنسان العصر بمن مضى ، وباد ، وانقرض ، من

الأمم ، والدول ، أكابر ، وأصاغر ، حتّى لا يغترّ أحد بقوّته ، أو جبروته ، أو سلطانه .

وللقرآن أساليب مختلفة باختلاف المناسبات ، والوقائع ، فهناك ما يتطلّب الجدل بالتي هي أحسن لتأليف القلوب ، وما يصاحب ذلك من آيات باهرات ، تُبْهت الفاسق ، وتكسر طوق المعاند ، والمكابر ، وتزيد المؤمن إيمانًا راسخًا .

كقوله تعالى في وصف موقف إبراهيم الخليل عليه السلام مع النمرود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة / ٢٥٨] .

فالقوة بالمنطق غلبت القوّة بالجدل المتفرع عن الباطل .

ويظهر ضعف موقف الماديين عند الجدال بالحجّة على شكل زمجرة ، وزعيق ، ووعد ، ووعيد .

وللباطل جولات يظهر الحقّ بعدها سيفًا يبتر علائقه . وعند مجادلة الجبابرة من أهل الظلم ، والبغي في ظلمهم ، وبغيهم ، وجبروهم ، تظهر الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن عند المؤمنين بوحدانية الله ، وتظهر سِمة التعالي ، والتطاول ، والمكابرة عند الكافرين . ذلك لأنّ كلّ فريق ينطلق من قاعدته الّتي بنى عليها معتقده . فالمؤمن الراسخ الإيمان ذو قناعة تامة ، واطمئنان قلبي لما سيؤول إليه أمره . والكافر فقد الحجّة السليمة فلجأ إلى القوّة ، والأساس السليم يقوى على حمل صَرْحٍ سَليم . وما كان على جرفٍ هارٍ فإنّه ينهار .

والأنبياء والرسل من أكثر عباد الله المؤمنين حرصًا على هداية النّاس ، ودعوهم جميعًا إلى توحيد الله في العبادة . وتحذيرهم من كيد عدوهم الأوّل

إبليس اللعين وزمرته .

وقــد غــلب على أسلوب دعوهم طابع الصبر ، واللّين . فهذا نوح عليه السلام يمكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عامًا يدعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، ويحذّرهم سوء العاقبة إن هم أعرضوا ، ويعدهم بالثواب الجزيل إن هم أقبلوا .

فالتحذير ، والتذكير ، والإغراء ، من أساليب الإمالة للقلوب السليمة إلى الأخذ بأسباب النجاة . من غير عنف ، أو إكراه .

وإبراهــيم عليه السلام كــان من أكثر المناوئين له أبوه وقومه عند دعوته لهم إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئًا ، وقد لاقى في ذلك عنتًا شديدًا ، وحرجًا بــليغًا لوقوف أبيه مع المشركين ضدّ دعوته ، حتّى قال له أبوه يومًا : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم / ٤٦] .

فاســتوحش إبراهيم عليه السلام من موقف أبيه آزر ، ولكنه أبقى على شيء من البرّ له عندما ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم / ٧] .

غــير أنّ هــذا الموقف اللين لم يغير شيئًا من موقف أبيه واستمر في عدائه لدعوته .

عــندها خشي عليه السلام أن ينقلب موقفه من أبيه وقومه من مفهوم المداراة إلى مفهوم المداهنة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة / ١١٤] .

تبيّن له من جهة الوحي أنّ أباه لن يؤمن ، وأنّه يموت كافرًا .

فانقطع رجاؤه عنه ، فقطع استغفاره له .

وهكــذا يجب أن يكون موقف الداعية المؤمن من المناوئين لدعوته ، صبرًا

عـــلى الأذى ، وليـــنًا في الخطاب ، ووضوحًا في البيان ، والتذكير ، والوعد ، والوعيد . حَتَّى إذا سُدَّت المنافذ في وجهه ، واستحكم الهوى على عقل عدوه ، وأظهر مقاومة شرسة ، تركه وما أراد ، فقد أعذر إلى الله ، وبرئت ذمّته ، وأقام الحجّة على عدوّه .

ولإبراهـــيم الخـــليل عليه السلام في دعوته إلى الله موقف آخر مع عدو من أعداء دعوته الّذي سنَّ لنفسه قانونًا يقضي بوجوب إحاطته بكل امرأة توصف بالحسن والجمال تدخل أرض مملكته ليستأثر بها لنفسه .

وجاءه خبر (سارة) زوج إبراهيم عليه السلام ، وكانت أجمل نساء الأرض . قيل لـــه : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلاّ لك . فأدرك الخليل عليه السلام أنّ الجـــبّار سيســـتدعيها إليه بالقهر ، والجبروت ، ولا طاقة له بردِّه ، ومنعه عمّا أراد ، فاتّفق مع زوجه أن تقول إذا سألوها عن صلة القرابة بينهما أنّها أخته ــ وأراد بذلك أخوّة الإيمان ــ وفي ذلك تمويه على الكافر حَتَّى لا يقدم على قتله إذا عَـــلم أنّه زوجها ، ليتخلّص منه ، ويأمن شرَّ غيرته ، ولكن ربّما حرص ــ الجبار ــ على استرضائه بوصفه أخًا لسارة طمعًا في زواجه منها عن طريق طلبها منه ، ثمَّ يرجو مدافعته عنها .

وقيل : إنّ إبراهيم عليه السلام أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفّهما ، وذلك أنّ اغتصـــاب الملك إياها واقع لا محالة ، لكن إن علم أنّ لها زوجًا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه ، أو حبسه وإضراره ، بخلاف ما إذا علم أنّ لها أخًا فإن الغيرة حينئذٍ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قِبل الملك فلا يبالي به [1] .

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٦/٣٩٣) .

وصلة إبراهيم عليه السلام بربّه وثيقة ، ومتينة ، فأدرك عليه السلام أن للّه في ذلك الأمر حكمـــة ، وأنّ الله لن يمكّن عدوّه من وليّه ، وأنّ العاقبة للمتّقين ، وهو الحفيظ العليم .

وكـــان مـــن قصّتهما أنّ الله أخزى الكافر ، وأبطل كيده ، وكبته ، وحمى عرض نبيّه ، وأخدمها الكافر (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام [(١)] .

فطـــريق إبراهـــيم عليه السلام في التعامل مع الكافر الجبّار أخذ جانب المسايرة ، والملاينة طريقًا لمداراة الجاهل ، السفيه ، الأحمق .

وإبراهيم عليه السلام كان غيورًا ، حَتَّى قيل : بأنّه صنع تابوتًا لزوجه سارة يضعها فيه كلّما تنقّل بها ليُخْفيها عن أعين النّاس !! .

فـــلو أبدى أدنى مقاومة لتصدى له الجبّار بجبروته ، وجبابرته وقضى عليه ، وعلى دعوته ، ولكنّ الله سلَّم .

ومـــا فعلـــه إبراهيم عليه السلام حيال فعل الجبّار الغاشم جاء معناه في قول الله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران / ٢٨] .

فقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ معناه : إلاّ أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتقاؤه ، أو تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم [(٢)] .

---

(١) انظـــر صـــحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) .

وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل .

(٢) انظر في هذا المعنى تفسير الطبري للآية (٢٨) من سورة آل عمران .

وموقــف يوسف عليه السلام مع إخوته الذين اتّهموه بالسرقة واتهموا شقيقه في قولهم : ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف / ٧٧] . كان موقفًا حكيمًا ، يتّســم صَــاحبه ببعد النظر وقوّة الإرادة من التحكم في النّفس ورغباتها ، عند أصعب ساعات الإثارة والطغيان .

فهو أمام تهمة خطيرة ، مخلّة بالشرف ، ومخالفة للمروءة ، ومن أقرب النّاس إليــه ، وكان يستطيع أن ينتقم لنفسه منهم ، وأن يوقع بهم أشدّ العقوبة لمكانته الاجتماعية المتميّزة عند ملك مصر .

وقــبل ذلك ما فعلوا به من إلقائه في الجبِّ ، وحرمانه من أبويه ، وتصييره رقيقًا .

فقــد سنحت الفرصة ، وقد أصبح وزيرًا للملك ، وبيده خزائن الأرض ، وجــاءه إخوتــه مــع من جاء من الفقراء المعْوزين يطلبونه رزقًا بعد أن مسَّهم وأهــلهم الضــرُّ . ولكنه كان نبيًّا كريمًا ، حكيمًا ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف / ٧٧] .

فقد كان عليه السلام واثقًا من ربّه ، ومتحصّنًا بإيمانه ، فلو أخذته العزة بالإثم لأمر من يفتك بهم ، أو أن يطردهم شرّ طردة ، وكان محقًا .

ولكنه أدرك عليه السلام بأنّ فقدهم سيزيد من ألم أبيه وحزنه ، وأساه .

وأَدركَ أَيضًــا أنّ للشيطان دورًا فيما وقع بينه وبين إخوته ، فلا ينبغي أن يكون عونًا له على ما أراد .

فكظــم غيظه ، وعفا عنهم ، بعد أن عرّفهم بخطئهم ، وأَبَرَّ بوالديه ، وجمع شمل أسرته .

ومــا كـــان ذلك ليتحقق لولا مشيئة الله ، ثمَّ الصَّبر والملاينة ، وشيء من

الحيلة ، والحنكة ، والختل .

فقد كان عليه السلام لطيف الحيلة فتوصل إلى بغيته بالرفق ، والسهولة .

وموســى بني إسرائيل عليه السلام في دعوته فرعون وقومه إلى الإيمان بالله وحده ، لاقــى تعنــتًا شديدًا من كافر عنيد ، حكمه نافذ في قومه ، بل نصّب نفسه ربًّا عـليهم ، وفـرض عليهم عبادته ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص / ٣٨] . وكفر بمعجزات موسى إليه ، لم يعتبر بواحدة منها ، بل زادته إصرارًا ، وتعنتًا ، وطغيانًا .

شــأنه خطير ، وشرّه مستطير ، فهذا النوع من البشر عنيد ، مكابر ، ذو نفوذ ، وسلطان واسعَيْن ، لا يتردد ، ولا يتورّع عن فعل كلّ ما يمكّنه من عدوه بكل الوسائل ، والطرق .

وقــد واجــه من يدعوه إلى دعوة تناقض كلّ مبادئه ، وتُسفّه كلّ أمانيه ، وأحلامه ، فأخذ يتخبّط في أقواله ، وأفعاله ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ . فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف / ٥١ ــ ٥٤] .

إنّ طاغيــةً هذا شأنه لن يكون سبيل دعوته إلى ما يخالف معتقده أمرًا سهلاً لبشر لولا عناية ، ومشيئة الله . فانتدب الله إليه موسى وأخاه هارون ــ عليهما السلام ــ ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه / ٤٢ ــ ٤٤] .

وخــطّ لهما أسلوب دعوته ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ .

وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ [النازعات / ١٥ ـــ ١٩] .

قال النسفي :

بدأ مخاطبته بالاستفهام الَّذي معناه العرض .

كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟

وأردفـــه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوِّه (١) .

ولقـــد بذل موسى وأخوه هارون ـــ عليهما السلام ـــ وسَعْيُهما في دعوة فـــرعون وقومـــه المشركين إلى الإيمان بالله وحده ، ولكن ذلك الجهد المضني ، وعدم التواني في الدعوة منهما لم يجديا نفعًا مع طاغية أعمى الهوى ، والشيطان ، وشهوة النفس بصره ، وبصيرته .

فتدخـــلت القـــدرة الإلهية في التخلّص منه بإغراقه في اليمّ ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس / ٩٠ ـــ ٩٢] .

فـــالمداراة بالملايـــنة من موسى وأخيه هارون ـــ عليهما السلام ـــ لفرعون وقومه المشركين هي من باب إقامة الحجّة عليهم ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ [طه / ١٣٤] .

(١) انظر تفسير النسفي : ٤/٣٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ١٦٥] .

فكان فرعون مداريًا ، وموسى عليه السلام مداريًا . وكان موسى عليه السلام والمؤمنون معه محكومين ، وفرعون كان حاكمًا ، فاقتضت الحكمة أن يراعي المحكوم الحاكم المستبد اتقاء سطوته ، وجبروته للإبقاء على الداعي ، ودعوته لاستمرارهما مع الآخرين ، بلا إفراط ولا تفريط ، وإنما مداراة ، وحنكة حتَّى إذا أقام عليهم الحجة تركهم ، وشأنهم يواجهون مصيرهم المحتوم ، وقد برأت ذمّة الداعية إن شاء الله .

ومحمّد بن عبدالله ﷺ بذل في دعوته إلى توحيد الله جهده ، وطاقته بأساليب ، وطرق مختلفة يظهر عليها طابع الحكمة ، والرويَّة ، والشفقة ، والإحسان ، والصبر الجميل ، والموعظة بالتي هي أحسن .

فهو رسول الله إلى الثقلين ، بخلاف من سبقه من الرسل والأنبياء ، فقد كان كلّ نبي يبعث في قومه خاصة .

مما جعل مهمته ﷺ من أشقّ المهام ، وأصعبها . إلاّ أنّ الله تعالى أمدّه بعونه ، وتوفيقه ، وعصمه من الخطأ ، أو الزلل ، ورسم له طريق الدعوة فيما أنزل عليه من قرآن ، تكفَّل بحفظه عز وجل عن الزيادة ، والنقصان ، فكان معجزته الخالدة ، فيه البيان ، والإرشاد لطريق الدعوة والهداية .

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

ففي هذه الآية الكريمة أبرز صفات الداعية وأهمّها : أن يكون الداعية ليّن الجانب مع القساة ، والمتعنّتين ، ممن تسوقهم قلّة درايتهم إلى استخدام ألفاظ

نابية في مخاطبتهم إياه .

أو ممن تدفعهم العصبية إلى طلب أمر من الأمور من باب التّعنّت .

وأن يكون الداعية رقيق القلب يحسن معرفة الجوانب الإنسانية عند مخاطبيه ، فيراعي الفروق الفردية بينهم في الوعي والإدراك ، ومعرفة عواقب الأمور . فلو كان ممن يأخذ هذا بجريرة هذا ، ويحكم على هذا في صورة هذا لوقع في قلوبهم شيء من الكراهية له ، ولربما تردد الضعيف في إيصال مظلمته إليه خشية إغضابه ، وحنقه عليه ، فتضيع بذلك حقوقٌ لمستحقيها ، وتتفتح دروبٌ من الشرّ لمنتحليها .

وأن يعفو عمن أساء ، ويستغفر له إن كان ما وقع منه جهلاً ، أو قصورًا في التفكير .

فإنّ مثل هذه الأفعال الحسنة وغيرها مما يقرّب المدعو إلى الداعية . ثمّ يصل أمر الداعية إلى ذروته في الفاعلية عندما يُشعر المدعوين بقدْرهم ، وقيمتهم الفكرية حين يشاورهم في الأمور الّتي لها مساس بدينهم ، ودنياهم .

حينئذٍ يترسخ الولاء من التابع للمتبوع ، ويستشعر الجميع أهمّيّة الرأي ، والمشورة ، فيتوحد بذلك المصير ، ويصبح مشتركًا .

وفي توجيه آخر ينهى الله نبيه محمّدًا ﷺ من التعرض لآلهة المناوئين لدعوته ، والمجاهرين بتكذيبه ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام / ١٠٨] .

فطالما أنهم لا يميزون بين الحق والباطل فيما يقولون ويفعلون ، ويخضعون لأهوائهم ، وشهواتهم في تحديد رغباتهم ، فعليكم أن تمسكوا عن ذكر آلهتهم بما يكرهون ، حَتّى لا يدفعهم ذلك عصبية وجهلاً إلى سبّ الله جلّ وعلا عدوانًا وظلمًا .

قال ابن العربي :

هذا يدل على أنّ للمحقِّ أن يكفّ عن حقّ جائز يكون له إذا أدّى ذلك إلى ضرر يكون في الدين [١] .

ويشبه ذلك حضور مجالس السفهاء ، والتعقيب على تصرفاهم ، والتشنيع عليهم ، ووعدهم ، ووعيدهم بما جاء في الشريعة من أحكام على مثل أفعالهم .

فإن أحد السفهاء قد يفلت لسانه بكلمات تنال من المشرِّع ، أو تنقص من قـــدر الإسلام أو المسلمين ، وربما تعرّض الداعية نفسه إلى السخرية ، والأذى المـــادي ، والمعنوي . فالكف عن التنديد بصنيعهم مباشرة بالقول أو الفعل نوع مـــن المداراة والمسايرة اللتين تمتصان الكثير من غلوائهم ، حَتَّى إذا عادت إليهم عقولهـــم بالتفكير المجرد في عواقب الأمور ، استطاع حينئذٍ الموجهون توجيههم الوجهة الصحيحة .

ومحاولـــة توجيـــه النصـــيحة للفرد بعيدًا عن سماع الآخرين ومعرفتهم . فالنصيحة في الجماعة نوع من التوبيخ يأبى كثير من النّاس سماعه .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/١٢٥] .

فقولـــه تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال الزمخشري : بالطريقة الَّتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق ، واللين من غير فظاظة ، ولا تعنيف [٢] .

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

---

(١) أحكام القرآن (٧٤٤/٢) .

(٢) الكشاف (٣٤٩/٢) .

الْمُسْلِمِينَ . وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت / ٣٣ ــ ٣٥] .

في هذه الآيات توجيه حميد ، ومنهج دعوة قويم .

فإن الداعي لا يخلو من مناوئين لدعوته . وأولئك المناوئون يكون لهم أنصار مؤيِّدون لهم قد غفلوا عن معرفة حقائق الأمور ، وملابساتها . فهم يأتمرون بأوامر زعمائهم ، ويقضون بقضائهم . فإن أخذ الداعية بكل سيئة تصدر عنهم ، وأراد مقابلة السيئة بالسيئة أكفهرَّ وجه دعوته ، وزين الشيطان حينئذٍ للطرفين وسائل الانتقام ، والفتك بالآخر .

فيتضخم بذلك مجال الشرِّ ، ويتّسع ، ويضيق بالمقابل مجال الخير حَتَّى الاختناق .

ومحصّل هذا : خوف ، وتشرد ، وقتل ، وفرقة .

ومنهج الإسلام ، ومبادئه السامية : الإصلاح ، والوئام ، وإخراج النّاس من الظلمات إلى النور . وتحقيق ذلك يتطلب الصبر والأناة ، والموعظة الحسنة ، والصفح عن المسيء بجهالة . ومقابلتها بما أمكن من الإحسان ، حَتَّى إذا اجتمع الصفح والإحسان ، وبذل الإستطاعة فيه ، كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة ، وهذه قضية قوله تعالى : ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والمداراة محثوث عليها ما لم تُؤد إلى ثلم دينٍ وإزراء بمروءة .

والحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ، فخذ بالحسنة الَّتي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة الَّتي ترد عليك من بعض أعدائك . ومثال ذلك :

رجل أساء إليك إساءة ، فالحسنة أن تعفو عنه . والتي هي أحسن أن تحسن

إليه مكان إساءته إليك .

مثل : أن يذمّك فتمدحه ، ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه . فإنّك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك .

وعن ابن عباس ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ [المزمل / ٩] . خطاب لنبينا ﷺ أن يجانبَ الّذين ناوءوا دعوته من مشركي مكة وغيرها بقلبه ، وهواه ، ويخالفهم مع حسن المخالقة ، والمداراة ، والإغضاء ، وترك المكافأة [2] .

وفي توجيه عام للنّاس يقول الله تعالى في حقّ الوالدين : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء / ٢٣ ـــ ٢٤] .

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلّقًا بصيغة الجزم ، في كتاب التفسير ،ن سورة حم السجدة ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١١٩/٢٤ ـــ ١٢٠) من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس .

قال الإمام النحاس : ((وهو صحيح عن ابن عباس ، والذي يطعن في إسناده يقول: ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة . وهذا القول لا يوجب طعنًا ، لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة صدوق)) . انظر : (الناسخ والمنسوخ) للنحاس : ٤٦١/١) .

(٢) الكشاف (٦٤٠/٤) بتصرف .

فالإنســـان في نموه يمر خلال حياته بمراحل مختلفة ، تبدأ بالضعف ، وتنتهي بالضــعف . ففـــي المرحــلة الأولى يتولى رعايته أبواه أو أحدهما . وفي المرحلة الأخيرة يتولى رعايته أبناؤه .

غير أن مرحلة الضعف الأولى يعقبها قوة وعنفوان .

ومرحلة الضعف الثانية تتطور إلى ضعف ، وضعف شديد يفقد معه الإنسان الكثير من نشاطه ، وحيويته فيكون فيها محتاجًا لمن يساعده على قضاء كثير من شئونه في الحياة ، فيبرز حينئذ دور الأبناء فيكون منهم البرّ بوالديهما الّذي يتمثل في طاعــتهما في غــير معصية الله ، ورعايتهما ، والصبر على ذلك . هنا يمكن للمداراة أن يكون لها دورٌ محوريٌّ في تلك العلاقة الظاهر في المجاملة ، والأثرة ، والتنازل ، والملاينة ، والرفق ، والملاطفة ، وحسن العشرة ، والمداخلة في الأمور بسهولة ، وبالرضى ، والقبول من الفاعل .

ومن لم يوفق إلى فعل ذلك مع أبويه أو أحدهما فهو من المحرومين الأشقياء . كمــا بيّن ذلك النبي ﷺ في قوله : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، قِيــلَ : مَــنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا ، أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » (١) .

وهكذا يمضي الشارع الحكيم في بيانه الرائع ، المحكَم آخذًا بأيدي المؤمنين إلى ما فيه صلاحهم في الدارين .

۞۞۞

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البرّ ، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنّة ، عن أبي هُرَيْرة ﷺ (ح/٢٥٥١) .

المبحث الثالث

ما ورد في السنّة ، وآثار الصحابة والتابعين عن المداراة وكيف فهموها ؟!

(١) فـيما يتعلّق بالاستقرار العائلي الّذي ينشده كلّ عاقل وسويّ تبرز جوانب كثيرة من (المداراة) في حياة الرعيل الأوّل من سلفنا الصالح ، تشكل في مجموعهـا مـنهجًا قويمًـا للمهتدين . قالت عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ : كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ ، وَيَمْكُثُ عِـنْدَهَا ، فَوَاطَيْـتُ أَنَـا وَحَفْصَـةُ عَـلَى أَيَّتنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ [١] ؟ ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ .

قَالَ : « لا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا » [٢] .

وهــناك رواية أخرى للحديث تقول بأنه ﷺ حرّم على نفسه جاريته مارية إرضاءً لحفصة عندما اختلى بها في ليلتها وفي غرفتها [٣] .

---

(١) قــال الكســائي وأبو عمرو : (المغافير) شيء شبيه بالصمغ يكون في الرِمث ، وقيــل : (المغافير) صمغ يسيل من شجر العُرفط حلو غير أن رائحته ليست بطيبة . غريب الحديث لأبي عبيد (٢/٢٥٦) ، واللسان (ع/ر/ف/ط) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب لم تُحرم ما أحلّ الله لك ؟

وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، (٢٠) .

(٣) أخرجها النَّسائي في كتاب عِشرة النساء ، باب الغَيرة عن أنس . قال الألباني في صـحيح سنن النَّسائي : (٣/٨٣١) ، رقم (٣٦٩٥) : صحيح الإسناد ، وانظر تفسير البغوي (٨/١٦٢) .

هذا الفعل من النبي ﷺ كان اجتهادًا منه ، حَتَّى أن ربّه جلّ وعلا عاتبه في ذلـــك في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحريم / ١] .

والرسول ﷺ من منطلق بشريته ، وإنسانيته السوية يقع له مع أهل بيته من الخلافات ، والمنازعات ما يمكن أن يقع بين أي ربّ أسرة مع أسرته .

وربمـــا نغّص عليه ذلك النزاع ، وأغضبه ، ودفعه إلى اعتزال نسائه كلهن مدّة شهر من الزمان (١) .

ولكـــنّه في كلّ الأحوال يبقى ذلك الإنسان الكريم ، ذا الخلق العظيم . فلا يظلم ، ولا يجور ، ولا يقول إلا الحق .

وكـــان ﷺ يحـــرص عـــلى إرضاء أزواجه وفق مفهوم ما شُرِع لهن على أزواجهـــن مـــن حقـــوق ، يأتي في مقدمتها حسن المعاشرة . بالتلطف إليهن ، والعدل والمساواة بينهن ، وتجنب ما يكدر عليهن صفو حياتهن .

وذلـــك ليشرّع للنّاس ما يتّبعونه من آداب ، وأخلاق فيما بينهم . فتحريمه العسل كان لإرضاء من أثّر في نفسها تأخره عند جارتها وقتًا أطول مما يمكثه عند الأخريات . وحلْفه عليها ألاّ تخبر أحدًا كان مراعاة لشعور زوجاته الأخريات اللاتي لم يطّلعن على الخبر أساسًا .

فـــإذا نظرنا إلى نوع الفعل الّذي وقع منه ﷺ وجدناه فعلاً لا تدخله شبهة

---

(١) صـــحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة (٦٦) . . وكتاب النكاح ، باب رقم (٨٣) .

وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، رقم : (٢٣ ، ٢٤) .

التحريم ، ولا حتّى الكراهة ، فدلّ على أنه كان تنازلاً منه عن شهوة نفس في لذّة طعام يفضّله ، وآثر عليه مرضاة أزواجه ، ووئام أسرته .

ثمّ إن قول الرجل : هذا حرامٌ عليَّ . لا يُحرم شيئًا ، ويكون يمينًا توجب الكفّارة عند بعضهم . وهذا يؤيده قول الله تعالى بعد ذلك : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم / ٢] .

وهذا النوع من المداراة يقع من الحكيم من النّاس ، عند معاملته من هم دونه في المسئولية والقدرة على تحمّل أعباء الحياة ، كالزوجات ، والأبناء .

(٢) وعن العلاقة بين الرَّجل والمرأة وخاصة الزوجان ، نجد من السنّة النبوية ما يرشد ، ويُعين على تفهم طبيعتها ، ويحقّق لها قدرًا كبيرًا من الوئام .

ذلك أنّ نوعًا من المداراة يجب أن يتسلّح به أحد الطرفين مع الآخر .

قال الرسول ﷺ : « الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا ، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ » [١] .

قال ابن حجر :

وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب . وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وإن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن . . . مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ، ويستعين

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء .

ومسلم ، في الرضاع ، رقم (٦٣ ، ٦٥) .

بها على معاشه . فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتم إلاّ بالصبر عليها [1] .

(٣) وفي بعـــض المواطن قد يضطر المسلم فيها إلى إخفاء الحقيقة من باب (المداراة) ، بمجاوزة الصدق طلبًا للسلامة ، ودفعًا للضرر عن نفسه ، أو أُمَّتهُ ، أو الابقاء على وئام أسرته .

وقـــد يُعـــدُّ ذلـــك كذبًـــا ، ولكن الشارع رخص فيه على سبيل التورية والتعريض في ثلاثة مواطن :

الحـــرب ، وحديث الرجل لامرأته ، والإصلاح بين النّاس [2] ، وبيان ذلك كما يلي :

أ ــ القائد في الحرب يوهم سامعه أنه ينوي التوجه إلى الشمال بينما يتّجه إلى الجنوب ، حَتَّى يربك عدوه ، ويضيِّع عليه فرصة الاستعداد للمواجهة ، فيفاجأ بـــالهجوم ، فتضـــعف عنده الروح المعنوية ، فيمنى بالهزيمة ، وقد سمّى النبي ﷺ الحرب خَدْعة [3] . قيل : معناها : الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن ولو مرّة ، وإلاّ فقاتل .

وقيل : معناها : الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة ، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر [4] .

---

(١) فتح الباري (٢٥٤/٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ، حديث (١٠١) ، وصحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الّذي يصلح بين النّاس .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٥٨/٦) .

قال ابن العربي : الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقًا بالمسلمين لحاجتهم إليه ، وليس للعقل فيه مجال ، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالاً [١] .

ب ـ والأسير من المسلمين عند الأعداء سيستنطقونه بطرق شتى : أخبار قومه ، وعددهم ، وعدّهم ، وخططهم ، وتوجهاتهم . فإن ذهب يخبرهم بالحقيقة هلك ، وأهلك قومه ، بل عليه مداراتهم بالختل ، والحيلة ، وقلب الحقائق ، وإن تعرض للأذى تحمّل ذلك .

جـ ـ والمرأة الّتي لا ترضى إلا بالزيادة ، ولا تقنع بما عندها والتي يتقنعها الشك في تصرفات زوجها وتعصف بها الغيرة ينعكس ذلك على تصرفاتها في بيتها مع زوجها ، وعيالها : ضجر ، وانفعال يؤديان في الغالب إلى تقصير في الواجبات الزوجية ، فتنشأ بسبب ذلك الخلافات ، وتتكدر النفوس . مما يهدد دعائم الأسرة بالانهيار ، والفُرقة .

فدور الرجل في مثل هذه الحالة وغيرها يتمثل في مداراتها ، واستمالتها بالحديث الّلين ، والوعود الواسعة ، واللطف معها ، والإحسان إليها ، حَتَّى إذا سكنت نفسها ، واطمأنت عادت إلى إحسانها له ، مبتهجة ، راضية ، ووجد هو في قربها السكينة ، والمودة

---

(١) شرحه لسنن الترمذي ، كتاب البر (٢٦) .

وجاء في الحديث : « أَلا إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلقَتْ مِنْ ضِلْعٍ ، وَإِنَّكَ إِنْ أردت إِقَامَةَ الضِّلْعِ كسرْتَهَا . فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا » [١] . وكسرها طلاقها .

فوصـــف المرأة بالضِلع بجامع الاعوجاج فيهما . ففي الضِلع حقيقة ، وفي المرأة مجاز . ووصف للضِلع في خِلْقَته ، ووصف للمرأة في خُلُقِها .

قـــال ابن العربي : والغالب من النساء قلّة الرضى ، والصبر ، فهن يَنْشُزْنَ عـــلى الـــرجال كثيرًا ، ويكفرن العشير ، فلذلك سمى رسول الله ﷺ المنتزعات أنفسهن من النكاح منافقات [٢] .

د ـــ الإصلاح بين النّاس نوع من التعاون على البر والتقوى بين المسلمين ، فإذا نزغ الشيطان بين مسلمَيْن ، وأدى ذلك إلى نزاع بينهما ، وخصومة تجر إلى

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الطلاق ، باب في مداراة النساء (٢٧٥/٥) ، والترمذي في الطلاق ، باب ما جاء في مداراة النساء ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٤) ، وقـــال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذّهبيّ . كلّهم عن سمرة بن جندب .

وفي المعـــنى انظـــر : صـــحيح الـــبخاري ، كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء .

ومسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

(٢) عارضة الأحوذي (١٣٥/٣) ، طبعة ١٤١٥ هـــ .

والحديث أخرَجه النَّسائي في كتاب الطلاق ، باب ما جاء في الخلع عن أبي هُرَيْرة يرفعه : « **المنـــتزعات ، والمختلعات هنَّ المنافقات** » ، قال الألباني في صحيح سنن النَّسائي (٧٣٠/٢ ـــ ٧٣١) : صحيح .

وانظر مسند الإمام أحمد (٤١٤/٢) .

هجـــر ، وقطيعـــة ، ثمّ سعى طرف ثالث بينهما بالصلح ، واختلق لذلك كلامًا حســـنًا عـــلى لسان أحدهما يقوله في الآخر ، يثني عليه ، ويتمنى زوال أسباب الخلاف بينهما .

فـــإنّ مـــن شـــأن ذلك أن يزيل ما علق في نفس كلّ منهما نحو الآخر من كـــراهية ، ويجعله يعيد النظر في موقفه من الآخر ، فإذا التقيا تعاتبا ، وإذا تعاتبا تصافيا . وقد صحّ عن النبي ﷺ قوله : « لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، ويَقُولُ خَيْرًا ، وَيَنْمِي خَيْرًا » (١) .

(٤) وفي مشهد آخر يستحوذ على اهتمام المسلم في علاقته مع الآخرين ، ومـــا يجب عليه من حقّ الضيافة والتكريم ، وفق شريعته السمحة ، تبرز بعض صور (المداراة) من مجاملة ، ولين جانب ، واستمالة للقلوب لكسب ودّها .

قـــالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ إنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : « بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ » .

فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :

يَـــا رَسُـــولَ الـــلَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ ، وَانْبَسَطْتَ له ؟!!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فاحشًا ؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ

---

(١) رواه البخاري في الصلح ، باب ليس الكاذب الّذي يصلح بين النّاس ، ومسلم في البر والصلة ، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ، كلاهما عن أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْطٍ أخت عثمان بن عفان لأمه .

اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فحشه »[1] ،

قال ابن حجر : وهو عند الحارث بن أبي أسامة من حديث صفوان بن عسّال نحو حديث عائشة ، وفيه : فقال النبي ﷺ : « إنّه منافق أداريه عن نفاقه ، وأخشى أن يُفسد عليَّ غيره »[2] .

أوضحت رواية ابن عسّال المعنى الّذي من أجله قال الرسول ﷺ ما قال للرجل ، ثمّ الّذي فعله معه بعد رؤيته من تطلق وجهه ، وانبساط له .

فقد عَلِم عن طريق الوحي حقيقته ، وكان يعلم ﷺ أنّ له أتباعًا يطيعونه ويُصْغُون لحديثه .

فلو أغلظ له النبي ﷺ ، أو صدَّه عن لقائه ، لأوغر صدور أتباعه عليه ، وحملهم على العصيان والكفر . ودور الرسول ﷺ يرتكز على دعوة النّاس بالتي هي أحسن . وقد قال الله في حقّه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

فالحديث ــ كما قال ابن حجر ــ أصل في المداراة[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحّشًا . ومسلم في البر ، باب مداراة من يتقى فحشه .

(٢) فتح الباري : (٥٢٩/١٠) .

وانظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي . كتاب الأدب ، باب في مداراة النّاس ، حديث (٨٠٠) (٧٩٢/٢) .

(٣) فتح الباري : (٤٥٤/١٠) .

وهـــو كذلك ، فالداعية عليه أن يتحلى بأنواع الصبر ، ويداري في دعوته أصناف النّاس ، بلطيف الكلام ، وحسن التصرف .

قال الخطابي : يجمع هذا الحديث عِلْمًا ، وأدبًا ، وليس قول رسول الله ﷺ في أمـــته بالأمور الّتي يَسِمُهم بها ، ويضيفها إليهم من المكروه غِيبةً وإثمًا ، كما يكون ذلك من بعضهم في بعض . بل الواجب عليه أن يبيِّن ذلك ، ويفصح به ، ويعرِّف النّاس أمره ، فإن ذلك من باب النصيحة ، والشفقة على الأمّة . ولكنَّه لمَـــا جُبِلَ عليه من الكرم ، وأُعْطِيَهُ من حسن الخلق ، أظهر له من البشاشة ولم يَجْـــبَهْهُ بالمكــــروه ، لتقـــتدي به أمّته في اتقاء شر من هذا سبيله ، وفي مداراته ليسلموا من شرِّه ، وغائلته [1] .

وقال القاضي عياض :

وأمـــا إلانـــة القـــول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألُّفِ له ولأمثاله على الإسلام [2] .

(٥) وفي إطـــار المصلحة العامة يستشعر المخلصون شعورًا قويًا بالمسئولية تجـــاه أمّـــتهم ، وما يعنيها من الإخلاص والأمانة . يدفعهم إلى ذلك إيمان بالله واليوم الآخر . فيساير أحدهم عدوّه ـــ وهو منه على حذر ـــ ليحقق لأمّته ما يحفـــظ عـــليها أمْـــنها ، وســـلامتها ، وكرامتها ، دون المساس بأصل المعتقد وجوهـــره . ظهـــر شـــيء مـــن هـــذا في وثيقة صلح الحديبية الّتي كُتبت بين رســـول الله ﷺ وبـــين مشركي مكّة ، حين رفض مندوبهم سهيل بن عمرو أن

---

(١) أعلام الحديث (٢١٧٩/٣ ـــ ٢١٨٠) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٥٤/١٠) .

يُكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، وطلب أن يكتب بدلها باسمك اللهم ، ووافقه الرسول ﷺ على ما طلب .

واعترض سهيل على الكاتب قوله : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قائلاً : والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت . ولكن اكتب : محمد بن عبدالله . فوافقه الرسول ﷺ على طلبه .

وطلب سهيل أن يُنَصَّ في الوثيقة على ما يلي :

لا يأتيك منّا رجل ــ وإن كان على دينك ــ إلاّ رددته إلينا . فوافقه الرسول ﷺ على طلبه [1] .

قال الخطابي :

في ذلك باب من العلم فيما يجب من استعمال الرفق في الأمور ، ومداراة النّاس فيما لا يلحق دين المسلم به ضرر ، ولا يبطل معه لله سبحانه حقّ .

وذلك أن معنى : باسمك اللهم ، هو معنى : باسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كان فيها زيادة ثناء .

وكذلك المعنى في تركه أن يكتب : محمد رسول الله واقتصاره على أن يكتب : محمد بن عبدالله .

لأنّ انتسابه إلى أبيه عبدالله لا ينفي نبوته ، ولا يسقط رسالته .

وفي إجابته ﷺ إياهم إلى أن يرد إلى الكفار من جاءه منهم مسلمًا ، دليل

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان فلان بن فلان . وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، رقم (٩٣) .

على جواز أن يقرَّ الإمام ــ فيما يصالح عليه العدو ــ ببعض ما فيه الضَّيم على أهــل الدين ، إذا كان يرجو لذلك فيما يستقبله عاقبة حميدة ، سيما إذا وافق ذلك زمان ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار ، وخوفهم الغلبة منهم [١] .

(٦) وإذا تَعرَّض المؤمن إلى ما يهدد وجوده على الأرض بسبب معتقده ، ووقع في قبضة عدوّه الَّذي ساومه بين الكفر أو الاستئصال ــ وهو قادر ــ فإنَّ (المــداراة) من المؤمن لمثل هذا الطاغية ، في مثل هذا الموقف لا تطعن في صحّة إيمانه . . . ذكر أبو عبيدة بن محمّد بن عمَّار بن ياسر قال :

أخــذ المشــركون عمّار بن ياسر ، فلم يَدَعُوه حَتَّى سبَّ رسول الله ﷺ ، وذَكَرَ آلهتهم بخير ، ثُمَّ تركوه .

فلما أتى النبي ﷺ قال : « ما وراءك ؟ » قال : شَرٌّ يا رسول الله ، والله ما تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ منك ، وذكرتُ آلهتهم بخير .

قال : « فكيف تجد قلبك ؟ » .

قال : أجده مطمئنًا بالإيمان .

قال : « فإن عادوا فعُدْ » [٢] .

وشروط الإكراه أربعة :

---

(١) معالم السنن (٢٠٣/٣) ، وأعلام الحديث (١٣٣٦/٢ ــ ١٣٤١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذّهبيّ . وانظر تفسير الطبري (١٢٢/١٤) ، وتفسير القرطبي (١٨٠/١٠) .

١ ــ أن يكــون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزًا عن الدفع ولو بالفرار .

٢ ــ أن يغلب على ظنّه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

٣ ــ أن يكون ما هدّده به فوريًا .

٤ ــ أن لا يظهــر من المأمور ما يدل على اختياره ، كمن أكره على الزنا فأولج ، وأمكنه أن يترع ويقول : أنزلت ، فيتمادى حتَّى يترل .

ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور ويُستَثنَى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حقّ [1] .

ولعل ذلك يندرج تحت قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران / ٢٨] .

قال النسفي :

لا يوالي المسلم الكافر . والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الإيمان .

﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ إلاّ أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتقاؤه ، أي : إلاّ أن يكــون للكافرِ عليك سلطان فتخافه على نفسك ، ومالك فحينئذٍ يجوز لك إظهار الموالاة ، وإبطان المعاداة [2] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣١١/١٢) .

(٢) انظــر تفسيره (١٥٢/١ ــ ١٥٣) فقد رواه من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس .

وروى الطبري عن ابن عبّاس قوله :

نهــى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفّار أو يتّخذوهم وليجة من دون المؤمــنين ، إلاّ أن يكــون الكفّــار عــليهم ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم في الدين (١) .

(٧) وفــيما يتعــلّق ببعض أمور العبادة الّتي دارى الشارع فيها أحوال أصحابها لتأليف قلوبهم ، ما رواه أبو سعيد الخدري قال :

جَــاءَت امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ ، وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ ، وَلا يُصَلِّي صَلاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ . فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ ، وَقَدْ نَهَيْتُهَا .

فَقَالَ رسول الله ﷺ : « لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتِ النَّاسَ » .

وَأَمَّا قَوْلُهَا يُفَطِّرُنِي ، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلا أَصْبِرُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ : « لا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلا بِإِذْنِ زَوْجِهَا » .

وَأَمَّــا قَوْلُهَا إِنِّي لا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ ، لا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

قَالَ ﷺ : « فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ » (٢) .

---

(١) انظر تفسيره (بتحقيق محمود وأحمد شاكر) ، ج٦ ، ص٣١٣ .

(٢) رواه أبــو داود في ســننه ، كتاب الصيام ، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها .

معروف أنّ لكلّ صلاة وقتين : وقتًا تبدأ فيه لا تصح قبله . ووقتًا تنتهي فيه لا تجوز بعده إلاّ بعذر ، وتكون قضاءً .

فــالذي ينام عن صلاة الفجر حَتَّى تطلع الشمس قد فاته وقتها الأصلي ، فــإن كان فعله هذا بدون تفريط منه ، وأمرًا طارئًا ، وله عذر ، كفَّر عن فعلته بأدئها حين يستيقظ مباشرة . لقوله ﷺ : « إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرَى »[(١)] .

وحجّة صفوان في تأخيره لصلاة الفجر حَتَّى تطلع الشمس أنها عادة اعتادها هو وقومه ، مما يدل على أن أمر تأخير صلاة الفجر قد تكرّر منه وربما ظنّ وأهل بيته أنّهم مرغمون بحكم العادة على فعل ذلك .

يقول الخطابي :

وقوله ﷺ : « فإذا استيقظت فَصَلِّ » ثُمَّ تَرْكُه التعنيف له في ذلك ، أمر عجيب من لطف الله سبحانه بعباده ، ومن لطف نبيّه ، ورفقه بأمّته .

ويشبه أن يكون ذلك منه على معنى مَلَكَة الطبع ، واستيلاء العادة ، فصار كالشيء المعجوز عنه . وكان صاحبه في ذلك بمنزلة من يُغمى عليه ، فعُذر فيه ، ولم يُؤَنب عليه .

ويحــتمل أن يكــون ذلك إنما كان يصيبه في بعض الأوقات دون بعض ، وذلــك إذا لم يكن بحضرته من يوقظه ، ويبعثه من المنام ، فيتمادى به النوم حَتَّى

=

صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٦٦) ، رقم (٢١٤٧) .

(١) أخرَجه مسلم في كتاب المساجد ــ باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها عن أنس بن مالك ، حديث رقم (٣١٦) .

تطلع الشمس دون أن يكون ذلك منه في عامة الأوقات . فإنّه قد يبعد أن يبقى الإنســـان على هذا في دائم الأوقات وليس بحضرته أحد يُصلح هذا القدر من شأنه ، ولا يراعي مثل هذا من حاله .

ولا يجــوز أن يُظن به الامتناع من الصلاة في وقتها . ذلك مع زوال العذر بوقوع التنبيه ، والإيقاظ ممن يحضره ، ويشاهده [١] .

وإذا نظــرنا إلى المســألة من منظور المداراة فإنّا نصنّفها في دائرة الملاينة ، والرفق ، والمسايرة من العالم للمتعلّم . لإعادة النظر فيما يأتي به المتعلّم من أمور في العبادة تخالف قواعدها ، جهلاً من الفاعل أو تقصيرًا . وحرصًا من العالم على تعليمه إياها ونصحه بالتي هي أحسن ، متدرجًا معه من صغار المسائل إلى كبارها حتَّى لا ينفر .

وهــذا الموقف يشبه ـــ مع الفارق ـــ الَّذي اعتاد على فعل محرّم كشرب الخمـــر مـــثلاً . فـــليس من حسن التوجيه الطلب منه الكفّ عن ذلك في التوِّ واللَّحظة ، ولكن بالتدرج ، والمتابعة ، والنصيحة ، والتذكير بعواقب الأمور .

ونجـــد بحمد الله في كتاب الله العزيز ما يؤكد صحّة هذا النهج في الإصلاح والتربية .

قـــال عمـــر : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا ، فَنَزَلَت آيـــة الْبَقَرَة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ آية / ٢١٩ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْه . فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا . فَنَزَلَت الآية الَّتي فِي النِّسَاءِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ آية / ٤٣ .

---

(١) معالم السنن (٢/٨٢٨) .

فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقامَ الصَّلاةَ ينادي : لا يَقْرَبَنَّ الصَّلاةَ سَكْرَانُ . فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْه . فقالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا ، فَنَزَلَت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . ﴾ [المائدة / ٩٠] ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْه فلمّا بلغ ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ قال عمر : انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا [١] .

فعادة شرب الخمر كانت متأصلة في مجتمع مكة وغيره بين العرب حينذاك ، وعنوان كرم ، ودليل إكرام بينهم .

وللخمر تأثير على عقل الإنسان ، يفقده التمييز بين الأمور ، ويدفعه للخلط فيما يأتي من أفعال ، وأقوال لها مساس بالمروءة .

وأمور العبادة الّتي نادى بها الإسلام بعد ذلك لا تصحّ من أحد إلاّ وفق قواعد محددة ، بأركان ، وشروط ، وواجبات ، تنضبط بانضباط فاعلها ، إذا كان سويًا ، عاقلاً ، مدركًا .

والعقل في ذلك كلّه هو المحور الأساسي الّذي تدور عليه قابلية التكاليف الشرعية ، وهو مناطها .

فإذا كان متوقّدًا ، يقظًا استطاع التفريق بين الحلال والحرام ، أو انقاد ــ برضى وقبول ــ لمن يرشده إلى ذلك ، ومن الآفات الّتي لها تأثير سلبي مباشر على العقل البشري : الخمر . أو كلّ ما خامر العقل ، وستره .

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة المائدة . وأبو داود في الأشربة ، باب في تحريم الخمر . والنسائي في الأشربة ، باب في تحريم الخمر .

قال الألباني في صحيح سنن أبي داود : صحيح (٦٩٩/٢) ، وانظر أسباب نزول القرآن ، للواحدي (ص٢٠١) .

فكيف عالج الشارع الحكيم أمر استئصال عادة شرب الخمر بين المسلمين؟

لقد اتبع أسلوب التدرج في ذلك ، فبدأ بتذكيرهم بأن إثمها أكبر من نفعها .

ثمّ وصفها بأنها رجس من عمل الشيطان .

وأخيرًا قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة / ٩١] .

قال الفاروق بعد سماعها : انتهينا ، انتهينا . وقد قال قبل : « اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا » [١] .

وفي موقف آخر من مواقف الشارع الحكيم ما يوافق أسلوب الدعوة بالتي هي أحسن ، بالرفق ، واللين ، مع المؤلفة قلوبهم ، مارواه النسائي وغيره عن حكيم بن حزام قال : « بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخِرَّ إلاَّ قائمًا » [٢] .

قيل : معناه : أن لا يكون سجوده في الصلاة إلاّ خرورًا من قيامه . أي : لا

---

(١) انظر سنن الترمذي ، كتاب التفسير . وسنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر . والنسائي في كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر . صححه الألباني في صحيح سنن النَّسائِي (١١٢٦/٣) ، حديث رقم (٥١١٣) . والحاكم في المستدرك (٢٧٨/٢) وصححه .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب التطبيق ، باب كيف يخر للسجود ، صحح إسناده الألباني . (صحيح سنن النسائي (٢٣٤/١) .

وأحمد في مسنده (٤٠٢/٣) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٣٦٠) .

يركع ؟!! .

والركوع في الصلاة من أركانها !؟ .

وسقوط شيء من الأركان في الصلاة يبطلها !؟ .

والصلاة الباطلة لا تجزيء صاحبها !!؟ .

إنّ معالجة الداعية الحكيم أمر المؤلفة قلوبهم تغلب عليه الدراية ، وبعد النظر ، والصبر ، والروية .

فإنّ الإيمان بعد الكفر مباشرة لا يسلم صاحبه من التردد بين المضي والإحجام ، والشك واليقين .

والكافر مادي الأفكار ، يأخذ بحساب الربح والخسارة عند كل ما يخصه من أمور الحياة ، فيقدم هذا ، ويؤخر هذا ، فإذا ما وعد بما لم يره من ثواب أو عقاب في عالم الغيب ـ إن هو أحسن أو أساء ـ أخذ الأمر مأخذ الاحتمال ، فهو بين المتطلع إلى الفوز والنجاح ، والنادم على ضياع فرصة اللذات ، والشهوات .

ولكن يبقى عامل الخوف في نفسه من المجهول . ويرى ما يتقلّب فيه الإنسان من صحّة وعافية ، ثمّ ما يعقب ذلك من موت ، وفناء ، حقيقة لا مراء فيها .

فالخوف غريزة في المخلوق تدفعه أو تمنعه من فعل ما يريد أو التصرف حيال ما يشعر خطره على نفسه أو ماله أو أهله .

فمن استطاع من الدعاة أن يستغل آثار هذه الغريزة عند المسيء أو المنحرف ، أو الضّال . ويوقظ في أنفسهم الشعور بخطورة أفعالهم ، ومغبّة أعمالهم ، ثمّ يبيّن لهم محاسن الدين ، وما وعد به أتباعه المهتدين . فإنّ النجاح حليفه إن شاء الله .

فالذي اشترط عند بيعته ألاَّ يخرَّ إلاّ قائمًا ، علم الرسول ﷺ من لسان حاله أنه بعد أن يدخل في الإسلام ، ويتعلّم من أمور الدين ما يفتح الله به عليه فسيعلم أن الركوع ركن في الصلاة ، وأن تركه متعمدًا أو ناسيًا يبطلها ، وأن الصلاة الباطلة لا تفيد صاحبها ، وهي عمود الدين .

وهذا الموقف يشبه موقف وفد ثقيف عندما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليهم ولا جهاد ، وأن رسول الله ﷺ قال : « سيصَّدقون ، ويجاهدون إذا أسلموا » [(١)] .

وقد يجد الداعية نفسه أمام موقف يرتكب فيه أحدهم معصية ، لا يقدر على دفعها في حينها لتعطل لغة الحوار بين الطرفين ، فالآثم في حالة من اللاوعي لا تجعله يدرك حقيقة ما يقول ، ولا يقدر أن يميّز بين إنسان وآخر في المعاملة . لتأثر عقله بما تعاطاه من مسكر أو مخدر .

والداعية في حالة أدرك معها حقيقة صاحبه ، فتراجع في نفسه عن صياغة ألفاظ النصيحة ، أو التنديد بما يراه ، فترك المكان ، تجنبًا لأي نوع من المهاترات أو المناوشات ليحفظ قدره ، وهيبته ، ويتجنب الحماقة في الفعل أو القول .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن جابر (٣/٣٤١) ، وفي سنده ابن لهيعة ، اختَلَطَ بعد احتراق كتبه . وللحديث شاهد أخرَجه أبو داود في كتاب الخراج ، باب ما جاء في خبر الطائف . قال : حدّثنا الحسن بن الصباح ، حدّثنا إسماعيل بن عبدالكريم ، حدّثني إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب قال : سألت جابرًا . . .

قال الألباني : إسناد صحيح ، رجاله كلّهم ثقات (السلسلة الصحيحة) : (١٨٨٨) .

كَـانَتْ لِـي شَارِفٌ [١] مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَـانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ . فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلاً صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي .

فَبَيْـنَا أَنَـا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الأَقْتَابِ [٢] ، وَالْغَرَائِرِ [٣] ، وَالْحِبَالِ ، وَشَـارِفَيَّ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ . أقبلت فَإِذَا أنا بِشَارِفَيَّ قَـدْ أُجِبَّتْ أَسْنِمَتُهُمَا ، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا ، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا . فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ ، وقُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟

فَقَـالُوا : فَعَـلَه حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ . وَهُوَ فِي الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ [٤] مِنَ الأَنْصَارِ . غنّت قينة فقالت في غنائها :

أَلا يَـا حَمـزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ [٥]

وهُـنَّ مُعَقَّـلاتٌ بِالفِـنَاءِ

ضَـعِ السِّكِّينَ فِي اللَّبَّاتِ مِنها

فضـرِّجْهُنَّ حمـزةُ بالدِّمـاءِ

---

(١) الناقة المسنة .

(٢) جمع قَتَب ، وهو رحل صغير على قدر السَّنام .

(٣) الغرائر واحدها غِرارة : التي للتِّبْن .

(٤) (الشَّرْب) بالفتح جمع (شارب) [الصحاح] .

(٥) (النواء) السمان .

وأَطْعِــمْ مِــنْ شَرَائِحِهَا كَبَــابًا

مُــلَهْوَجَةً عــلى وَهَــجِ الصِّلاءِ

فــأَنتَ أبــا عُمــارة المــرَجَّى

لِكَشْــفِ الضُّــرِّ عَنَّا والبَلاءِ [١]

فوثــب إلى الســيف فاجْــتَبَّ أســنمتهما ، وبقر خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما .

قال عليّ : فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

قال : فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذي أتيت له ، فقال : « مَا لَكَ ؟! » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ . عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ فَأَجتبَّ أَسْنِمَتَهُمَا ، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ .

فَدَعَــا رسول الله ﷺ بِرِدَائه ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي ، فَاتَّبَعْتُ أثره أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي هو فِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذن له ، فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ .

فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ . فَإِذَا حَمْزَةُ ثَمِل مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ .

فَــنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِيه ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَلْ أَنْتُمْ إِلاَّ عَبِيدُ أَبِي ؟!!

فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ ، فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى ، فخرج ،

---

(١) الشعر لعبد الله بن السائب المخزومي . [انظر فتح الباري لابن حجر (٦/٢٠٠) .

وَخَرَجْنَا . وذلك قبل تحريم الخمر [١] .

(القهقرى) المشي إلى الخلف .

قال ابن حجر :

وكأنّــه فعل ذلكِ خشية أن يزداد عبث حمزة في حال سكره ، فينتقل من القــول إلى الفعــل ، فأراد أن يكون ما يقع من حمزة بمرأى منه ليدفعه إن وقع منه شيء [٢] .

وقال الخطابي :

إنّ هذا إنما كان من حمزة قبل تحريم الخمر .

لأنّ حمزة قُتل يوم أُحُد ، وكان تحريم الخمر بعد غزوة أُحُد ، فكان معذورًا في قوــله ، غير مؤاخذ به . وكان الحرج عنه زائلاً إذ كان سببه الّذي دعاه إليه مــباحًا ، كالــنائم ، والمغْمَى عليه ، يجري على لسانه الطلاق ، والقذف ، فلا يُؤاخذ بهما [٣] .

وهكذا فإنّ العاقل لا ينبغي له أن يخاطب السكران في حال سكره ، ولا أن يقيم عليه الحد ــ إن كان ممن يملك ذلك ــ إلاّ بعد أن يفيق من سكره ، حَتَّى يكون وقع الجَلْد عليه محسوسًا عنده ، ورادعًا له بعد ذلك .

---

(١) أخــرجه البخاري في فرض الخمس ، باب فرض الخمس . ومسلم في الأشربة ، باب تحريم الخمر .

(٢) فتح الباري (٦/٢٠١) .

(٣) معالم السنن (٣/٣٩٠) .

وفي حياة المسلم من المواقف ما يستدعي المسايرة ، والمجاملة وإن كان فيه ما ينغص عليه ، ويظنه ظاهريًا خسارة لا ربحًا ، ولكن الإيمان القوي بحكمة المشرِّع وسلامة التشريع ، يدفع صاحبه إلى الامتثال ، ويسوغ له أمر الطاعة .

قال جابر بن عَتيك : إن رسول الله ﷺ قال : « سَيَأْتِيكُمْ رُكَيْبٌ مُبْغَضُونَ ، فَإِنْ جَاءُوكُمْ فَرَحِّبُوا بِهِمْ ، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا . وَأَرْضُوهُمْ ، فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » [١] .

قال الخطابي :

(رُكيب) تصغير (ركب) وهو جمع (راكب) .

وإنما عنى به السعاة إذا أقبلوا يطلبون صدقات الأموال .

فجعلهم مُبغضين لأنّ الغالب في نفوس أرباب الأموال بغضهم ، والتكرّه هم ، لما جُبلت عليه القلوب من حبّ المال ، وشدّة حلاوته في الصدر ، إلاّ من عصمه الله ممن أَخلص النيّة ، واحتسب فيها الأجر ، والمثوبة [٢] . فقد وجَّه إلى مداراهم ، والتلطف إليهم لقيامهم بما أوجب الله من حقّ للفقير على الغني .

ويُشبه هذا قول أحد الصحابة وهو أبو الدرداء : إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ [٣] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه من كتاب الزكاة ، باب رضا المصدَّق . قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود (حديث رقم٣٤٥) : ضعيف .

(٢) معالم السنن (٢/٢٤٥) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب مداراة النّاس (تعليقًا) . والبيهقي في =

و (التكشير) ظهور الأسنان عند الضحك .

فهل يُعدّ هذا نفاقًا ؟

فقد ترد الشبهة فيه ، ولكنه لا يصدق على من مثل أبي الدرداء ﷺ ، ومن يشبهه من المؤمنين .

فهو إذًا من المداراة وهي خفض الجناح ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ في القول والرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، والإنكار عليه بلطيف القول ، والفعل ، ولاسيما إذا أُحتِيج إلى تألُّفه .

روت عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن النبي ﷺ أنه قال : « إنّ الله أمرني بمداراة النّاس كما أمرني بإقامة الفرائض » [1] .

وقد قيل : إنّ من ابتغاء الخير اتقاء الشرِّ [2] .

فإذا أراد الخير لنفسه جانب فعل الشرور ، واتقى الأشرار .

۞۞۞

=

شعب الإيمان (٦/٢٦٦) . وابن أبي الدنيا في مداراة النّاس (ص٣٦) .

(١) أخــرجه الديلمي في مسنده بسند ضعيف عن عائشة ، (انظر فردوس الأخبار : (١/٢١٢) . قال الألباني في السلسة الضعيفة ، حديث رقم (٨١٠) : ضعيف جدًّا .

(٢) انظر : كتاب مداراة النّاس ، لابن أبي الدنيا ، ص٣٦ [تحقيق محمد خير رمضان يوسف] .

المبحث الرابع
المداراة وأثرها في المجتمع

إن مـــن أهمّ ما يميّز المجتمعات بعضها عن بعض هو الوجود الحقيقي لروح الـــتعاون بين أفرادها ، بحيث يكون عمل الفرد لصالح المجموع ، كما أنّه على الجماعـــة أن تحتضـــن الفـــرد . والعمل معًا في إطار المصلحة العامة ، واحترام الأنظمة الّتي توجّه دفّة الأمور فيها الوجهة السليمة الصحيحة ، ويزداد احترام الفـــرد للأنظمـــة كلما كان مصدرها موثوقًا محترمًا ، وليس من بين بنودها ما يخالف أو يعارض ، أو ينفي أمورًا فطرية .

وقـــد أنار الله للمجتمعات المسلمة سبل هدايتها ، وشرع لها من النظام ما يوافـــق الفطـــرة ، فـــالأخذ به هو أَخذ لما يوافق تكوين الإنسان حقيقة ، وأي انـــتقاص في هـــذا الميزان التعادلي ينتهي بالفرد إلى أن يكون متمرّدًا ضدّ أنظمة مجتمعه ، أو في صراع معه .

ولا يوجـــد في المجـــتمعات مجتمع صغير أو كبير لا يمارس أفراده بشكل أو بآخـــر أسـلوب (المـــداراة) فيما بينهم بنسب متفاوتة . ذلك لأن العلاقات الاجـــتماعية ، والعلاقات العامة بصورها المختلفة ، والمتباينة ذات طابع أخلاقي يمارســـه الإنســـان مـــع أخيه على أساس من التعاون ، وبفيضٍ من المشاعر ، والأحاسيس ، والعواطف الّتي يحمل منها الشيء الكثير ، مما يترك أثرًا محسوسًا على نتائج أفعالهما قوّة وضعفًا ، شدّة ولينًا .

ومـــا أَودع الله في البَشَـــر مـــن اختلاف ، وتفاوتٍ ، وتَباينٍ في الفَهْم ، والوَعي ، والإدراك سهَّل على المتميزِ منهم مداراة من هو دونه ، وعلى الأدْنى مـــداراة مـــنِ هو فوقه ، لتسهيل سبل العيش بينهما ، كما قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف / ٣٢] .
وهــذا يظهــر جليًا في مجال الرحمة ، والشفقة ، والتقدير ، والاحترام ، وتبادل المصالح .

والــنَّاس للــنَّاسِ مِن بَدْوٍ وحاضِرةٍ
بَعْضٌ لبعضٍ وإن لم يَشْعُروا خَدَمُ [1]

فالبذل بين المسلمين له سمة التسامح بينهم ، لأنّ الباذل بمحبّة ، وطواعية يــرجو الجــزاء من خالقه ، وقد اجْتَثَّ الإيمانُ من نفسه طابع الأنانيّة ، وشهوة الاستئثار . يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر / ٩] .

فبذلهما جاء على قدر ما أفرغ الإيمان في قلبيهما من محبّة ، والتنكر للذات منهما ارتكز على إقرارهما بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . قال تعالى في الحديــث القدســي : « وَجَــبَتْ مَحَبَّــتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » [2] .

---

(١) للشاعر أبي العلاء المعري . انظر كتابه : لزوم ما لا يلزم (ص٢/٢٨٩) .

(٢) أخــرجه مالك في الموطأ بسنده عن معاذ بن جبل . كتاب الشَّعْر . باب ما جاء في المتحابين في الله .

وأخــرجه الحــاكم في المستدرك (١٦٩/٤) ، وقال : هذا حديث صحيح على شــرط الشــيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذّهبيّ ، وقال الحاكم : وقد جمع أبو إدريس بإسناد صحيح بين معاذ وعبادة بن الصامت في هذا المتن .

وكلّما توسّع الإنسان في رغباته ، وشهواته احتاج إلى مزيد من السُّبل والوسائل لتحقيقها .

وتلك السُّبل والوَسائل لا تتأتى إلاَّ بقَدْرٍ كبير من الجَهد ، والمشقة ، والبذلِ ، ماديًا ، ومَعنويًا .

وهنا يختلف النَّاسُ في سَعيهم إليها بَيْنَ مُنْتَقٍ مُتَأنٍ ، وبَيْنَ حاطِبِ لَيْلٍ شَرِهٍ .

فمن كان هَدفُه تَحقيق ما أَراد دُون النَّظَر إلى عَواقب الأُمور ــ وكان ذلك منه قُصُورًا في التَّفكير ، وتقليلاً من شَأْن المروءَات ــ سَلَّم لنَفْسه الأَخْذَ بالأَسْباب مِن مُختَلف مَصادرها . وأَوجد لها نظريًا مِن المسوِّغات ما يَزيد في تطاولها عَليه ، مما يُشجعها على سَوْقِه نَحو عَاقبَةٍ وَخيمَةٍ .

هذا النوع من النَّاس يَتفتَّق ذهنه ــ في الغالب ــ على نَوعٍ من الحِيَل الكثيرة ، المشْتَملة في جُمْلَتها على أساليبَ مُخْتلفة من الخداعِ ، والغشِّ ، والكذب . فَهو لا يَتورَّعُ بل يَتَسرَّعُ الأمور ، ويَسْتَثْقِل الانتظار حِين الوقوفِ في صُفوف المنتظرينَ . ويتطلّع بفضولٍ شديدٍ إلى الكَسب السَّريع في وقتٍ سريعٍ ، لا يَهمه أن يتخطَّى من سَبَقه من ذَوي الحاجَات ، ولا يَروعُه أَن يَرى مَظْلومًا ، حافيًا ، كادحًا ، قد سَبقَه في طلب إنْجاز حاجَته واقفًا في الصَّف أَمام مَسئول قليلِ المُروءَة ، والشَّهامة ، والخَشْية ، قدَّم عَليه هَذا المتسَرع الَّذي جَاء من الصُّفوف الخَلفية ، أَو رُبما لَم يَقف في الصَّف أَصْلاً ، بل جَاءَ حاملاً تَوصيةً مَن وَجيهٍ ، أَو صَاحِب نُفُوذٍ وهو ما تعارَف النّاسُ بتَسْمِيَته : الواسِطة أَو الوَسيط .

فما هِي حُدود ذلك ؟ وما هي ضَوابطُه ؟

وهَل تَنْدَرج الوَسَاطة في مَفْهوم الشَّفَاعَة العام ؟ وهَل هي مِن المُداراَةِ في شَيءٍ ؟

يَقُول اللُّغَوِيُّون [1] :

تَوسَّط فُلانٌ : أَخَذَ الوَسَط بَيْنَ الجيِّد ، والرَّديء .

والواسِطَةُ : ما يُتَوصَّلُ به إلى الشَّيْء .

والوَسَطُ : المُعْتَدِل مِن كُلّ شَيء .

والوَسِيطُ : المَتوسط بين المَتخَاصِمَيْن .

وشَفَع لفُلانٍ : كَانَ شَفيعًا لَهُ .

وشَفَع إلى فُلانٍ : تَوسَّلَ إليه بوَسِيلَةٍ .

وشَفَع في الأَمْرِ : كانَ شَفيعًا فيه .

وشَفَّعَ فُلانًا في كَذا : قَبِلَ شَفَاعَتَه فيه .

ويُقَال : هُو مُشَفِّعٌ : يَقْبَل الشَّفاعَة .

وهُو مُشَفَّعٌ : مَقْبُولُ الشَّفاعَة .

يُقَالُ : تَشَفَّعَ لفُلانٍ وإلى فُلانٍ في الأَمْر .

وتَشَفَّعَ بهِ إليه : تَوسَّل به إلَيْه .

فعندما يكونُ لإنسانٍ حاجةٌ ، إتْمَام قَضَائها يتَطلب المرورَ بمراحِل تنظيميَّة ، مُــترابط بَعْضُــها بِبَعْضٍ . وتَحتَاجُ كُلُّ مَرْحَلَة إلى نَوعٍ مِن الاخْتِصَاص يَقُومُ به مَسْئولٌ مُستقل في دَائرةٍ ذاتِ أَقسام ، وشُعَب . يُديرها مجتمعةً مُديرٌ واحدٌ .

يتقدمُ صاحِب الحاجَة بطلبهِ إلى الإدارة المَعْنية باسم مُديرها ، الَّذي يُحيلُها

(١) المعجم الوسيط وغيره . مادتي : وسط . وشفع .

بدوْره إلى القِسم المختص ليُراجع مَسئوله صيغَةَ الطَّلب .

فإذا وَجَدَه مُستَوْفيًا لشُروط وأَنظِمة إدارته صَدَّق عليه وأَعَادَه إلى مَصْدره ليأْخُذ بَعْد ذلك دَورةً أُخرى مَع مُختَصٍ آخَر ، في قِسْمٍ آخَر .

أمـــا إذا كان شَيءٌ مِن الشُّروطِ غَير تَامٍ ، أَو غَيْر مُطابقٍ للأَنظِمة المرْعيَّة ، طُولِبَ صاحِبُه باستكماله ، أَو تَعْديله .

هَـــذه الإجْراءات وغَيرها ــ مما يُسمى (بالروتين) ــ مُجتَمعة أَو مُتفَرقة تَسْـــتَغرق وقتًا ، وتتطلب جَهدًا . فَمن كان على بيِّنَة من أَمْرِه ثَابَر ، وانْتَظَر ، وصَبَر ، لعلمِه أَنَّ تَجاوزَه لِغَيرِه في تَحقيقِ غَايته نَوعٌ مِن التَّعَدي .

فَلكَي يَضْمَن صيانَة حُقُوقهِ عند الآخرين ، فَعَلَيه أَن يَصون حُقوق الآَخرين عنده .

وأَمـــا مُعْظَـــم مـــا يَجري في وقْتنا الحاضر فيدخُل في مَفْهُوم الغَايةُ تُسَوِّغ الوَسَيلة ، وهُو لَيْس مِن المُداراَة في شَيء . بَل هُو مَفْهُومٌ خَطِيرٌ ، ومَرتَعٌ خِصْبٌ للأَنَانية الدَّائِريَّة الَّتي تُحيط بأَهلِها .

فَمن كان كذلك فَهُو لا يَتَحمل الانتظار .

فـــتَجدهُ كالَّذي يتخبَّطه الشَّيطان مِن المسِّ ، لا يَهْدأ ولا يَسْتَقر . هَمُّه أَن يَحصُل على بُغْيَته بما يُحقِّقُ مَصلحته الذَّاتية ، ويُرضي غُرورَه . وذلك في الغَالب يَكونُ عَلى حِساب المصْلَحة العامَّة .

فـــالَّذي يُوافق أَن يكون وَسيطًا ، أَو شافعًا لمثْل هذا الإنسان إنَّما يَقْبلُ في الحَقيقَـــة أن يكـــون شَـــريكًا لَـــه ومُسَـــاعِدًا في إِضَـــاعَة كَـــثير من الحقُوقِ

المُســـــتحقَّة للآخَرين .

« وكُل أَمْرٍ لا يكُونُ مُوافقًا للحَقِّ فَهُو فَاحِشَة »[1] .

والفَاحِشَةُ : القَبِيحُ الشَّنِيع مِن قَوْلٍ أَو فِعْل .

قالَ تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النِّساء / ٨٥] .

قال صاحب المنَار :

إِنَّ العُــلماء مُــتَّفقُونَ على أَنّ شَفَاعة النّاسِ بَعْضُهم لِبَعْضٍ تَدْخُل في عُموم الآية . وأَنّها قِسْمَان : حَسَنَة ، وسَيِّئَة .

فالحَســـنَة أَن يَشْفَع الشَّافِع لإزَالَة ضَرَرٍ ، ورَفْع مَظلَمةٍ مِن مَظْلُومٍ ، أَو جَرِّ مَنْفَعة إلى مُسْتَحِقٍ ليس في جَرِّها إليه ضَرَرٌ ولا ضِرَارٌ .

والسَّيئة أن يَشْفَعَ في إِسْقَاطِ حدٍّ ، أَو هَضْم حَقٍّ ، أو إِعْطائه لِغَير مُسْتَحِقٍ ، أو مُحاباةٍ في عَمَلٍ .

والضَّــابط العَام أَنَّ الشَّفَاعة الحَسنة هِي ما كانَت فِيما اسْتَحْسَنه الشَّرعُ ، والسَّيئة فيما كَرِهَه أَو حرَّمَه .

والحَــاكِم العَــادل لا تَنْفع الشَّفَاعة عنْده إِلاَّ بإعْلامه ما لَم يَكُن يَعْلم مِن مَظْلَمة المشْفُوعِ لَهُ ، أَو استِحقَاقه لما يُطْلَبُ لَهُ .

ولا يَقْــبل الشّفاعة لأَجْل إِرْضاء الشَّافعِ فيما يُخالف الحَقّ والعَدْل ، ويُنَافي المصْــلَحة العَامــة . ومَا الذِّئابُ الضَّارِية بأَفتك في الغَنَم مِن فَتْكِ الشَّفاعات في

---

(١) فقه اللغة للثعالبي : (٣١) .

إفساد الحُكومَات ، والدُّول .

فإنَّ الحُكومة الَّتي تُروَّجُ فِيها الشَّفاعات يَعْتَمد التَّابعون لَها على الشَّفاعَة في كُـــل ما يَطْلبون منها ـــ لا على الحَقِّ والعَدْل ـــ فَتَضيعُ فيها الحُقوق ، ويَحلُّ الظُّـــلْم مَحل العَدل . ويَسْري ذَلك من الدَّولَة إلى الأُمَّة فيكونُ الفَسَاد عامًا ، ويَعْـــتَقد الجمـــاهيرُ أنَّه لا سَبيلَ إلى قَضاء مَصْلَحة في الحُكومَة إلاَّ بالشَّفَاعَةِ أو الرَّشْوَةَ [١] . ا .هـــ .

وقـــال الزَّمَخْشَري : الشَّفَاعَةُ الحَسَنَةُ هي الَّتي رُوعي بِها حَق مُسْلِم ودُفِعَ بِها عَنْه شَرٌّ ، أَو جُلِبَ إِليه خير .

وابْـــتَغى بها وَجْه الله ، ولم تُؤْخَذ عَليها رَشْوة . وكانت في أَمْرٍ جائزٍ ، لا في حَدٍّ مِن حُدود الله ولا في حَقٍّ من الحقُوق .

والسيئة بخلاف ذلك [٢] .

وجَـــاء في الحَديث قَولُه ﷺ : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُود اللَّه فَقَـــدْ ضَادَّ اللَّهَ . وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ .

وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ [٣] حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا

---

(١) تفسير المنار (٣٠٩/٥) .

(٢) الكشاف (٥٤٣/١) .

(٣) عصـــارة أهـــل الـــنار . والرَّدْغَة : بسكون الدال وفتحها : طين وَوَحل كثير (النهاية : ٢١٥/٢) .

قَالَ » [1] .

وروى أَبــو موســى الأشعري أنّ النبي ﷺ إذا أَتَاهُ طَالبُ حَاجَة أَقْبَلَ على جُلَسَائه فَقَالَ : « اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا ، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّه مَا أَحَبَّ » [2] .

قــال ابن حَجر : في الحَديثِ الحَضُّ على الخَير بالفِعْل وبالتَّسبب إِليه بِكُل وَجْهٍ .

والشَّــفَاعَة إلى الكَــبير في كَشْف كُرْبَة ، ومَعُونَة ضَعيف إذْ لَيْس كُل أَحد يَقْدر عَلى الوُصُولِ إلى الرئيسِ ولا التَّمكُن مِنه لِيَلج عَليه ، أَو يُوَضِّح لَه مُرادهُ لِيعْرِف حَالَه عَلى وَجْهِهِ [3] .

والمتَشَــفِّعُ يَكُون لَه ــ غَالبًا ــ عند المُشَفّع من الاعتبارات ما يُسَهِّل عَلَيه وسَــاطَته . منها ما يكونُ أَدَبيًا ، كالاحْترامِ ، والتَّقْدير فَيسْتحي أَن لا يُحَقِّق لَه رَغبة لِكِبَر سِنٍّ ، أَو مَكانَةٍ اجتماعيةٍ ، أَو قرابةٍ .

ومِنْها ما يكونُ مُقَايَضَة ، إنْجَاز عَمل بإنجاز عمل .

ومِنْها ما يكونُ وِقَاية من أَذىً يُمكِن أَن يُلْحِقَه المتشفّع بالمشفّع .

ومِنْها ما يكونُ تَزَلُّفًا من المشفّع ليَتقَرَّبَ إلى المتشفع .

---

(١) أخــرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب فيمن يُعين على خصومةٍ عن عبدالله بن عمر . صحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٨٦/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا ، ومسلم في البر والصلة رقم (١٤٥) .

(٣) انظر فتح الباري : (٤٥١/١٠) .

وأَحْسنه ما كانَ لِوَجْه اللهِ لعاجزٍ ، مُستَحِقٍ ، مُنْقَطِع ، يَسْتَحِي .

وأَسوؤها ما يُلحق الضَّرر بالآخرين ، ويُميت في نفس الضَّعيف كل أَمل في الحُصـــولِ عـــلى حَقِّه ، فيُصبح المجتمع بذلك مُجتمعًا طَبَقِيًا تنخرهُ المَحْسوبيَّة ، ويرتَع الظالم فيه مُنْتَصرًا ، مُفَاخِرًا ، رافِعًا عَقيرتَه ، ويُصبح اليَأْس ، والخوفُ من المجهـــول وعَدم الثِّقَة عنْدَ المسْتَضعَفين عَوامِل قَوية تَدفع بهم إلى (المداراة) في طَـــريقٍ خَـــاطِيءٍ من النِّفاق ، والكَذِب ، والازْدِرَاء . فيَفْقد الفردُ مِنْهم حسَّه المعْنوي ، وشعُوره بالكرامَة . فيخْسَر نَفسه ، ويَخْسره المجتمع .

وما المقايضَةُ ، والمُسَاومةُ بَيْن صاحِب الحاجة ، وبَيْن من يَقْضيها لَه إلاَّ نوعٌ مـــن الأَذَى ، وأَكْلِ أَموال النّاسِ بغيرِ وجْه حَقٍّ ، وقد نَصَّ اللهُ تعالى على تحريم ذلـــك بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٨] .

أي : لا تُعْطُوها الحكَّام على سَبيل الرِّشْوة ليُغيروا الحكْمَ لكُم [١] .

ولعَنَ رسولُ الله ﷺ الراشِي ، والمرْتَشِي [٢] ، والرائش بَيْنَهما .

فالراشي : المُعطي . والمُرتشِي : الآخِذُ . والرائِش : الواسِطة بينهما .

قـــال الخطابي : إِنَّما تلحَقُهما العُقوبة مَعًا إِذا استَويا في القَصْد والإِرادَة ، فَرَشَا المُعْطي لينَال به باطِلاً ، ويَتَوصَّل به إلى ظُلْم .

قـــال : والآخِذُ إِنَّما يَسْتَحِق الوعيد إِذا كان ما يأْخُذه إما على حَقٍّ يَلزمه

---

(١) شرح السنّة للبغوي : (٥/٣٣٠) .

(٢) أخـــرجه الترمذي في الأحكام ، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم عن عبدالله بن عمرو . وقال : حديث حسن صحيح .

أَداؤه فــلا يَفْعَل ذلك حَتَّى يُرْشَي . أو عَمَلُ باطلٍ يَجب عليه تركُه فلا يَتْركُه حَتَّى يُصانِع ويُرْشَى [1] .

ويُنْسَب إلى الملك عَبدالعزيز بنِ عبدالرحمن ــ يَرْحمُه الله ــ قوله : لم يُفسِد المُلك إلاَّ المُلوك وأَحفَادهم ، وخُدَّامهم ، والعُلماء المحابُون ، وأَعوانهم .

ومَتى اتَّفق الأُمراء ، والعُلماءُ على المداهَنَة ، فالأَمير يَمْنَح المَنح ، والعُلَماءُ يُدَلِّسُونَ ، ضاعَت حُقوق النّاس . وفَقَدنَا والعِياذُ بالله الآخِرة والأُولى [2] .

ونـــوعٌ آخـــرُ مِنَ المُعَامَلَة بَيْنَ النَّاسِ يَلْتَبِس على الكثير الوقوفُ على حَقِيقَتهِ ، ومعرفة نوعه إن كان مـــــن (المداراة) ؟

ذلك هُو (التَّقِيَّة) . قال في الوسيط :

(التَّقِيَّة) : الخَشْيَة ، والخَوْف .

و (التَّقِيَّة) عِند بَعض الفِرق الإسلامية : إخْفَاء الحَقِّ ، ومُصَانَعَة النَّاسِ في غَيْــرِ دَوْلَتِهم . ا .هــ فهُما قد يَجْتَمعان عند الخَشْية والخَوف على النَّفس من الهَلاك على قاعدَة : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل / ١٠٦] . ولكنَّهما حَــتْمًا يفْــتَرِقَان عند مُصَانَعَة النَّاسِ بإخفاءَ الحَقّ ، فَهذَا بمَعنى النِّفاق ، والتَّزَلف للوصُول إلى تَحْقيق غَاية مادية تُلحِق في الغالب ضَررًا بدينه ، ومُعْتقده .

جـــاءَ في الحديث الصَّحيح : « إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذي يَأْتِي

(١) انظر معالم السنن ، كتاب الأقضية ، باب في كراهية الرشـــــوة (٩/٤) .

(٢) انظر كتاب صور من حياة عبدالعزيز ، ص ١٣٣ ، لابنه الأمير طلال .

هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ » [١] .

فَهــو مَع الجميع بِما يُرضي الجميع . تُسيِّره رغباتُه ، وشهواتُه . لا يكْتَرِث كَثيرًا لما يَفْقد مِن مَاءِ وَجْهه مِن الحَياءِ . وغَايتُه الحصُول على ما يُريد حَتَّى ولو أَخْزاه ما أَراد .

وهَــذا لَيْس مِن (المداراة) المرْضيَّة في شيء . إنما هو خليطٌ مِن الكَذِبِ ، والنِّفاقِ ، والتَّزلُّف والرِّياء ، يأْباهُ كلُّ ذي مُروءَةٍ .

وهو دِعامَةٌ قَويّةٌ لعناصِر الشرِّ في المجتمع ، يرتكز عليها الفَساد النَاشيء عَن تقْسيم المجتَمع إلى طبقاتٍ متفاوتة ، يَسودها مَنْطق :

البَقاءُ للأَقوى ، والحَسْرة للضَّعيفِ . !!

والمحْسُــوبية أَن تحسب لغيرك حسابًا فيما تأْتِي بِه من عَمَلٍ ينتُج عَنْه الخَشْية عِــنْدك عَــلى مَصَالِحك الخاصَّة عِنده أو عِند غَيْره مِن أَن تَتعَطَّل ، مما يَدْفعُك إِلى مُدارَأته .

أو أن تَتطَلَّع إلى تبادُل المنافِع بيْنكُما فيما يخْدم مَصْلَحتَيْكُما . مما يَدفَعك إلى التَّنازُل عَن بعضِ مُقومات السُّلوك القويم .

وهــذا يكــونُ ــ في الغــالب ــ مــن الَّذين يقْفزون عــلى الأَنْظمة ، والشَّــرائِع . ويــتَّخِذُون سَــبيل الحِيلَةِ ، والمراوغَة والخَديعَة ، والكَذِب سَبيلاً

---

(١) أخــرجه الــبخاري في الأدب ، باب ما قيل في ذي الوجهين ، ومسلم في البر والصلة ، باب ذم ذي الوجهين . كلاهما عن أبي هريرة .

لتحقيق مآرِبهم ، ومكاسِبهم غير المشْروعَة [1] .

ومن هُنا يَبْرز دَور الوَسيط ، ويُصْبح للوَسَاطة سُوقٌ رائجَةٌ تعْمل على بَسْط النُّفوذِ من قِبَل فِئَة مِن النَّاسِ على الفئات الأُخرى . وتُرسِّخُ في أَذهان العَامَّة أَهميَّـة الوَسَـاطة باعتبارِها المحرك الأَقوى ، ورُبما الأَسَاسي لكُلِّ مَسألة يُرادُ إِنْجازها .

والَّذيـن أَوْكَل إليهم وَليُّ الأَمْر تَسْهيل أُمور النَّاس ، وقضاءَ حَوائجهم في إِطـار المصْلَحة العامة ، وخَصَّصَ لهم مِن الرِّزْق ما يَكْفي حاجتَهم ، وحاجَة مَن يَعُولون ، يجب عَليهم الإِخلاص في العَمل .

جَـاء في الحديـثِ : « مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ » [2] .

والغُلول : الخِيانَة .

---

(١) جاء في « معجم العلوم الاجتماعية » عن المحسوبية أنها : محاباة الأقارب باعطائهم مناصـب غـير معدّين لها ، أو بمنحهم ميزات مادية ومعنوية لا يستحقونها ، وذلك لـزيادة دخولهم أو هيبتهم أو سلطانهم داخل أجهزة الدولة المختلفة ، وكلّ هذا على حساب الصالح العام . .

وفي المحسوبية ، بوجه عام ، قضاء على مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ المساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات ، ولها نتائج اجتماعية خطيرة ، فهي تدفع الأفراد إلى أن يفقـدوا الثقة في الجد والكفاية واتقان العمل ، ما دام في وسع المرء أن يصل عن طريق آخر من قرابة أو مصاهرة ا .هـ . ص (٥٢٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في الإمارة ، باب في أرزاق العمال عن بريدة ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٦٨/٢) .

وقد قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال / ٢٧] .

فَمن ضَيَّع شيئًا مِمَّا أمر الله ، أَو رَكِب شيئًا مِمَّا نَهاه الله عنه فلَيْس بِعَدْلٍ لأَنَّه لزِمَه اسْم الخِيانَة .

وفي مثل هَذه الحالات يبْرز دَور المسئول الأَوّل في حُسْنِ الاخْتِيار للعَاملين مَعَهُ . ومِن ثَمَّ مُتَابعة أعمالِهم ومُحاسَبتِهم عَليها .

وعَليه أن يُطبِّق مَفهوم ، ومَدلول القَول المشْهور : الرجُل المناسِب في المكانِ المَناسِب .

قال ﷺ لأعرابي سَأَله عن مَوعد قيام السَّاعة : « إِذَا ضُيِّعَت الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّــاعَةَ » . قَـــالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ ﷺ : « إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِه فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (١) .

وإذا مـــا اجتَهد وَلِيُّ الأَمْرِ عند اختيارِ عُمَّاله بانتقاء الصَّالح منهم ثمّ تَبيَّن أن مـــن بَيْنهم من لا يَصْلح للعَمل ــ بأن ظَهرت منه خيانَة ــ فلا يَتردَّد في عَزْله ومُعاقبته وحِسَابه ليكونَ عِبْرة لغيره . وما ترْكُ المذْنِب بلا عِقابٍ ولا حِسابٍ إلاَّ نوعٌ مِن الاسْتِفْزازِ للمخْلِصين ، وتثْبيطًا لهِمَمِهم .

وعـــليه تَفقّد أَحوالهم ، ومُراقبه أَعماهم ، لا يَسْقط ذلك عنه بدعوى الثّقة فِيهم ، ولا بالانشِغَال عَنْهم .

فإن هُو عَلِم بالتَّقصير فجَامَل أَو تَجمَّل ، أَو تغابا ، فتلك مُصيبة . وإن كان

(١) أخـــرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه ، عن أبي هريرة .

جاهلاً به فالمُصيبة أعظم . لأنَّه المسئول الأوّل عَن كلِّ مَظْلمة أو خَطأ يَقَع مِنهم عَلى الرَّعيّة .

كــان عُمر بن الخطّاب ﷺ يتفقَّدُ بَعض أَحياء المدينة إِذْ مَرَّ بعجوزٍ وحولَها صِبية يَبْكون وهي تَقول : اللهُ بيْننا وبَيْن عُمر .

فاسْــتوقفه ذلــك وسألها : وما يُدْري عُمر بِكُم ؟! ردَّت عَليه ــ وهي لا تَعْرِفه ــ : يَتولَّى أمرنا ثُمَّ يَغْفُل عَنَّــا . ؟!

فأمدَّهــا بــزادٍ وقَام عليه حَتَّى نَضج ، فأكل الصِّبية وناموا . فالتَفَتَتْ إِليه العجوز وقالت : إنكَ أَولى بالأَمْر مِن عُمر [١] .

الشاهد في ذلك قَولها : يَتَولى أَمرنا ثمَّ يغفل عنَّا ! .

وإقــرار عُمر لَها بعَدمِ تعْنِيفِها ، تَصْويبٌ لرأَيها . مِمَّا يؤكِّد مَسئولية الوالي على كلِّ ما يَجْري في وِلايته .

وفي بَعْض الأَقطار ــ غَير المسْلمة ــ إذا جُرِّمَ موظف في وزارة فإنَّ الوَزير يَفقِد منْصبه . وإذا كانَ وزيرًا استَقالَت الحُكومة بِرُمَّتها !! .

فكيــفَ بنا ونَحن مُسلمون نغفل عن مثل هذا ، وإذا سَرَق فينا الضَّعيفُ أَقمنا عليه الحدّ ، وإذا سَرق فينا الشَّريفُ تركْناه . ورَسُولُنَا وقُدْوَتُنا أَقْسَم بأَيْم الله لو أَنَّ فَاطِمة بنت مُحمّد سَرَقت لَقَطَعْتُ يدها [٢] .

---

(١) انظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص٦٩ . وانظر تاريخ الطبري (٥/٢٠ ــ ٢١) .

(٢) أخرجه البخاري في الحدود ، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع . ومسلم =

فَهـــل مِثل هَذا التَّصرف من بَعْضِنا دافِعه المجامَلة أم التَّجملِ ؟ وهل هما مِن أنواع المدارة في شيءٍ ؟

قـــالوا : المجامَلَة هي المعامَلة بالجميلِ ، قَولاً ، وفعْلاً ، ومن المعامَلة بالجميل إعْطـــاءُ كـــلّ ذي حَقّ حَقَّه ، والأخذ بالأسباب المشْروعة عند كلّ إنْجازٍ لَهُ . والعَمـــل بقـــول الرَّســـول ﷺ : « إنَّ الـــلَّهَ يُحبُّ إذا عَمِل أَحدكم عَمَلاً أن يُتْقنَهُ » [(١)] .

وأما التَّجمل فهو أَن يكونَ عَمَلُ الجميلِ منه تكلُفًا . فيَقْضِي حَوائج النَّاسِ حَسَــب مقامـــاتِهم ، ودَرَجاتِ نفُوذهم في المجتمع ، وبقدْر ما يأمل من كَسْبٍ مـــادي منهم فيُخلّ بحقوق الآخرين من عامةِ النَّاس ، ويُضيِّع عليهم أَوقاتَهم ، ويُلوِّحُ لَهم بقبولِ الرِشْوَة .

والإنْسان المضْطر لقضاء حوائِجه تلْمس عندَه الاستعدادَ للبذْلِ ، والتَّخلُّقِ باللّين ، والمداراة .

فَخوْفُـــه مـــن المجْهول ، وعَدم ثقَته بالمسْتَقْبل يُوصلانه إلى الشُّعور باليأْس ، فيُحاول التَّقليل مِن هَذا الشُّعور بالضَّغْط على نَفْسه والتَّحلي بالصَّبْر ، والتَّسلُّح بأنواعٍ مِن المداراةِ ، كالمُسايَرة، والملايَنة، والمداجاةِ، والمصَانعة. فَيسْتَغل مثل هذه

=

في الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره .

(١) قـــال في مجمع الزوائد (٩٨/٤) : رواه أبو يعلى عن عائشة ، وفيه مصعب بن ثـــابت وثّقـــه ابن حبّان ، وضعّفه جماعة . قال في التقريب : ليِّن الحديث . اهـــ . وللحديث شاهد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان لفظه : « **إنّ الله يحـــب من العامل إذا عمل أن يُحسن** » من حديث قطبة بن العلاء بن المنهال . قال الألباني : مرسل . انظر السلسة الصحيحة ، رقم (١١١٣) .

الحَالــة مَن لا خلاقَ له ، فيَبْسُط نُفُوذَه ، ويُمْلي شُروطَه ، ويُساوِم ، فإن أُعطي رَضي ، وإِن لم يُعطَ يتعنَّت ، ويُماطِل صَاحِبَ الحاجَةِ في إِنْجازِها . ولسانُ حالِه يَقول :

لَقد قرَّرْتُ فَلا تُحاوِل تَضْلِيلي بالحقَائقِ !! .

ولعــلّ مــن أبرز المجالات الإنسانية في الحياة الدنيا استعمالاً لأكثر أنواع المداراة هو مجال السياسة .

لأن الساسة يكون لهم أهداف لتحقيق مصالحهم . وتكون تلك المصالح في الغــالب مــع الأجــنبي الّذي يختلف في أحكامه ، وأعرافه ، وشرائعه عن بلد السياســي . فتجده يبذل جهدًا موصولاً بعيدًا عن العنف . يلفُّه الحذر الشديد لــئلا يَسمع منه الآخر ما يثير ضغينته ، فتراه يستخدم من الألفاظ ، ويأتي من الأفعال ما يداري به صاحبه ، وبما يعجبه ليصل بذلك إلى ما يريد منه .

ولعل من أسوأ ما يمكن أن يقع فيه السياسي من خُلُقٍ هو لجوؤه إلى الكذب المبطّن ، أو الخداع المدسوس ، في القول أو الفعل .

فهو يحرص ألاّ يكشِف أوراقه لمنازعه ، في الوقت الّذي يُبقي فيه على شعرة معاوية [١] بينهما .

ولكن هل من سبيل إلى تجنّب قول الحقيقة دون الوقوع في الكذب ؟

يبدو أن المسألة تجمع بَيْنَ ضِدَّين ، الأمر الّذي يصعب على العقل إدراكه ، ولكن لعلّ في المعاريض مندوحة عن الكذب .

---

(١) قــال معاوية بن أبي سفيان : لو أنّ بيني وبين النَّاس شعْرة لما انقطعت . قيل له : كيف ؟ قال : إذا أرخوها شددتها ، وإذا شــدوها أرخيتها .

والوطـــن يدافع عنه رجلان : أحدهما بالسِّنان ، والآخر بالبيان ، فهما في حرب مع العدو ، وقد أباح الشارع اللجوء إلى الكذب في الحرب ، ومن أجل الصلح بَيْنَ اثنين أو أكثر [1] .

فهذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ، ومجاوزة الصدق طلبًا للسلامة ، ودفعًا للضرر عن نفسه .

وقـــد رُخِّـــص في بعـــض الأحوال في اليسير من الفساد لما يُؤمَّل بعده من الصلاح .



(١) انظـــر كتاب الصلح من صحيح البخاري ، باب ليس الكاذب الَّذي يصلح بَيْنَ النَّاس . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب في إصلاح ذات البين .

الخاتمة ، والتوصيات

(المداراة) خُلق في الإنسان ، مكتسب لِيُصبح له بعد ذلك سلوكًا ، يُقَوِّم من خلاله معظم علاقاته الاجتماعية مع الآخرين .

وكُلّما كان الإنسان ذا علاقة واسعة مع غيره ، وتعددت مسئولياته احتاج إلى نوع من (المداراة) الّتي من أبرزها : اللين .

فمهمّة الأنبياء والرسل في نشر الدعوة إلى توحيد الله ، وهداية الأمم يغلب عليها طابع (المداراة) فيما لا يخالف منهج الدعوة ، وأهداف الداعية . فكانوا يتعاملون مع أذى المناوئين لدعوقم بالصبر ، والأناة ، والحكمة ، والموعظة الحسنة . مُوَجَّهين من الله تعالى بذلك .

والعامة من المسلمين في تعاملهم المعيشي مع بعضهم يُفْتَرضُ أن الشريعة الإسلامية الّتي تحثّ على الصدق ، والوفاء ، والتعاون على البرِّ والتقوى وإصلاح ذات البين ، وإغاثة المحتاج ، والإيثار هي مرشدهم في تعاملهم . أولئك كانوا أقرب إلى الهدى من الضلال ، وإلى الخير من الشرّ ، حتّى إذا ابتعد أكثر النَّاس عن صميم تعاليم دينهم ، وخفَّ لديهم الوازع الديني ، وشُغلوا بالماديات في شتى أمور حياقم ، وتعلّقوا بالحياة الدنيا وزخرفها ، ابتدعوا من قبل أنفسهم حيلاً ، وأساليب مختلفة للوصول إلى غاياقم ، لا يضرهم من تضرر إذا حققوا ما يُريدون !!

فَبَرَزَ في المجتمع المسلم فئة من المسئولين استغلت ضعف الضعيف ، وطمع القوي ، يعاملون الفئتين بالابتزاز ، واصطياد الفرص ، فأفشت بينهم الرِّشْوَة ، ورسَّخت في المفهوم العام فكرة الوَسَاطَة ، والوَسيط لانجاز مصلحة وإن لم تَسْتَوْف الشروط اللاَّزمة الصحيحة لإنجازِها . وهذا ليس من (المداراة) في شيء .

ويكون من واجب ولاة الأمر حِينَئذٍ التقصي والاجتهاد في اختيار مُعاونيهم في شتى الأعمال ، ومتابعتهم بعد ذلك ، وتقويم اعوجاج سُلوكِهم ، أو حماية المجتمع من شرورهم بإقصائهم بعد معاقبتهم ، ليتحقق المفهوم العام القائل : الرجل المناسب في المكان المناسب .

وما يسببه البعض من إحراج للمسئول عند مراجعته لإنجاز معاملته ــ وتكون ناقصة المعلومات ، أو مخالفة لمقتضيات النظام ــ فيذكّره بقرابته ، ويستفزه بعبارات المديح ، وبما له عليه من حقوق ، مما يضطره إلى مجاملته ، وتقديم طلبه على المستحقين قَبْلَهُ ، أو أن يعامله بخلاف نصوص التنظيم ، فيضطرب أمر الدائرة ، ويتسلل الخطأ ، وربما يعالج بخطأ آخر .

فعلاج ذلك ــ في مفهومي ــ دراسة الأنظمة ــ قبل وضعها موضع التنفيذ ــ دراسة دقيقة وافية من قِبَل مختصين ، أهل دراية ، وخبرة شرعية وقانونية ، ثمَّ تُطْرح للتجربة ، ويتابعون تنفيذها ، والعمل بها مدّة تتناسب وأهمّية النظام من حيث مساسه بالجمهور ، وباعتباره قاعدة تقوم عليها أسس أخرى . وألاَّ يستنكفَ واضعو النظام من الأخذ بكلّ ملاحظة مهما كان حجمها ، أو قَدْرَهَا ، ويستفيدون منها في التجربة ، فيضيفون أو يحذفون ، ثمَّ بعد التأكّد من صلاح النظام بنسبة معقولة ، يعاقب كلّ من يخالفه أو يتجاوزه بزيادة أو نقص عقابًا صارمًا يصل في المرحلة الثالثة إلى فصل المتسبب من عمله ، والغرامة المالية لغير العاملين في السلك الوظيفي ، وأن يُجعل شعار كلّ دائرة لها اتصال بالمواطنين : (المصلحة العامة فوق كلّ شيء) ، وفي هذا قضاء على (المحسوبية)، وإعطاء الموظّف القدر الكافي من الجرأة لرفض كل ما يخالف الأنظمة .

و (المداراة) لا تكون أبدًا على حساب العقيدة الصحيحة ، ولا تنافي المروءات ، ولا تكون عونًا للظالم على ظلمه .

بل هي أسلوب لحياة كريمة ، ووسيلة للتوصّل إلى الحق ، وتحصيل الحقوق ،

والمحافظة على الصِّلات الإنسانية بين أفراد المجتمع ، والرفق بالجاهل ، والسفيه في الدعــوة والإرشاد ، فذلك كلّه مع صلاح النية ، ومراقبة الله تعالى في السّرِّ والعلن في كلّ ما يأتي أو يدع وذلك معنى الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَــإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . وابتغاء وجه الله ومرضاته كفيل ــ إن شاء الله ــ بالسداد ، والقبول .

والله تعالى أعلم ، وهو المستعان .

۞۞۞

المراجع

١. **الإتقــان في علوم القرآن** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥ م .

٢. **الإحســان في تقريب صحيح ابن حبان** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٨ هـ .

٣. **أحكام القرآن** ، لابن العربي ، تحقيق البجاوي ، طبعة عيسى الحلبي .

٤. **إرواء الغــليل في تخــريج أحاديث منار السبيل** ، للألباني ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ .

٥. **أسباب نزول القرآن** ، لأبي الحسن عليّ بن الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدّة ، ط٢ ، سنة ١٤٠٤ هـ .

٦. **أعلام الحديث** ، للخطابي ، طبعة جامعة أم القرى بمكة ، سنة ١٤٠٩ .

٧. **بغيــة الباحث عن زوائد مسند الحارث** ، لعلي بن سليمان بن أبي بكر الهيــثمي ، تحقيق الدكتور : حسين أحمد صالح الباكري ، الناشر : مركز خدمة السنّة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة ، سنة ١٤١٣ هـ .

٨. **تاريخ الطبري** ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم .

٩. **التعريفات** ، للجرجاني ، مكتبة لبنان ، سنة ١٩٦٩ م .

١٠. **تفسير البغوي** ، تحقيق محمد النمر وآخرين ، دار طيبة بالرياض .

١١. **تفسير الطبري** ، بتحقيق محمود شاكر ، دار المعارف بمصر .

١٢. **تفســير القــرآن العظــيم** ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، الناشر : دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ .

١٣. **تفسير الكشاف** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٤. **تفسير المنار** ، لمحمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة .

١٥. **تفسير النسفي** ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

١٦. **تقريب التقريب** ، لابن حجر ، دار المعارف للطباعة ، بيروت .

١٧. **تهذيب التهذيب** ، لأبي الفضل أَحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ، سنة ١٣٢٥ هـ .

١٨. **تهذيب اللغة** ، للأزهري ، الهيئة المصرية العامة .

١٩. **الروح** ، لابن قيّم الجوزية ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٢٠. **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، للألباني ، طبعة المكتب الإسلامي .

٢١. **سنن الترمذي** ، نشر عبدالمحسن الكتبي ، المدينة المنورة ، سنة ١٣٨٤ هـ .

٢٢. **سنن أبي داود** ، تعليق : عزت الدعاس ، الناشر : محمَّد عليّ السيد ، حمص ، سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٣. **سنن ابن ماجه** ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٣٧٢ هـ .

٢٤. **سنن النسائي** ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، سنة ١٣٤٨ هـ .

٢٥. **شرح السنة للبغوي** ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٦. **شعب الإيمان** ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٧. **الصحاح** ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار .

٢٨. **صحيح البخاري** ، مطبوع مع فتح الباري .

٢٩. **صحيح سنن أبي داود** ، للألباني . محمَّد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٣٠. **صحيح مسلم** ، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي .

٣١. **صور من حياة عبدالعزيز** ، لابنه الأمير طلال ، مطابع حنيفة للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٢ .

٣٢. **ضعيف سنن أبي داود** ، للألباني . محمَّد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .

٣٣. **ضعيف سنن ابن ماجه** ، للألباني . محمَّد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٨ هـ .

٣٤. **عارضة الأحوذي** ، لابن العربي ، طبعة سنة ١٤١٥ .

٣٥. **غريب الحديث** ، لأبي عبيد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٦. **فتح الباري** ، لابن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٠ هـ .

٣٧. **فردوس الأخبار** ، للديلمي ، طبعة بيروت .

٣٨. **الفروق** ، لأبي هلال العسكري ، الناشر : جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، سنة ١٤١٥هـ .

٣٩. **فقه اللغة** ، للثعالبي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٤٠. **الكامل في ضعفاء الرجال** ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ .

٤١. **كشف الخفاء للعجلوني** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٣ هـ .

٤٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

٤٣. **اللسان** ، لابن منظور ، دار صادر .

٤٤. **لزوم ما لا يلزم** ، لأبي العلاء المعري ، عناية : كمال اليازجي ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .

٤٥. **مجمع الزوائد** ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، سنة ١٩٦٧ م .

٤٦. **مداراة الناس** ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، سنة ١٤١٨ هـ .

٤٧. **المستدرك** ، للحاكم ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٨ هـ .

٤٨. **مسند الإمام أحمد** ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بيروت .

٤٩. **مسند أبي حنيفة** ، بشرح ملا علي القاري ، بتحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٠. **مسند أبي داود الطيالسي** ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، سنة ١٣٢١ هـ .

٥١. **مصنّف ابن أبي شيبة** ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند .

٥٢. **معالم السنن** ، **شرح سنن أبي داود** ، للخطابي ، إعداد عزّت عبيد الدعاس ، نشر : محمَّد عليّ السيد ، حمص ، سنة ١٣٨٨ هـ .

٥٣. **معجم العلوم الاجتماعية** ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، تصدير الدكتور إبراهيم مدكور ، إشراف اليونسكو ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥ م .

٥٤. **المعجم الوسيط** ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٥٥. **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ، لابن الجوزي ، تحقيق د . زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٦. **موطأ الإمام مالك** ، صححه محمد فؤاد عبدالباقي ، طبعة عيسى الحلبي بمصر .

٥٧. **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ ، واختلاف العلماء في ذلك** ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحَّاس ، تحقيق : الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاّحم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .

٥٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : محمود محمَّد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٣ هـ .

۞۞۞

فهرس الموضوعات



أَبُو تُرَابٍ اللُّغَوِيُّ وَكِتَابُهُ الاعْتِقَابُ

القِسْمُ الأَوَّلُ

إعْدَادُ

د. عَبْدِ الرَّزَّاقِ بنِ فَرَّاجٍ الصَّاعِدِيّ

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة



المقدّمة

الحمـــد لله حقَّ حمده، والصّلاة والسّلام على خير خلقه، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمـــا بعد، فإنّ كثيراً من المتخصّصين في علوم العربية لا يعرفون عن أبي تـــراب اللّغويّ أو عن كتابه « الاعتقاب » إلا الشيء اليسير، وقد لا يعرفون عـــنه شيئاً؛ فهو من علماء اللّغة المغمورين على الرّغم من تقدّمه وعنايته الفائقة بالـــلّغة، وإعجاب معاصريه به، وتوثيقهم إيّاه، وتلقّيهم كتابه الاعتقاب بالقبول والرّضا، وهو ككثير من علماء اللغة المغمورين الذين لم يواتهم الحظ ، فقصّر في ترجمـــته المترجمون، وأهمله أكثرهم ، ولم يكن كتابه أوفر حظاً منه فقد أتت عليه عوادي الزمان، فضاع فيما ضاع من تراث العربيّة.

ولقد قيض الله لأبي تراب من أبقى ذكره؛ بترجمة مختصرة نافعة ، وحَفِظَ جـــلّ كـــتابه « الاعتقاب » بنقله نصوصاً كثيرة منه تُربي [(١)] على ثلثمائة نص، وهو الأزهريّ (٣٧٠هـ) القائل في مقدمة معجمه الكبير « تهذيب اللغة » بعد أن ذكـــر أبا تراب وكتابه « الاعتقاب »: « وقد قرأت كتابه فاستحسنته ، ولم أره مجازفاً فيما أودعه ، ولا مصحّفاً في الذي ألّفه، وما وقع في كتابي لأبي تراب فهو من هذا الكتاب » [(٢)].

وقـــد عَرَضَـــتْ لي فكـــرة هذا البحث منذ سنوات مضت وهي جمع نصـــوص كتاب « الاعتقاب » من كتاب التّهذيب وغيره، ودراسته من خلالها، والـــترجمة لمؤلّفه أبي تراب ترجمة ضافية، فعرضت الفكرة على أستاذي الدّكتور محمّـــد يعقوب تركستاني فاستحسنها، وحثّني على المضيّ في إتمامها ، ثمّ حالت

(١) من الفعل أَرْبَى.

(٢) التّهذيب ٢٦/١.

دون البدء فيه حوائل؛ منها ما وجدته في ترجمة أبي تراب من اضطراب في اسمه وغموض في حياته العلميّة؛ فأرجأت الشروع في الكتابة إلى حين التمكّن من جلاء ذلك الغموض، فبقيت فكرة البحث كامنة في نفسي، تبرز كلّما قرأت كتاباً في التّراجم أو التّاريخ أو التّراث اللّغويّ القديم، حتّى تمكّنت بحول الله وقوته في هذا العام ١٤٢١هـ من كشف ذلك الغموض، وتصحيح الاضطراب، وجمع مادة الاعتقاب من مظانها الأصلية كـ « التهذيب » للأزهريّ وباقي معاجم اللّغة كـ « الصحاح » للجوهريّ، و « التكملة » و « العباب » للصّغاني و« اللّسان » لابن منظور ، فبلغت النّصوص الّتي جمعتها خمسة وسبعين وثلثمائة نصّ لغويّ من نصوص كتاب الاعتقاب، بعد أن قرأت التّهذيب مرّتين ، وهي – في الحقِّ – أضعاف ما كنت أطمح إليه، وأكثر النصوص هي من الاعتقاب بمعناه الاصطلاحي؛ أي: الإبدال، وبعضها ليس من الإبدال، ولكنها من كتاب الاعتقاب لأبي تراب، فليس بالإمكان حذفها أو تجاهلها، ولا يضير ذلك أبا تراب، ولا يعيب كتابه، فهو كغيره من علمائنا القدامى ــ رضي الله عنهم ــ الذين يحرصون على الأشباه والنظائر، وقد يخلطون شيئاً بشيء؛ لغزارة حفظهم، ونزوعهم إلى الاستفاضة في جمع المادة، واتساعهم في مفهوم التأليف، فإن لم يكن ذلك من الإبدال فهو من اللغات، والحَدُّ بين الإبدال واللغات دقيق، وبعضهم يتسع في هذا الأمر فيجعل كل كلمتين متفقتين في الحروف إلا حرفاً واحداً ــ من الإبدال، مثل نَبأَ ونَتأَ، ولابِثٍ ولابنٍ وثاقِبٍ وناقِبٍ.(١)

وقد جعلتُ البحثَ في قسمين رئيسين:

---

(١) ينظر: وفاق المفهوم ٦٨،٤٩.

القسم الأول: أبو تراب وكتاب الاعتقاب

وفيه بابان وفصول؛ وهما كما يلي:

الباب الأول: أبو تراب اللّغويّ

الفصل الأول: سيرته الشخصية

الفصل الثاني: حياته العلمية

الباب الثاني: كتاب الاعتقاب

الفصل الأول: مادّة الكتاب ومنهجه

الفصل الثاني: مصادره

الفصل الثالث: شواهده

الفصل الرابع: قيمته العلميّة وأثره

القسم الثاني: نصوص من كتاب الاعتقاب (جمع وترتيب)

وفيه أبواب كثيرة بحسب مواد الاعتقاب، وهي.

أبواب اعتقاب الهمزة

أبواب اعتقاب الباء

أبواب اعتقاب التّاء

أبواب اعتقاب الثّاء

أبواب اعتقاب الجيم

أبواب اعتقاب الحاء

أبواب اعتقاب الخاء

أبواب اعتقاب الدّال

أبواب اعتقاب الذّال

أبواب اعتقاب الرّاء

أبواب اعتقاب الزّاي

أبواب اعتقاب السّين

أبواب اعتقاب الشّين

أبواب اعتقاب الصّاد

أبواب اعتقاب الضّاد

أبواب اعتقاب الطّاء

أبواب اعتقاب الظّاء

أبواب اعتقاب العين

أبواب اعتقاب الغين

أبواب اعتقاب الفاء

أبواب اعتقاب القاف

أبواب اعتقاب الكاف

أبواب اعتقاب اللام

أبواب اعتقاب الميم

أبواب اعتقاب النّون

أبواب اعتقاب الواو

أبواب اعتقاب الياء

باب الاعتقاب في حروف مختلفة

باب الفوائد والنّوادر

وقد التزمت – في هذا القسم المهمّ من البحث – نقل النّصوص اللّغويّة كما هي في مظانّها الأصليّة، ووضع كلّ نصّ بين علامتي تنصيص، لتسهل مراجعته، وأضفت إلى ذلك ترتيب أبواب الاعتقاب على حروف المعجم، وتركت تخريج الشّواهد الشّعريّة؛ اكتفاء بورودها في مظانّها اللّغويّة القديمة، وعلى رأسها «التّهذيب» ولأنّ ذلك ليس من هدفي في هذا البحث القائم على الجمع والتّرتيب والدّراسة. ولأني لا أحقق كتاباً مخطوطاً، فنصوص الاعتقاب متداولة في كتب مطبوعة.

فأرجو أن يكون التّوفيق حليفي في هذا الجهد المتواضع؛ لإخراج شيء من كتاب لغويّ مفقود، يعدّ من مصادر اللّغة، الّتي استقت منها معاجم العربية مادهّا اللّغويّة، وبخاصّة فيما يتّصل بالإبدال اللّغويّ، وأرجو - أيضاً - أن أقدّم ترجمة علميّة مفيدة لأبي تراب مؤلّف هذا الكتاب النّفيس.

والله حسبي وهو نعم الوكيل.

القسم الأوّل
أبو تُراب وكتابه

الباب الأوّل

أبو تراب اللّغويّ

الفصل الأوّل: سيرته الشّخصيّة

اسمه:

ثمّة غموض واضطراب في اسم أبي تراب اللّغويّ [١]، فهو:

إسحاق بن الفرج

أو محمد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ

أمّا كنيته فـ: « أبو تراب » ولا خلاف في هذا.

ويعدّ الأزهريّ (ت ٣٧٠هـ) من أقدم المصادر التي ترجمت لأبي تراب في مقدّمة كتابة « تهذيب اللّغة » الّتي ترجم فيها لبعض العلماء، وقد أسهمت نسخ هذا الكتاب المتناثرة في العراق وخراسان في ذلك الغموض والاضطراب، فهو « محمّد بن الفرج » في المقدّمة في بعض النّسخ القديمة الّتي اطّلع عليها ياقوت الحمويّ فيما نقل عنه الصّفديّ [٢].

وهو في بعضها : « أبو تراب الّذي ألّف كتاب الاعتقاب» وهذا هو الّذي في الكتاب المطبوع المتداول[٣].

ويشير إليه الأزهريّ فيما ينقله عنه من نصوص بثلاثة طرق:

---

(١) من مصادر ترجمته: تهذيب اللغة ٢٦/١، والفهرست ٩٢، ومعجم الأدباء ٤٦٢/١، وإنباه الرواة ١٠٢/٤، ١٠٣، والوافي بالوفيات ٣١٩/٤، ٣٢٠، وبغية الوعاة ٢٠٩/١.

(٢) ينظر: الوافي ٣١٩/٤.

(٣) التّهذيب ٢٦/١.

بكنيته، فيقول: «أبو تراب» [(١)]

(١) ينظر: التّهذيب ١/١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٤١، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢٩٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٨، ٤٣٤، ٤٥٠، ٤٩٢، ٥٠٥، ٢/٣٧، ١٠١، ١١٥، ١٢٢، ١٥٠،١٣١، ١٨٤، ١٩٣، ٢١٧، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٨٧، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٥٦، ٣٨٨، ٤٢٦، ٣/٢٠، ٢٦٢، ٣٢٦،٢٦٣، ٣٧٢، ٤٣٩، ٤/٢٧، ٦٥، ٩٣، ٣١١، ٣٩٤، ٤٤٤، ٤٥٢، ٤٦١، ٥/٧٧، ٢٠٥، ٢٥٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٨٦، ٦/٦، ٩٨، ١١٥،١٠٤، ١٢٢، ١٥٩، ١٦٤، ١٨١، ١٨٨، ٢٢٤، ٢٣٧، ٤١٠، ٥٣٥، ٥٣٧، ٧/٤٣، ٦٩، ٧٤، ٨٠، ٨٤، ٨٦، ٩٦، ١٠٥، ١١٩، ٢٠٣، ٢٤٥، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٦٠، ٤٨٧، ٥٠٦، = = ٥١٥، ٥٣٨، ٦٤٩ ، ٦٧٦، ٨/٢٧، ٤٤، ٨٨، ٢١٧، ٢٣٣، ٦٧٩، ٩/٣٢، ٥٩، ١٠٢، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٤١، ٢٥٩، ٣١١، ٣١٧، ٣٥٤، ٣٧٨، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٧، ١٠/٨، ٤٥، ٦٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٨، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٥٤، ٥٠٥، ٥٥٢، ٥٤٨، ٥٩٠، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٧٣، ١١/٨، ٢٩، ٤٢، ٥٤ ، ٨٢، ٩٨، ١٣٨، ١٧٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٥٦، ٤٨٣، ١٢/٧٠، ٨٢، ٨٣، ٩٦، ١١٧، ١٤٤، ١٦٦، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٧، ٢٤٠، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٥٥، ٣٧٩، ٣٨٤، ٤٢٢، ١٣/٢٥، ٢٦، ١١٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٦٩، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٧١ ، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ١٤/٥٤، ٥٩، ٦٤، ٧٠، ٨٢، ١١٩، ١٤١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٢٢، ٣٥٥، ١٥/٧٢، ٩١، ٢١٨، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٧٣، ٣٨٢، ٣٨٠، ٥٧١ ، ١٦/٥٢، ٥٩، ١٦٢، ٢١٠.

أو يقول: « ابن الفرج »[١]

أو باسمه، فيقول: « إسحاق بن الفرج »[٢].

ويلاحظ أنّ نسخ التّهذيب لا تتفق في اسمه دائماً، فقد يكون في نصّ في بعض النّسخ: « أبو تراب »[٣]، فيكون في النّصّ نفسه في نسخة أخرى: « ابن الفرج» أو « إسحاق بن الفرج » وقد يكون عكس ذلك، أي: إذا قالت نسخة: « ابن الفرج » قالت نسخة أخرى: « أبو تراب».[٤]

وسرى ذلك الاضطراب إلى « لسان العرب » لابن منظور، فقد يكون النّصّ في « التّهذيب » منقولاً عن «أبي تراب»، فنجده بنصّه في « اللّسان »

---

(١) ينظر: التّهذيب ١/٧١، ١١٦، ١٢٩، ٢١٥، ١٦٨، ٣٠٥، ٣٣٤، ٣٦٨، ٣٩٥، ٢/٥٩، ١٧٩، ٢٦٤، ٣٣٦، ٣/٢٤٢، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤/٢٣، ٣٠، ٣٦، ٩٤، ١١٨، ١٢٦، ١٧١، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٨٥، ٣٣٧، ٣٤٦، ٤٤١، ٥/٦٩، ١٢٧، ٣٠٦، ٣٢٩، ٣٤٦، ٦/٩٩، ١٠٢، ١٦٤، ٣٦٩، ٣٩٧، ٤٩٦، ٥١٣، ٥٣٧، ٧/١٨٢، ٤٢٩، ٦٦١، ٨/٣٨، ١٣٨، ١٨٦، ٢٢٩، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٥، ٣٣٧، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٢٥، ٩/٣٠، ٢٤١، ١٠/١١٢، ٤٧٠، ٥٣٧، ١١/١٢٦، ٢٤٤، ١٢/٣٠، ٣٤، ٤٣، ١٤/٥٧، ١٣٣، ١٥/٥٠٩، ٥٧٣، ١٦/٣٨، ٦١، ٩٩، ١٧١، ٢٣٨.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٦٩، ٧٨، ١٥٦، ١٨٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٨٧، ٢/٣٢٠، ٣٦٦، ٤/٣٣٧، ٥/٢٩٤، ٣٣٧، ٦/٢١٤، ٨/٢٠٦، ١٠/٨٥، ١٣/٣٦٠، ١٦/٢٠٥.

(٣) خبر كان، ورفع على الحكاية.

(٤) وهذا ما تثبته فروق النسخ الخطية المثبتة في الهوامش. ينظر على سبيل المثال من التّهذيب: ٤/٤٤٤، ٦/٢١٤، ٢٢٤، ٧/١٦٢، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٦٠، ٤٨٧، ٥١٥، ٨/٣١١، ١٠/٨٥، ٣٢٣، ١١/١٣٨، ١٢/٨٣، ١٦/٥٩، ١٧١، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٨.

ولكــن عن «ابن الفرج» ونجد العكس - أيضاً- أي أن ابن منظور قد يقول: «أبو تراب» في الموضع الّذي يقول فيه الأزهريّ: «ابن الفرج» أو «إسحاق ابن الفرج».

ويمكن بيان ذلك من خلال المقابلة بين بعض النّصوص في «التّهذيب» و «اللّسان»

النّصّ في التّهذيب	النّصّ نفسه في اللّسان
١/١٨٦ «إسحاق بن الفرج»	٨/٢٧١ «أبو تراب»
٥/٢٠٥ «أبو تراب»	١٤/١٧٢ «ابن الفرج»
٦/٣٩٧ «ابن الفرج»	٩/١٩ «أبو تراب»
٨/٢٤٣ «ابن الفرج»	١٥/١٤٠ «أبو تراب»
٨/٣٢٥ «ابن الفرج»	٦/٣٥٨ «أبو تراب»
٨/٣٣٧ «ابن الفرج»	١/٤٨٤ «أبو تراب»
٨/٣٧٣ «ابن الفرج»	١١/٣٨١ «أبو تراب»
٨/٣٧٦ «ابن الفرج»	١٠/٢٠٤ «أبو تراب»
٨/٣٩٣ «ابن الفرج»	٧/٣٢٠ «أبو تراب»
٩/٣٠ «ابن الفرج»	٩/٩٦ «أبو تراب»
١٠/٥٥٢ «أبو تراب»	٣/٢٦٦ «ابن الفرج»
١٣/٢٥ «أبو تراب»	١/٩٥ «ابن الفرج»
١٤/٧٠ «أبو تراب»	١٣/١٦٠ «ابن الفرج»
١٦/١٨٨ «ابن الفرج»	٨/٤٥٠ «أبو تراب»

وجاء اسمه في « الوافي » للصّفديّ على النّحو التّالي:

محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ أبو تراب اللّغويّ.

وذكر الصّفديّ أنّ ياقوتاً نقل هذا الاسم من نسخة من كتاب الاعتقاب ، بعد أن تنبّه لهذا الاضطراب؛ قال الصّفديّ في التّرجمة: « محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ أبو تراب اللّغويّ. ذكره أبو منصور الأزهريّ في مقدّمة كتابه، فقال: أبو تراب محمّد بن الفرج صاحب كتاب الاعتقاب...

قال ياقوت في « معجم الأدباء » كنت رأيت نسخة بكتاب[١] الأزهريّ ببغداد، وقد ذكر الأزهريّ أبا تراب فيها، وسمّاه محمّد بن الفرج، فلمّا وردت إلى مرو وقفت على النّسخة التي بخطّ الأزهريّ، ولم أجد ذكر اسم أبي تراب في المقدّمة، إنّما ذكر كنيته فقال: أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب، ورأيته يقول في ضمن كتابه: قال إسحاق بن الفرج، وكان هناك نسخة أخرى بكتاب [٢] الأزهريّ لا توافق التي بخطّه ، وفيها زيادات ونقصان، وكنت أتأمّل ذلك القول الّذي عزاه في كتابه الّذي بخطّه إلى إسحاق بن الفرج، وهو مذكور في النّسخة الأخرى لأبي تراب، وكذا إذا وجدت في خطّه شيئاً قد عزاه إلى أبي تراب أراه في تلك النّسخة قد عزاه إلى إسحاق بن الفرج، وطلبت نسخة بكتاب الاعتقاب لأصحّح اسمه منها فوجدتها مترجمة لمحمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ، وأنا في حيرة من هذا إلى أن يصحّ إن شاء الله تعالى، انتهى كلام ياقوت» [٣].

(١) هكذا، ولعلّ الصّواب: « من كتاب ...» أو « لكتاب ...»

(٢) هكذا، ولعلّ الصّواب : « من كتاب ...» أو « لكتاب ...»

(٣) الوافي ٤/٣١٩، ٣٢٠.

ونخرج من هذا النصّ النّفيس الذي أورده الصّفديّ بجملة من الملحوظات ، منها:

أ- قِدَم الغموض والاضطراب في اسم أبي تراب، ووقوع ذلك في نسخ التّهذيب القديمة.

ب- أنّ اسمه في المقدّمة من نسخة التّهذيب الّتي بخطّ الأزهريّ: أبوتراب، وفي نسخة بغداد: محمّد بن الفرج، وفي الكتاب المطبوع الّذي بأيدينا: أبو تراب ، فحسب.

جـ- أنّ اسمه في كتاب « الاعتقاب » : محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ ، وهذه أهمّ الملحوظات.

د- حيرة ياقوت في ذلك الاضطراب، وهو من علماء التّراجم المُدقّقين.

هـ- أنّ هذا النصّ النّفيس ليس في « معجم الأدباء » في طبعتيه؛ القديمة بعناية مرجليوث، والحديثة بتحقيق الدّكتور إحسان عبّاس.

ولهذا تعيّن أن أُحَرِّرَ هذا الاضطراب قدر الاستطاعة باستقراء كامل النّصوص المعزوة لأبي تراب ،أو ابن الفرج، أو إسحاق بن الفرج في « تهذيب اللّغة » ودراسة محتواها ومقابلة بعضها بما في « اللّسان » لابن منظور، أو « التّكملة » للصّغانيّ؛ لأتبيّنَ في النّهاية حقيقة هذه الأسماء؛ هل هي لرجل واحد، أو لرجال مختلفين؟ وقد فعلت ذلك؛ فثبت عندي أنّ من يسميه الأزهريّ ابن الفرج هو من يسميه إسحاقَ بن الفرج؛ وهو من يسميه أبا تراب صاحب كتاب الاعتقاب ، فهو شخص واحد، وأوجز خلاصة ذلك فيما يلي:

١- نقل الأزهريّ عن « أبي تراب » في نحو أربعين ومائتي نصّ[١] ونقل عن «ابن الفرج» في نحو خمسة وثمانين نصاً [٢]، ونقل عن إسحاق بن الفرج في نحو عشرين نصاً [٣].

وهذه النّصوص تتطابق في محتواها، فهي من نصوص التّعاقب (الإبدال) وهي توافق عنوان الكتاب : « الاعتقاب» [٤].

٢- قد يقرن الأزهريّ بين اسمين من هذه الأسماء الثّلاثة بما يدلّ على أنّهما لشخص واحد، كقوله: « روى ابن الفرج أبو تراب عن خليفة الحصينيّ...» [٥].

وقوله في أوّل أحد النّصوص: « قال ابن الفرج....» وقوله في آخره: « جاء به أبو تراب في باب الشّين والسّين وتعاقبهما» [٦].

أو يقرن بين أحد هذه الأسماء واسم الكتاب، كقوله: « رواه أبو تراب له في كتاب الاعتقاب » [٧] وفي نسخة أخرى - كما في الهامش: « حكاه ابن الفرج له في كتاب الاعتقاب » [٨]

٣- الإشارة إلى عناوين بعض الأبواب في كتاب « الاعتقاب » وورود ذلك مع الأسماء الثّلاثة، كقول الأزهريّ فيما يلي:

---

(١) ينظر ما تقدم في ص (٣٥٤) في الهامش رقم (١).

(٢) ينظر ما تقدم - أيضاً.

(٣) ينظر ما تقدم - أيضاً.

(٤) ينظر النصوص في القسم الثاني من هذا البحث، ويستثنى ما جاء في الباب الأخير.

(٥) التّهذيب ٣٧٥/١.

(٦) التّهذيب ٣٩٥/٣.

(٧) التهذيب ٥٣٨/٧.

(٨) التّهذيب ٥٣٨/٧ هامش (١٠).

« روى أبو تراب في باب الكاف والفاء » [١]

« قال ابن الفرج في باب الميم والباء » [٢]

« قال إسحاق بن الفرج... جاء بهما في باب الكاف والجيم » [٣]

« وقد طلبته في باب العين والحاء لأبي تراب فلم أجده » [٤]

« ونظـــرت في باب ما يعاقب من حرفي الصاد والطاء لابن الفرج، فلم أجده» [٥]

« روى ابن الفرج لابن الأعرابي في باب الصّاد والفاء» [٦]

٤- اتفاق الرّواة الوارد ذكرهم مع الأسماء الثّلاثة، وهو ما يظهر جلياً في النّصـــوص المثبـــتة في القســـم الثّاني من هذا البحث، وأمثلة ذلك مما نقله الأزهريّ:

أ- « قال أبو تراب: سمعت شُجاعاً السّلميّ يقول ......» [٧]

« قال ابن الفرج: سمعت شُجاعاً السّلميّ يقول....» [٨]

---

(١) التهذيب ٩/٤٢٥.

(٢) التّهذيب ١١/٢٤٤.

(٣) التّهذيب ١/٣٨٧.

(٤) التّهذيب ٤/١١٠.

(٥) التّهذيب ١١/٢٩٥ الحاشية رقم (٣) وفيها: « لأبي الفرج » وهو سهو ، والنص في اللسان - أيضاً - ٤/٤٠٦ (شعر)

(٦) التهذيب ١٥/٥٧٣.

(٧) التّهذيب ١/٣١٥.

(٨) التّهذيب ٤/٢١٤.

« قال إسحاق بن الفرج: سمعت شُجاعاً السّلميّ يقول....»[(١)]

ب- « قال أبو تراب: سمعت أبا السَّمَيدع يقول...» [(٢)]

« روى ابن الفرج عن أبي السَّمَيدع...» [(٣)].

« قال إسحاق بن الفرج: سمعت أبا السَّمَيدع يقول...» [(٤)]

جـ- « روى أبو تراب عن مُدْرِك الجعفريّ...» [(٥)]

« قال ابن الفرج: سمعت مُدْرِكاً الجعفريّ يقول...» [(٦)]

« قال إسحاق بن الفرج ... وقال مُدْرِك الجعفريّ...» [(٧)]

٥- يمكن أن يستدلّ - أيضاً - بتعاقب الأسماء الثّلاثة في نسخ التّهذيب الّذي أشرت إليه فيما تقدّم، فقد يكون دليلاً على وحدة المسمّى، أي أنّها لشخص واحد، هو أبو تراب.

٦- اجتماع هذا الاسم في نصّ فريد في « معجم البلدان » لياقوت الحموي؛ منقول ــ فيما يظهر لي ــ عن الأزهري في التهذيب؛ قال ياقوت في رسم (عربة): « قال أبو تراب إسحاق بن الفرج: عَرَبة: باحة العرب، وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم ... »[(٨)] وهذا يوافق ما في التهذيب،

---

(١) التّهذيب ١/٣٨٧.

(٢) التّهذيب ١٣/١٤٤.

(٣) التّهذيب ١/٣٣٠.

(٤) التّهذيب ١/٣٣٠.

(٥) التهذيب ١٣/٣٤٥.

(٦) التّهذيب ٤/٤٢٨.

(٧) التّهذيب ١/٣٨٧.

(٨) معجم البلدان ٤/٩٧.

ولكــن الأزهــري اختصر الاسم فقال: « قال إسحاق بن الفرج ... »[1] وقد يكون هذا الاختصار امتداداً للاضطراب في اسم أبي تراب في التهذيب.

ويــبقى تعــليل ذلك التّعاقب أو الاضطراب ، وهو عندي من اجتهاد النّسّــاخ، لاختلاف شهرة أبي تراب من بلد إلى بلد، فبعضهم يعرفه بأبي تراب، ويعــرفه بعضــهم بإسحاق بن الفرج أو ابن الفرج، فأباح بعض النّسّاخ لنفسه الــتّغيير وفق ما يراه هو، فاختلفت نسخ « التّهذيب »، وسرى الاختلاف من خــلال هــذه النّســخ المتباينة إلى معاجم أخرى كــ «التّكملة» و « العباب » للصّغانيّ و « لسان العرب» لابن منظور.

ويدلّ على هذا التّفسير ما وقع في « التّهذيب » من تغيير في أسماء بعض العــلماء غير أبي تراب ، فقد يذكره الأزهريّ باسم فيغيره النّاسخ باسم آخر من أسمائه، ومن ذلك ما وقع في اسم « ثعلب» فهو يذكر تارة باسم « أحمد بن يحيى » فيُغيّــر في نســخة أخرى في النّصّ نفسه ويجعل: « أبو العبّاس »[2] ويذكر تارة بقوله « روى ثعلب » فيغير ويقال: « روى أبو العبّاس »[3].

ووقع التّغيير في اسم « الزّجّاج» فهو يرد في بعض النسخ بقوله: « قال الــزّجّاج» ويَــرِدُ في بعضها في الموضع نفسه بقوله : « قال أبو إسحاق» وهو واحــد، وقد وقع مثل هذا كثيراً في الجزءين السّابع والعاشر من « التّهذيب » تثبته فروقات النّسخ المثبتة في الهوامش[4].

---

(١) التهذيب ٢/٣٦٦.

(٢) الكلمة بالرفع على الحكاية وهي في محل نصب، وينظر: التّهذيب ١٠/٦٦.

(٣) التّهذيب ١٠/١٨٩.

(٤) ينظر: التّهذيب ٧/٤٩٩، ٥٠٢، ٢٤٦، ١٠/٤٧، ٥٣، ١١٧، ٢٠٢.

ووقع التغيير في اسم الأزهري نفسه، فإذا قال في بعض النسخ: « قلت » غَيَّرَهُ نَاسِخٌ في أخرى بقوله: « قال الأزهريّ »[(١)] أو « قال أبو منصور»[(٢)]وقد نجد العكس – أيضاً[(٣)] .

وبهذا يتبيّن أنّ تلك الأسماء الثّلاثة « أبا تراب » و « ابن الفرج » و «إسحاق بن الفرج» التي نقل عنها الأزهريّ في « التّهذيب » هي لشخص واحد، هو مؤلّف كتاب « الاعتقاب »: أبو تراب إسحاق بن الفرج.

وثمّة اسم آخر لهذا الرّجل غير هذه الثّلاثة، وهو « محمّد بن الفرج بن الوليد الشّـــعرانيّ » وهذا ما انفرد به ياقوت ونقله عنه الصّفديّ في « الوافي »[(٤)]ونقله عن أحدهما أو عن غيرهما السّيوطيُّ في « بغية الوعاة »[(٥)].

قـــال يـــاقوت فـــيما يـــرويه عنه الصّفديّ: « وطلبت نسخة بكتاب الاعـــتقاب لأصـــحّح اسمـــه مـــنها فوجدتها مترجمة لمحمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ، وأنا في حيرة من هذا »[(٦)].

وإن صحّ ما نقله الصّفديّ فهو حجّة قويّة لأنّ الاسم مأخوذ من كتاب مؤلّفـــه، وهو « الاعتقاب » ولكن يصعب الجزم بشيء؛ لأنّ هذا النّصّ ليس في « معجـــم الأدبـــاء » ليـــاقوت في طبعـــتيه، وفيهما عناية فائقة بإخراج النّصّ

---

(١) يـــنظر: التهذيب ١٠/٥٤، ٥٥، ٦٤، ٦٨، ٧٢، ٧٩، ٨٩، ٩٢، ٩٦، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٤٧، ١٩٨، ٢٠٠.

(٢) ينظر: التّهذيب ١٠/١٩١، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٧٧.

(٣) ينظر: التّهذيب ١٠/٢١٥.

(٤) ٤/٣١٩، ٣٢٠.

(٥) ١/٢٠٩.

(٦) الوافي ٤/٣٢٠.

وتصـــحيحه ومقابلـــته على أصوله، وقد ورد اسمه فيهما بما يوافق ما في طبعة التّهذيب؛ أي بقوله : « أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب »[1].

ولعلّ ذلك النّصّ ممّا ضاع من كتاب « معجم الأدباء » وهو غير قليل.

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر فلا تنافيَ بين الاسمين إلا في الأوّل منهما؛ أي « محمّـــد » و « إسحاق » وقد يكون ذلك من تحريف النّسّاخ أو من تغييراتهم الّـــتي أشرتُ إلى بعضها، وقد يكون لهذا الرّجل اسمان: محمّد وإسحاق، وليس لدينا ما يُقْطَعُ به ، وإنّما هي احتمالات.

أمـــا اسم جَدِّه وهو « الوليد » فتركُ ذكرِه في الاسم الأوّل لا ينفيه في الاسم الثّاني لاقتصار الأوّل على الأب.

أمّـــا الـــلّقب وهو « الشّعرانيّ » فهو نسبة إلى « الشَّعْر » المرسل على الرّأس، وقد اشتهر به جماعة من العلماء ذكر السّمعانيّ[2] بعضهم، ولا يمتنع أن يكون أبو تراب منهم.

ويـــبدو أنّ أبا تراب لم يكن مشهوراً في العراق، وربّما في خراسان – أيضاً – فلم يعرفه كثير من معاصريه في القرن الثّالث ومن جاء بعدهم في القرن الـــرّابع . ويـــدلّ على هذا قول ابن فارس (٣٩٥هـــ) وهو ينقل عنه في نصّ لغـــويّ مـــن نصوص التّعاقب: « وذُكِرَ عن رجل يُقال له أبو تراب، ولا نعرفه نحن: بَجَسْتُ الجرح مثل بططته »[3].

---

(١) التّهذيب ٤٦٢/١.

(٢) ينظر: الأنساب ٣٤٣/٧.

(٣) المقاييس ١٩٩/١.

ولهــذا – أيضــاً – ذكــره صاحب « الفهرست »[١] فيمن لا تُعرف أسماؤهم وأخبارهم ولعلّ خمول ذكره ممّا يفسّر الغموض والاضطراب الّذي تقدّم في اسمه.

و في الخـــتام يمكـــن أن نقول: إن اسمه يحتمل الوجهين معاً، أو أحدهما، وهما:

أبو تراب محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرانيّ، كما في « الوافي».

أو أبو تراب إسحاق بن الفرج ، كما يفهم ممّا جاء في « التّهذيب ».

وبهــذا الأخير جزم محقّق المستدرك على التّهذيب، وهو الدّكتور رشيد العــبيديّ، وقــال: « ابــن الفرج هو إسحاق بن الفرج، وهو أبو تراب نفسه صاحب الاعتقاب في اللّغة، ولم يتنبّه محقّقو التّهذيب إلى هذا »[٢].

ورجّحه الدّكتور فؤاد سزكين في « تاريخ التّراث العربيّ »[٣].

مولده ووفاته:

ســكتت المصــادر القليلة الّتي ترجمت لأبي تراب اللّغويّ عن ذكر تاريخ مولــده أو وفاتــه. والحقّ أنّنا لا نطمع في معرفة ذلك مع هذا الغموض الّذي يلفّ اسمــه وتــاريخ حياته بعامّة، فليس لنا إلا التّقدير بالاستعانة ببعض القرائن، كتاريخ وفيــات بعــض شيوخه وتلامذته، فقد روى أبو تراب عن جماعة من العلماء وسمع منهم ، وكلّهم من علماء القرن الثّالث، أو ممّن أدرك القرن الثّالث.

ومن آخر من روى عنهم أبو تراب وفاة:

محمّد بن زياد المعروف بابن الأعرابيّ (ت ٢٣١هـ)

---

(١) ص ٩٢.

(٢) التّهذيب ٥٩/١٦ (الحاشية رقم : ٤).

(٣) المجلد الثامن ٣٤٢/١.

وأبو العميثل الأعرابيّ (ت ٢٤٠هـ)

وأبو محلّم محمّد بن سعيد البغداديّ (ت ٢٤٨هـ).

وشمر بن حمدويه (ت ٢٥٥)

بالإضافة إلى روايته عن بعض الأعراب الّذين استقدمهم ابن طاهر في الثّلث الأوّل من القرن الثّالث.

وبهذا يمكن أن نستنتج أنّ النّشاط اللّغويّ لأبي تراب تركّز في النّصف الأوّل من القرن الثّالث، ويمكن القول: إنّه عاش بين سنتي ٢٠٠هـ و ٢٨٠ تقريباً، أو نقدّر أنّ مولده كان بين سنتي ١٩٠ و ٢٠٠ هـ وأنّ وفاته كانت بين سنتي ٢٧٠ و ٢٨٠هـ.

وقد قدّر الدّكتور فؤاد سزكين وفاة أبي تراب بسنة ٢٧٥هـ[1].

وذكر محقق المستدرك على التهذيب (الجزء السّادس عشر) أنّ أبا تراب توفيّ مطلع القرن الرّابع [2]، وليس لهذا الذي ذكره ما يؤيّده لـمّا تقدّم ذكره، ولقول الأزهريّ بعد أن ذكر طبقة العلماء الّذين فيهم أبو تراب: «ويتلو هذه الطبقة طبقة أخرى أدركناهم في عصرنا» [3].

وهذا يعني أنّه لم يدرك طبقة أبي تراب، ومولد الأزهريّ كان في سنة : (٢٨٢هـ).

موطنه ورحلاته:

يعدّ أبو تراب من أهل خراسان، ولكن لا يُعرف على وجه الدّقّة مكان مولده، فقد يكون في إحدى تلك البلاد، وقد يكون في غيرها، وإن كنت أرى

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي : المجلد الثامن ٣٤١/١.

(٢) ينظر: التّهذيب ٥/١٦.

(٣) التّهذيب ٢٧/١.

أنّ مولــده كــان في نيسابور وهي المدينة الّتي نشأ بها وأخذ عن علمائها كأبي سـعيد الضّـرير الّذي استقدمه إليها ابن طاهر [١]، وأخذ فيها عن الأعراب الرّواة الّذين استقدمهم ابن طاهر – أيضاً.

ثمّ توجّه أبو تراب إلى هراة وهي من المدن الكبيرة الزّاخرة بالعلماء [٢] في خراسان قال الأزهريّ: «ثم رحل إلى هراة فسمع من شمر بعض كتبه».

وقال في موضع آخر: إنّه «كتب عنه شيئاً كثيراً» [٣].

وقد كانت هذه الرّحلة قبل منتصف القرن الثّالث، إذ توفيّ شمر سنة (٢٥٥) وقد لازمه أبو تراب سنين قبل وفاته وكتب عنه شيئاً كثيراً – كما قال الأزهريّ.

ويــبدو أن أبــا تراب استطاب المقام في هراة فبقي فيها زمناً أملى فيه أجزاء من كتابه «الاعتقاب» قبل أن يعود إلى نيسابور، فيكمل إملاء الكتاب هــناك. وفي هذا يقول الأزهريّ: «وأملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء، ثم عاد إلى نيسابور، وأملى باقي الكتاب» [٤].

وتفيد عبارة: «ثمّ عاد إلى نيسابور» أنّ أبا تراب كان فيها قبل قدومه إلى هراة.

ولعله أمضى ما تبقى من حياته هناك في تلك المدينة العامرة.

---

(١) التهذيب ١/٢٤، وإنباه الرواة ١/٧٦.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ٥/٣٩٦.

(٣) التّهذيب ١/٢٦.

(٤) التهذيب ١/٢٦.

الفصل الثاني
حياته العلميّة

يعنينا في حياة أبي تراب العلمية ثلاثة عناصر: شيوخه ، وتلامذته، مؤلفاته، وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل منها:

أوّلاً: شيوخه:

شحّت المصادر الّتي ترجمت لأبي تراب فلم تزوّدنا بكثير من التّفاصيل المهمّة في حياته العامّة كما تقدّم، ولم تزوّدنا - أيضاً - بمعلومات تساعد على التّعرف على أكثر شيوخه الّذين أخذ عنهم علومه ، ولا سيّما في اللّغة ، ومع ذلك أمكن التّعرف على ثلاثة منهم، وهم:

١- أبو سعيد الضّرير اللّغويّ:

وهو أحمد بن خالد المعروف بأبي سعيد الضّرير البغداديّ اللّغويّ [١]، من علماء اللّغة المعروفين في القرن الثّالث،وكان من أهل بغداد،وأخذ فيها عن محمّد بن زياد الأعرابيّ وأبي عمرو الشّيبانيّ، ثم استقدمه ابن طاهر إلى نيسابور [٢] ليستفاد من علمه هناك، فلقي الأعراب الفصحاء الذين استوردهم ابن طاهر نيسابورَ [٣] ، فشافههم وحفظ عنهم فوائد كثيرة أودعها كتبه.

قال ياقوت: « لّما قدم عبد الله بن طاهر نيسابورَ وأقدم معه جماعة من فُرسان طَرَسوس ومَلَطْيَة، وجماعة من أدباء الأعراب منهم: عرّام وأبو العميثل

---

(١) ينظر ترجمته في: التّهذيب ١/٢٤، ومعجم الأدباء ١/٢٥٣، وإنباه الرواة ١/٧٦، وتلخيص ابن مكتوم ١١، ونكت الهميان ٩٦.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٢٤، وإنباه الرواة ١/٧٦.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ١/٢٥٣.

وأبـو العيسجور وأبو العجنّس وعوسجة وأبو العُذافر، وغيرهم فتفرّس أولادُ قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدّبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرّج أبو سعيد الضّرير... فصار إماماً »[١].

وكـان شَـمِر بن حَمْدَوَيه وأبو الهيثم الرازيّ يوثّقان أبا سعيد الضّرير ويثنيان عليه.

وله من التّصانيف في اللّغة والأدب:

١- كتاب النّوادر.

٢- كتاب معاني الشّعر.

٣- كتاب الرّدّ على أبي عبيد في غريب الحديث.

وقـد لازم أبو تراب أبا سعيد سنين طويلة في نيسابور وأخذ عنه كتباً جمـة، وفي ذلـك يقول الأزهريّ: « فأمّا أبو تراب فإنه شاهد أبا سعيد الضّرير سنين كثيرة، وسمع منه كتباً جمّة»[٢]

وكان ينقل عنه ، ويقول : « سمعت أبا سعيد ...»[٣]

ويبدو أنّ أبا تراب تأثّر بشيخه أبي سعيد في ملازمته الأعراب، فأكثر في كتابه « الاعتقاب» من الرواية عنهم، كما سيأتي في الحديث عن مصادره.

وتوفّـي أبو سعيد الضّرير بعد منتصف القرن الثّالث تقريباً، وليس في المصادر التي بين أيدينا ما يُعيّن تاريخ وفاته.

٢- شَمِر بن حَمْدَوَيه الهرويّ:

---

(١) معجم الأدباء ١/٢٥٤.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٣٤، وإنباه الرواة ١/١٤٥.

(٣) التّهذيب ٤/٢٧.

وهـــو أبو عمرو شَمر بن حَمْدَوَيه الهرويّ [١]، كانت له عناية صادقة بالـــلّغة في هراة؛ فاشتهر فيها بعد رحلته إلى العراق في شبابه ولقائه ابن الأعرابيّ وغـــيره من اللّغويّين من أصحاب أبي عمرو الشّيبانيّ وأبي زيد الأنصاريّ ، وأبي عـــبيدة والفرّاء وغيرهم، ثمّ عودته إلى نيسابور، ولقائه أصحاب النَّضِر بن شميل واللّيث بن المظفّر [٢].

ولمّـــا ألقى شمر عصاه بهراة ألّف كتاباً كبيراً في اللّغة جعله على حروف المعجم، وابتدأ بحرف الجيم، فجوّده وأشبعه بالشّواهد والرّوايات الجمّة عن أئمّة الـــلّغة والأعراب، فكتمه ضناً به في حياته، ولم ينسخه طُلابه، فلم يبارك له فيما فعله – كما يقول أصحاب التّراجم [٣] – حتى مضى لسبيله وضاع، ولم يصل منه إلا تفاريقُ في كتب اللّغة نقلها عنه تلامذته.

وكان من هؤلاء التّلامذة أبو تراب اللّغويّ أخذ عنه عند قدومه هراة. قال الأزهريّ: « وكان أبو تراب الّذي ألّف كتاب الاعتقاب قدم هراة مستفيداً من شمر، وكتب عنه شيئاً كثيراً » [٤].

وقد ذكر أبو تراب سماعه عن شمر [٥]، وكان يذاكره ويراجعه ويأنس برأيه كقوله مثلاً: « فذكرته لشمر بن حمدويه، وتبرأت إليه من معرفته...» [٦]

---

(١) مـــن مصادر ترجمته: التّهذيب ١/٢٥، ونزهة الألباء ١٥١، ومعجم الأدباء ٣/١٤٢٠، وإنباه الرواة ٢/٧٧، وإشارة التعيين ١٤١، وبغية الوعاة ٢/٤.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٢٥، وإنباه الرواة ٢/٧٧.

(٣) ينظر: التّهذيب ١/٢٥، ونزهة الألبا ١٥١، ومعجم الأدباء ٣/١٤٢١.

(٤) التّهذيب ١/٢٦، وإنباه الرواة ٤/١٠٣.

(٥) ينظر: التّهذيب ٤/٢٧.

(٦) ينظر: التّهذيب ٣/٢٦٢ ، ٢٦٣.

وكانت وفاة شمر بن حمدويه في سنة ٢٥٥هـ.

٣- أبو الوَازع الخراساني:

وهو محمّد بن عبد الخالق أبو الوازع الخراسانيّ اللّغويّ النّحويّ[١]، من علماء القرن الثالث.

قال القفطيّ: « كان عالماً بالنّحو والغريب ، صادقاً فيما يروي، روى عنه أبو تراب وغيره، وروى أبو[٢] الوازع نوادر الأعراب الذين كانوا مع ابن طاهر بنيسابور، وجمعها ورويت عنه »[٣]

وروى عـــنه أبو تراب في كتابه « الاعتقاب » فيما نقله الأزهريّ[٤]، وابن منظور[٥]

ولأبي الـــوازع كتاب « نوادر الأعراب » ولعلّ أبا تراب اطّلع عليه، وأفاد منه، وقد نقل الأزهريّ عن هذا الكتاب نقولاً كثيرة[٦].

ثانياً: تلامذته:

لم أعرف من تلامذة أبي تراب سوى اثنين ، وهما:

١- الخارْزَنجي البُشْتيّ:

---

(١) من مصادر ترجمته: إنباه الرواة ١٦٨/٣، وتلخيص ابن مكتوم ٢١٩.

(٢) في إنباه الرواة ١٦٨/٣: ابن ، ولعله سهو أو تحريف .

(٣) إنباه الرواة ١٦٨/٣.

(٤) ينظر: التّهذيب

(٥) ينظر: اللسان (ندش) ٣٥٢/٦.

(٦) يـــنظر: التّهذيب ٢٦/١، ٩٨، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٨٧، ٣٥٩، ١١/٢/٢، ٦٣، ١٧٥، ١٥٤/٣.

وهو أبو حامد أحمد بن محمّد الخارْزَنجي البُشتّي [١]، من علماء اللّغة والأدب المشهورين في أواخر القرن الثّالث ومطلع القرن الرّابع في مدينة نيسابور موطن أبي تراب، وله من المصنّفات: «تكملة كتاب العين» وهو أشهر كتبه و«كتاب التّفصلة» وكتاب «تفسير أبيات أدب الكاتب»

أخذ الخارْزَنجيّ العربيّة عن جماعة من علماء زمانه في نيسابور، ومنهم أبو تراب اللغوي، وعنه نقل الخارزنجي في كتابه «التكملة» وذكره في مقدّمته الّتي اقتبس منها الأزهريّ [٢].

وأشار إلى ذلك الصّاحب بن عبّاد في «المحيط في اللّغة» [٣].

وتوفّي أبو حامد الخارْزَنجيّ في رجب سنة ٣٤٨هـ.

٢- ابن حَمَّوَيه:

وهو أحمد بن عليّ بن حَمَّوَيه النيسابوريّ النحويّ، ذكره الحافظ ابن البيِّع في تاريخه، وسمّاه النّحويّ، وأوجز القول في ترجمته [٤]، ولم أعرف تاريخ وفاته.

سمع من أبي تراب ألفاظاً في غريب اللغة، و أخذ عنه. قال الأزهري: «أخبرني المنذري عن ابن حَمَّوَيه قال: سمعت أبا تراب يقول: كتب أبو محلّم إلى رجل:

---

(١) من مصادر ترجمته: التّهذيب ٣٢/١، والأنساب ١٢/٥، ومعجم الأدباء ٤٦١/١، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٧/١، وبغية الوعاة ٣٨٨/١.

(٢) ينظر: التّهذيب ٣٣/١، ٣٤، ٣٥، وإنباه الرواة ١٤٢/١ - ١٤٥، واللسان (ثعثع) ١٢/ ٤٠.

(٣) ٦٤/٣.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ١٢٥/١، وتلخيص ابن مكتوم ١٥، وبغية الوعاة ٣٤٠/١.

اشتر لنا جَرَّة ولتكن غير قَعْراء ولا دَنّاء ولا مُطربلة ... »[١].

ثالثاً: مؤلّفاته:

تفيد المصادر بأنّ لأبي تراب كتابين في اللّغة ، وهما:

١- الاعتقاب:

وهــو هذا الكتاب الّذي نعنى به في هذه الدّراسة، وسيأتي الحديث عنه مفصّلاً في الباب الثّاني من هذا القسم من الدّراسة.

٢- الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل:

اســتدرك فيه أبو تراب على الخليل بن أحمد في معجم العين، وخطّأه في أمــاكن، وزاد مــا رأى أنّ الخليل نقصه من اللّغة في أبوابه، ونقص ما رأى أنّ الخليل زاده في غير بابه، وهذّب ذلك تهذيباً « زعم أنّه الصّواب »[٢].

والكــتاب مفقود، فلا يمكن الحكم عليه ، ولكن يبدو أنّ أبا تراب ألّفه في شبابه، فاندفع في الاستدراك والتّخطئة، فأثار معاصريه من اللّغويّين ومن جاء بعدهــم، فــردّ عليه جماعة منهم[٣]، ونقضوا عليه ما استدركه[٤]، وانتصروا للخليل.

---

(١) ينظر: التّهذيب ٥٧/١٤.

(٢) إنباه الرواة ١٠٢/٤، ١٠٣، وينظر: المعجم العربي ٢٩٨.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ١٠٢/٤.

(٤) ينظر: الفهرست ١٢٤.

الباب الثّاني
كتاب الاعتقاب

تمهيد: التّعاقب وما أُلّف فيه

التّعاقب في اللّغة بمعنى التّتابع، وهو مصدر قولك تعاقب اللّيل والنّهار؛ أي: أتى أحدهما عقب الآخر[1].

ويراد به في الاصطلاح: اللّفظان المتّفقان في المعنى المرويّان بوجهين بينهما اختلاف في حرف واحد، كقضم وخضم، وجاسَ وحاسَ، ونَبأَ ونَتأَ، ويُسمّى أيضاً « الاعتقاب »[2].

وهو الّذي اشتهر عند علماء اللّغة بمصطلح « الإبدال اللّغويّ » وهو يختلف عن « الإبدال الصّرفيّ » فهو – أي: الإبدال اللغويّ – شائع وغير لازم ويقع في أكثر الحروف، وجمعها بعضهم في قوله: لِجَدٍّ صَرْفُ شَكِسٍ آمنٍ طيَّ ثوب عزته[3]. وقيل إنه يقع في حروف الهجاء جميعاً [4]، بخلاف الإبدال الصّرفيّ، فهو شائع لازم، ويقع فيه التّبادل بين حروف مخصوصة لعلّة تصريفيّة، وحروفه مجموعة في قولك: طويت دائماً[5]، ويزيدها بعضهم ويجمعها في قوله: أُجُدٌ طُوِيَتْ منهلا[6]، أو أنجدته يوم طال[7].

---

(١) ينظر: شرح الشافية للرضى ١٩٩/٣.

(٢) ينظر: المفصل ٣٦٠، وشرح المفصل ٧/١٠.

(٣) ينظر: التسهيل ٣٠٠.

(٤) ينظر: الأمالي للقالي ١٨٦/٢، والمزهر ٤٧٤/١، وظاهرة الإبدال اللغوي ٦٠.

(٥) ينظر: التسهيل ٣٠٠.

(٦) ينظر: الممتع ٣١٩/١.

(٧) ينظر: التتمة في التصريف ٩٩.

وهذا – أي الإبدال الصّرفيّ – نوعان أحدهما إبدال من أجل الإدغام، كـــإبدال لام التّعريف وإدغامها في بعض الحروف كالنّون والرّاء والدّال والتّاء مثلاً، وكالإدغام في اسَّمَعَ، وأصلها: استمع.

والآخـــر: الإبـــدال لغيرالإدغام، وهو المراد عند إطلاق المصطلح عند الصّـــرفيّين، كـــإبدال تاء الافتعال طاء إذا وقعت بعد الصّاد في قولك اصطفى واصطبر واصطحب.

أمـــا الإبـــدال اللّغويّ فهو أعم، إذ يشمل الإبدال الصرفي وغيره من اللغات، مما لا يلزم فيه الإبدال كما تقدم، وقد ألّفَ فيه جماعة من علماء العربيّة محـــاولين حصر ألفاظه على الطّريقة المعجميّة الّتي تقوم أساساً على جمع الألفاظ وتبويبها وشرحها ، وأكثرهم لا يشترط في الإبدال أو التعاقب تقارب المخارج بـــين الحروف المبدلة، كما يفهم من صنيع ابن مالك في كتابه «وفاق المفهوم» وأبي تراب في «الاعتقاب». ومؤلّفاتهم الّتي وصلت إلينا أو بلغنا ذكرها في هذا الفنّ هي على النّحو التّالي:

١– الإبدال:

لأبي عبيدة معمر بن المثنّى [١] (٢٠٩هـ) وهو مفقود.

٢– القلب والإبدال:

للأصمعيّ [٢] (٢١٤هـ) وهو مفقود، نقل عنه القالي كثيراً [٣].

٣– القلب والإبدال:

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٧٠٨.

(٢) ينظر: الفهرست ٦١، وبغية الوعاة ٢/١١٣.

(٣) ينظر: الأمالي ٢/٢٣، ٣٤، ٤١، ٧٨، ٩٧.

لابــن السّكّيت (٢٤٤هـ) وقد طبع مرتين إحداهما سنة (١٩٠٣م) بعناية أوغست هفنر والأخرى سنة (١٣٩٨هـ) بتحقيق الدّكتور حسين محمّد شرف، وسمّاه «الإبدال».

٤- الاعتقاب:

لأبي تراب (ت ٢٧٠ - ٢٨٠هـ تقريباً) وسيأتي الحديث عنه.

٥- الإبدال والمعاقبة والنّظائر:

لــلزّجّاجيّ (٣٤٠هـ) نشر سنة (١٣٨١هـ) بتحقيق الأستاذ عزّ الدّين التنوخيّ.

٦- الإبدال:

لأبي الطّيّــب اللّغويّ (٣٥١هـ) نشر سنة (١٣٧٩هـ) بتحقيق عزّ الدّين التّنوخيّ.

٧- وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم:

لابــن مالك (٦٧٢هـ) وموضوعه الاعتقاب أو الإبدال اللّغويّ، وحقّق الكــتاب في الجامعــة الإسلاميّة سنة ١٤٠٥هـ ونشر في المدينة سنة ١٤٠٩هـ بتحقيق بدر الزّمان محمّد شفيع النّيباليّ.

٨- وفاق الاستعمال في الإعجام والإهمال:

لابــن مالك (٦٧٢هـ) وهو رسالة صغيرة في الاعتقاب، ولعلّه مختصر مــن كــتاب «وفاق المفهوم» المتقدّم ذكره، وله نسخة خطّيّة في مكتبة شهيد علي باشا ٢٦٧٧/٢.

* * *

ويـــلحق بهذه المؤلفات ما كتب من أبواب الإبدال في بعض المصنّفات اللّغويّة أو الأدبيّة مثل أمالي القالي والمخصّص لابن سيده والمزهر للسّيوطيّ.

أمـــا كـــتاب ابن جنّي « التّعاقب » الّذي أشار إليه في بعض كتبه [١] فليس من هذا الباب الّذي نحن فيه، بل هو في البدل والعوض. قال السّيوطيّ : « وقـــد ألّـــف ابن جنّي كتاب التّعاقب في أقسام البدل والمبدل منه، والعِوَض والمعـــوّض مـــنه وقال في أوّله: اعلم أنّ كلّ واحد من ضَرْبَيِ التّعاقب – وهما الـــبدل والعـــوَض – قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه، وربّما امتاز أحدهما بالموضع دونَ رَسِيلِه، إلا أنّ البدل أعمّ استعمالاً من العِوَض » [٢].

(١) ينظر : الخصائص ١/٢٦٤ ، والخاطريات ٦٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/٢٦٨ .

الفصل الأوّل
مادّة الكتاب ومنهجه

جمعت في هذه الدّراسة مادّة وافرة من نصوص كتاب «الاعتقاب» لأبي تراب تمثّل جزءاً كبيراً من الكتاب، وقد بلغت خمسة وسبعين وثلاثمائة نصّ، هي في الجملة من نصوص الإبدال اللّغويّ بمفهومه العامّ، وقليل منها من النّصوص اللّغويّة كالنّوادر والفوائد واللّغات، وذلك على الوجه التّالي:

أ- خمسة وأربعون وثلاثمائة نص من نصوص الاعتقاب (الإبدال)

ب- ثلاثون نصاً من النصّوص اللّغويّة الأخرى.

وهذه النّصوص جميعها مفرّقة بين أكثر حروف الهجاء، ولا ندري كيف رتّبها أبو تراب، لأنّ النّصوص المجموعة من التّهذيب وغيره لا تعطي صورة كاملة ودقيقة لمنهج الكتاب إلا أنّ المؤكّد أنّه رتّبه على أبواب الاعتقاب في الحروف، وقد عرفنا من هذه الأبواب ممّا أشار إليه الأزهريّ الأبواب التّالية:

١- باب اعتقاب الباء والذّال [١].

٢- باب ما تعاقب من حرفي الصّاد والطّاء [٢].

٣- باب ما تعاقب فيه الدال والباء [٣].

٤- باب التّاء والميم [٤].

---

(١) التّهذيب ٢١٠/١٦.

(٢) التهذيب ٢٩٥/١١.

(٣) التّهذيب ٧٠/١٤.

(٤) التّهذيب ٢٥٩/٩.

٥- باب الحاء والكاف [١].

٦- باب الميم والباء [٢].

٧- باب الكاف والجيم [٣].

٨- باب الجيم والحاء [٤].

٩- باب الجيم والخاء [٥].

١٠- باب الشّين والسّين [٦].

١١- باب الظّاء والزّاي [٧].

١٢- باب الكاف والتّاء [٨].

١٣- باب الصّاد والفاء [٩].

١٤- باب العين والحاء [١٠].

---

(١) التّهذيب ٤/٣١١.

(٢) التّهذيب ١١/٢٤٤.

(٣) التّهذيب ١/٣٨٧.

(٤) التّهذيب ١١/٨.

(٥) التّهذيب ١١/٨.

(٦) التّهذيب ٣/٣٩٥.

(٧) التهذيب١٢/١٤٠.

(٨) التّهذيب ٩/٤٢٥.

(٩) التّهذيب ١٥/٥٧٣.

(١٠) التّهذيب ٤/١١٠.

وهـــذه الأبواب لا تدلّ على طريقة ثابتة له في التّرتيب، فهو قد يقدّم الحـــرف السّابق في الهجاء من الحرفين في تسمية بعض الأبواب نحو: باب الباء والذّال مثلاً، وقد يقدّم المتأخّر نحو: باب الميم والباء.

ولّمـــا خفـــي ذلك رأيت أن ألتزم طريقة واحدة فيما جمعته من نصوص الكـــتاب لأسباب ذكرهما بين يدي القسم الثاني، ولأنّها توافق طريقة أبي الطّيّب الـــلّغويّ في كتاب « الإبدال » ولا يستبعد أن يكون أبو الطّيّب متأثّراً في كتابه بطريقة أبي تراب في كتاب « الاعتقاب ».

وفـــيما يـــلي أبـــواب الاعتقاب بحسب التّرتيب، الّذي آمل أن يوافق ترتيب أبي تراب، أو أن يكون قريباً منه، وما في هذه الأبواب من نصوص لغويّة مجموعة.

١- أبواب اعتقاب الهمزة

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الهمزة والتّاء	١
الهمزة والعين	٣
الهمزة والغين	١
الهمزة والميم	١
الهمزة والواو	١
الهمزة والألف	١
الهمزة والياء	١

٢- أبواب اعتقاب الباء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الباء والتّاء	٢
الباء والثّاء	١
الباء والحاء	٢

الباء والحاء والنّون	١
الباء والدّال	٣
الباء والذّال	١
الباء والسّين	١
الباء والسّين واللام	١
الباء والشّين	١
الباء والصّاد	١
الباء والطّاء	٢
الباء والعين	١
الباء والفاء	٤
الباء والقاف	١
الباء واللام	٤
الباء والميم	٥
الباء والنّون	١
الباء والياء	١

٣- أبواب اعتقاب التّاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الوادرة فيه
التّاء والطّاء	١
التّاء والفاء	١
التّاء والكاف	٢

التّاء والميم	١

٤- أبواب اعتقاب الثّاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الثّاء والذّال	٣
الثّاء والسّين	١
الثّاء والشّين	١
الثّاء والفاء	٦
الثّاء والهاء	١

٥- أبواب اعتقاب الجيم:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الجيم والحاء	٢
الجيم والخاء	٤
الجيم والدّال والشّين	١
الجيم والزّاي	١
الجيم والعين واللام	١
الجيم والكاف	٢

٦- أبواب اعتقاب الحاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه

الحاء والخاء	٥
الحاء والرّاء	١
الحاء والسّين	١
الحاء والسّين واللام	٢
الحاء والعين	٣
الحاء والكاف	١

٧- أبواب اعتقاب الخاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الخاء والهاء	٢

٨- أبواب اعتقاب الدّال:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الدّال والذّال	٢

٩-أبواب اعتقاب الذّال:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الذّال والزّاي	١
الذّال والضّاد	١

١٠- أبواب اعتقاب الرّاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الرّاء واللام	١١

الرّاء والميم	٥
الرّاء والنّون	٧
الرّاء والهاء	٣
الرّاء والواو	١
الرّاء والألف اللّيّنة	١

١١- أبواب اعتقاب الزاي:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الزّاي والسّين	٢
الزّاي والسّين والصّاد	١
الزّاي والشّين	١
الزّاي والضّاد	٤
الزّاي والظّاء	١
الزّاي والفاء	١
الزّاي والقاف	١
الزّاي واللام	٢

١٢- أبواب اعتقاب السّين:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
السّين والشّين	١٥

السّين والشّين والباء	١
السّين والصّاد	٦
السّين والطّاء	١
السّين والعين	٢
السّين والفاء	١
السّين والقاف	٤
السّين والكاف	٢
السّين واللام	٢
السّين والميم	٢
السّين والهاء	١

١٣- أبواب اعتقاب الشّين:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الشّين والصّاد	١
الشّين والغين	٢
الشّين والفاء	٣
الشّين واللام	١
الشّين والنّون	١

١٤- أبواب اعتقاب الصّاد:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه

الصّاد والضّاد	٣
الصّاد والطّاء	٤
الصّاد والفاء	٢
الصّاد والقاف	١
الصّاد والكاف	١
الصّاد واللام	١
الصّاد والهاء	١

١٥- أبواب اعتقاب الضّاد:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الضّاد والطّاء	٣
الضّاد والظّاء	٢
الضّاد والعين	٢
الضّاد والغين	١
الضّاد والفاء	١
الضّاد والكاف	١
الضّاد واللام	٣

١٦- أبواب اعتقاب الطّاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الطّاء والظّاء	٣

الطّاء والعين	١
الطّاء والغين	١
الطّاء والقاف	٥
الطّاء واللام	٣
الطّاء والنّون	١

١٧- أبواب اعتقاب الظاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الظّاء والعين	١
الظّاء واللام	١

١٨- أبواب اعتقاب العين:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
العين والغين	١٤
العين والفاء	٤
العين والقاف	٦
العين والكاف	١
العين واللام	٥
العين والنّون	٢

العين والهاء	٤

١٩- أبواب اعتقاب الغين:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الغين والقاف	٢
الغين والكاف	٣
الغين والهاء	٢

٢٠- أبواب اعتقاب الفاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الفاء والقاف	١
الفاء والكاف	٥
الفاء واللام	٢
الفاء والميم	٤
الفاء والهاء	٢

٢١- أبواب اعتقاب القاف:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
القاف والكاف	١١
القاف واللام	٢
القاف والميم	٢
القاف والنّون	١
القاف والهاء	٢

٢٢- أبواب اعتقاب الكاف:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الكاف واللام	١
الكاف والميم	١
الكاف والنّون	١
الكاف والهاء	١

٢٣- أبواب اعتقاب اللام:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
اللام والميم	٢
اللام والنّون	١٠
اللام والواو	٢
اللام والياء	٢

٢٤- أبواب اعتقاب الميم:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الميم والنّون	١١
الميم والهاء	٣
الميم والواو	٢

٢٥- أبواب اعتقاب النّون:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
النّون والهاء	١
النّون والواو	٢
النّون والياء	٢

٢٦- أبواب اعتقاب الواو:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الواو والياء	٤

٢٧- أبواب اعتقاب الياء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الياء والألف اللّيّنة	١

٢٨- أبواب أخرى:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الاعتقاب في حروف مختلفة	٧
الفوائد والنّوادر	٣٠

تحليل النصوص:

نستنتج من هذه الأبواب ما يلي

أ- أن الاعـــتقاب (الإبـــدال) في كتاب أبي تراب يقع بين الحروف مـــتقاربة المخارج كالباء والفاء مثلاً، ويقع بين الحروف متباعدة المخارج كالباء والقـــاف مـــثلاً، وهذا يوافق ما جاء في كتاب « الإبدال » لأبي الطّيّب ويوافق مذهب من لا يشترط تقارب الحرفين في الإبدال.

ب- أكثر أبواب الاعتقاب نصوصاً هي: باب السّين والشّين ويليه باب العـــين والغـــين ثم باب الرّاء واللام وباب القاف والكاف وباب الميم والنّون، وهـــذه الثّلاثة الأخيرة متساوية النّصوص . أما باب « الفوائد والنّوادر » وهو الباب الأخير في القسم الثّاني فليس من أبواب الاعتقاب وفيه ثلاثون نصاً.

جـــ- كثير من الأبواب ليس فيه سوى نصّ واحد.

د- أكـــثر الأبواب ثنائيةُ التعاقب؛ أي أنّ التّعاقب فيها بين حرفين في كلمتين ، وقليل منها ثلاثيّ، أي أنّ التّعاقب بين ثلاثة أحرف في ثلاث كلمات، نحو « باب اعتقاب الحاء والجيم والدّال » مثلاً.

ويتبيّن من دراسة النصوص أنّ التّعاقب (الإبدال) يقع بكثرة بين حرفين أصليّين في الكلمتين المتعاقبتين، ويقع نادراً في الحروف الزّائدة في الكلمتين.

ويكثر التّعاقب في الأصول الثُّلاثيّة ويقلّ في الأصول الرّباعيّة.

ويتبيّن أيضاً أنّ وقوع التّعاقب يكثر في الثّلاثيّ بين اللام واللام في جذر الكـــلمة، ويليه الفاء والفاء ثمّ العين والعين، ويتّضح ذلك بالأرقام على النحو التّالي:

أ- بلغت نصوص التّعاقب بين الحروف الأصول أحد وأربعين وثلاثمائة نصّ. أمّا التّعاقب في الزّوائد فجاء في أربعة نصوص فحسب. أمّا باقي النصّوص – وهـــي ثلاثـــون نصاً جاءت في باب الفوائد والنّوادر – فليست من أبواب الاعتقاب.

ب- بـــلغت نصـــوص التّعاقب في الأصول الثّلاثيّة أربعة وثلاثمائة نصّ وأمّا الأصول الرّباعيّة فهي سبعة وثلاثون نصاً.

جـــ- جاء التّعاقب في جذور الكلمات الثّلاثيّة على النّحو التّالي:

تعاقب الفاء والفاء: عشرة ومائة نص (١١٠)

تعاقب العين والعين: أربعة وسبعون نصاً (٧٤)

تعاقب اللام واللام: عشرون ومائة نص (١٢٠)

د- جاء التعاقب في جذور الكلمات الرّباعيّة على النّحو التالي:

تعاقب الفاء والفاء: تسعة نصوص (٩)

تعاقب العين و العين: عشرة نصوص (١٠)

تعاقب اللام الأولى واللام الأولى: ثمانية نصوص (٨)

تعاقب اللام الثّانية واللام الثّانية: تسعة نصوص (٩)

نقد النصوص:

وبالتدقيق في هذه النصوص التي بين أيدينا من «كتاب الاعتقاب» نخرج بالملحوظات الآتية:

أولاً: إنّ عدداً من هذه النصوص ليس من «الاعتقاب» بمفهومه الاصطلاحي؛ كالفوائد، والنوادر، واللغات، وأقوال العلماء والرواة، وأشعار العرب، ولهذا وضعتها في باب مستقل في ذيل القسم الثاني، من هذا البحث، ولا سبيل إلى حذف هذه النصوص؛ لأنها من كتاب « الاعتقاب ».

ثانياً: إذا كان التعاقب هو ورود لفظين مُتفقين في المعنى، مرويين بوجهين بينهما اختلاف في حرف واحد، كما تقدم [١]؛ فإن ثمة نصوصاً أدرجها أبو تراب في كتابه «الاعتقاب» روي فيها اللفظان بوجهين بينهما اختلاف في أكثر من حرفين في الكلمتين، ومن ذلك:

أ- قال في اعتقاب الدال والذال: « جَدَفَتِ السماءُ بالثلج، وخَذَفَتْ تَجْدِفُ وتَخْذِفُ، إذا رَمَتْ به» [٢].

والاختلاف بين اللفظين في أكثر من حرف ولعل فيه تصحيفاً لم أتبينه.

ب- قال في باب الاعتقاب في حروف مختلفة: « مَرَطَ فلان فلاناً، وهرده، إذا آذاه » [٣].

ج- وقال:« بَجَستُ الجرح مثل بَطَطْتُهُ » [٤].

---

(١) ينظر ص ٣٨٢ من هذا البحث .

(٢) ينظر الفقرة (٦٢) من هذا البحث.

(٣) ينظر الفقرة (٣٤٤).

(٤) ينظر الفقرة (٣٤٥).

ثالثاً: قد يذكر أبو تراب نصوصاً في الاعتقاب لا يتفق المعنى فيها بين اللفظين، ومن ذلك:

أ- قال في اعتقاب الفاء والميم : «غلام أُملودٌ وأُفلوذٌ ، إذا كان تامّاً محتلماً شَطْباً» [1].

والاختلاف بين اللفظين -هنا- في أكثر من حرف، وقد يكون فيهما تصحيف.

ب- ذكر أبو تراب أنّ اللّبأ : جلود صغار المعزى، وأنّ اللّيأ : نبات من اليمن[2] ، ووواضح أنه لاتعاقب بين اللفظين ، فلكلّ منهما معنى ليس في الآخر.

ج- ذكر أن القندأو : القصير من الرجال، والسِّندأو : الفسيح من الإبل[3] ، والمعنيان مختلفان.

د- ذكر وصفاً للجُعَل في أبيات ، جمع فيها صاحبها بين الراء واللام في القافية ، كالطير والليل[4] ؛ وليس فيهما تعاقب، إلا إذا تُوُسِّع في مفهوم الاعتقاب.

رابعاً: ثَمَّةَ نصوص أدرجها أبو تراب في كتابه «الاعتقاب» دون أن يتضح فيها اتحاد الدلالة بين الصيغتين، وقد يكون ما قدّر أنه من التعاقب هو من الإتباع ، ومن ذلك:

---

(١) ينظر الفقرة (٢٧٢).

(٢) ينظر الفقرة (٤٢).

(٣) ينظر الفقرة (١٥٩).

(٤) ينظر الفقرة (١٠٠)

أ- ذكر في باب الجيم والخاء: المَرِيخ والمَرِيج[١]، ولم يَتَّضِح اتحاد الدلالة بينهما، وقد يكون من قبيل الإتباع.

ب- ذكــر في بــاب الجيم واللام ثلاث صيغ ، وهي : جِبْس وعِبْس ولِــبْس[٢]، وهــذا من باب الإتباع، كما نصّ على ذلك أبو تراب نفسه بلفظ صــريح، والإتباع غير الاعتقاب، إلا أنه من نظائر الاعتقاب أو الإبدال، ولذا ذكره أبو تراب في كتابه.

ج- ذكــر في باب الراء واللام عُلْجُوماً وعُرجُوماً[٣]، ولم يَتَّضح اتّحاد الدلالة فيهما، وقد يكون ذلك إتباعاً.

خامســاً: هناك نصوص لا يتقارب فيها مخرجا الحرفين المتعاقبين، وتقارب المخرجين شرط في التعاقب أو الإبدال عند بعض العلماء، وليس شرطاً عند بعضهم، كما تقدم، ولعلّ منهم أبا تراب، ومن ذلك:

أ- زَمَــجَ بَيْنَ القوم، وزَأَج؛ إذا حَرّش بينهم[٤]. ومخرجا الميم والهمزة متباعدان، فأحدهما شفوي والآخر حلقي.

ب- كــان حَصِــيص القوم وبصيصهم كذا، أي: عددهم[٥]. والتباعد بين مخرجي الحاء والباء واضح.

---

(١) ينظر الفقرة (٦٥).

(٢) ينظر الفقرة (٦٨).

(٣) ينظر الفقرة (٩٥).

(٤) ينظر الفقرة (٦).

(٥) ينظر الفقرة (١٣).

ج- تَسَقَّطْتُ الخبرَ وتَبَقَّطتُه؛ إذا أخذته شيئاً بعد شيء قليلاً قليلاً[1].

د- يقال: الغَطَشُ والغَبَشُ واحد[2].

هـ - يقال: كَمَعَ الفرسُ والرَّجُلُ والبعيرُ في الماء، وكَرَعَ، ومعناهما شرع[3].

و- المِهْزامُ عصا قصيرة، وهي المِرْزام[4].

ز- زَأَبْتُ وقَأَبْتُ؛ أي: شَرِبتُ[5].

ح- تَنَطَّعَ في الكلام وتَنَطَّسَ؛ إذا تأنّق فيه[6].

سادساً: قد يذكر أبو تراب مادّة الاعتقاب، ثُمّ يستطرد مورداً ما ليس من الاعتقاب ، ومن ذلك :

أ- قال بعد أن ذكر الاعتقاب بين مادّتي رَجَعَ ونَجَعَ : « والتّرجيع في الأذان أن يكرّر قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أنّ محمداً رسول الله .

ورَجْع الوَشْم والنُّقوش وترجيعه : أن يُعاد عليه السّواد مرة بعد أخرى[7] ».

ب- ذكر الاعتقاب بين صيغتي لَفَأَهُ ولَكَأَهُ، ثم استطرد مورداً شيئاً من الأضداد.

---

(١) ينظر الفقرة (٢٠).

(٢) ينظر الفقرة (٢٥).

(٣) ينظر الفقرة (١٠٤).

(٤) ينظر الفقرة (١١٤).

(٥) ينظر الفقرة (١٢٨).

(٦) ينظر الفقرة (١٥٥).

(٧) ينظر الفقرة (١٠٦).

ج- ذكـــر التعاقب بين قولهم :سبحتُ في الأرض، وسبختُ فيها، إذا تباعدت فيها.[١] ثم استطرد مورداً بعضاً من معاني سَبَحَ.

ولـــو أردنا أن نتتبع أمثال هذه الهنات لوجدنا الكثير، وحسبنا ما أشرنا إليهَ، وللناظر في هذه النصوص أن يحسن الظّنّ بأبي تراب ، فلا يتّهمه بأنّ مفهوم الاعـــتقاب (الإبدال)لم يكن ناضجاً عنده، وله أن يقول:إن أبا تراب توسّع فيه، شـــأنه في ذلك شأن كثير من العلماء في تلك المرحلة المُبَكّرة من تاريخ العربية، الذيـــن لم يلـــتزموا بعـــناوين مصنفاهم التزاماً دقيقاً، بل توسعوا في المضامين ؛ لنزوعهـــم إلى الاستفاضـــة في جمـــع المادة اللغوية. ومرحلة جمع اللغة من أفواه الرواة، وتدوينها في المصادر قد تغفر لهم كثيراً مما قد يُعَدُّ خللا علمياً أو منهجياً بمفهومنا اليوم.

ولنا في كثير من المصنفات اللغوية شواهد على هذا التَّوجيه، وحسبنا أن نطالع كتاب « الإبدال»[٢] لابن السِّكِّيت ، ففيه مواد ليست من الإبدال؛ ومن أبرزها ما جاء في بابَيْ : «ماتزاد فيه الميم »[٣] و « ما تزاد فيه النون »[٤] وليس فيهما شيء من الإبدال .

---

(١) ينظر الفقرة (٦٢).

(٢) طـــبع هذا الكتاب مرتين ، أولاهما تحت عنوان « القلب والإبدال» بعناية أوقست هفنر، والثانية تحت عنوان «الإبدال» بتحقيق الدكور حسين محمد محمد شرف.

(٣) ينظر الإبدال ١٤٧.

(٤) ينظر الإبدال ١٤٩

ودَغْكُــمْ مما في كتب الأصمعي وأبي عُبيدة مَعْمَر بن المثــنّى وأبي زيد الأنصــاري، وأمّا ما في كتاب « الجمهرة » لابن دريد مما لاسبيل إليه في معجم من معاجم الألفاظ فشيء كثير[1].

وقد جاؤونا ـــ من حيث نحسب أنهم أساؤوا ـــ بفوائد وطرائف ولطائف نفيسة كانت عرضة للضياع؛ فرحمهم الله جميعاً، ورضي عنهم، وغفر لهم زلاتهم.

(١) ينظر ما جاء في أبواب النوادر في كتاب الجمهرة ٣/١٢٧٤-١٣٣٩.

الفصل الثّاني: مصادره

تنوّعت مصادر أبي تراب في كتابه « الاعتقاب » وفق النّصوص المتاحة لنا من هذا الكتاب، وقد تردّد في النّصوص الّتي جمعتها من هذا الكتاب عدد وافر من أسماء العلماء والرّواة من الأعراب الفصحاء.

ويمكن تصنيف مصادر أبي تراب في النّصوص المتاحة لنا من كتاب الاعتقاب على صنفين رئيسين:

أ- علماء اللّغة.

ب- الأعراب الرّواة.

أولاً: علماء اللّغة:

وهم من الّذين عاشوا في القرنين الثّاني والثّالث، وهم فريقان:

أ- فريق لم يدركهم أبو تراب، أو أدركهم ولم يلتقِ منهم أحداً، وهؤلاء روى عنهم أبوتراب بالواسطة أو بالنّقل من كتبهم.

ب- فريق أدركهم أبو تراب، والتقاهم [1] وسمع منهم.

وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً: من روى عنهم أبو تراب بالواسطة، أو بالنّقل من كتبهم :

١- أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) روى عنه أبو تراب في ثمانية عشر موضعاً [2] .

---

(١) الفعل « التقى» يتعدى بنفسه، وشاع عند بعض المتأخرين تعديته بحرف الجر، فيقولون: التقى به.

(٢) ينظر: التّهذيب ١٤١/١، ٣١٧، ٣٨٢، ٣١٠/٣، ٢٤٠/٤، ٢٢٢، ٣١١، ٣٣٧/٥، ٨/ ٤٢٥،٣١١،٣٠٧، ١٠، ١٠، ١٢٢، ٣٣١، ٤٢٢/١٢، ٨٢/١٤، ٥٩/١٦، ١٧١، ٢٠٥.

٢- الخـــليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـــ) نقل عنه في سبعة مواضع [١]، ولا أدري هـــل أخـــذ أبو تراب من كتاب العين مباشرة، أو أنّه نقل عنه بالواسطة.

٣- الـــمُفَضَّل بن محمّد الضّبّي الكوفيّ (١٧٨هـــ) نقل عنه في موضع واحد [٢].

٤- أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائيّ (١٨٩هـــ) نقل عنه أبو تراب في خمسة مواضع [٣].

٥- أبـــو فيد مؤرّج بن عمرو السّدوسيّ (١٩٥هـــ) نقل عنه في ثلاثة مواضع [٤].

٦- أبـــو محمّد يحيى بن المبارك اليزيديّ (٢٠٢هـــ) نقل عنه في موضع واحد [٥].

٧- النّضـــر بـــن شميل المازنيّ (٢٠٤هـــ) نقل عنه أبو تراب في أربعة مواضع [٦].

---

(١) ينظر: التّهذيب ١/٧١، ٢/١٣١، ٣٣٣، ٥/٢٩٤، ١١/٣١٩، ١٢/١٦٦، والصحاح (كمل) ٥/١٨١٣.

(٢) ينظر: التّهذيب ٤/٩٣.

(٣) ينظر: التّهذيب ١/١٤١، ٤/٤٤١، ٧/٥١٥، ١٢/١٩٤، ١٦/٢٠٥.

(٤) ينظر: التّهذيب ٢/٣٧، ١٠/٦٢٤، ١١/٢٤٤.

(٥) ينظر: التّهذيب ٥/٢٩٤.

(٦) ينظر: التّهذيب ١/١٢٩، ٥/٣٨٦، ٦/٤٩٦، ١٤/٢٩٦.

٨- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشّيبانيّ (٢٠٦هـ) نقل عنه في موضع واحد [(١)].

٩- أبــو زكــريا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧هـ) نقل عنه في عشرة مواضع [(٢)].

١٠- أبو عبيدة معمر بن المثنّى (٢٠٩هـ) نقل عنه في موضعين [(٣)].

١١- أبــو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعيّ (٢١٤هـ) نقل عنه أبو تراب في واحد وخمسين موضعاً [(٤)].

١٢- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاريّ (٢١٥هـ) نقل عنه في سبعة مواضع[(٥)].

---

(١) ينظر: التّهذيب ٢٢٧/١٣.

(٢)ينظر: التّهذيب ٣٣٤/١، ٣٩٥/٣، ٢٣٧/٦، ٤٣/٧، ١٨٢، ٣٧٣/٨، ٣٩٢/٩، ٥٥٢/١٠، ١١/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) ينظر: التّهذيب ٣١١/٩، ٣٥٥/١٢.

(٤) ينظر: التهذيب ١٢٨/١، ١٣٣، ٢٠٧، ٢١٥، ٣٠٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٨٨، ٤٣٤، ٣٧/٢، ٣٠٢، ٣٢٣، ٣٧٢/٣، ٢١٢/٤، ٣٣٧/٥، ١٨٨/٦، ٢١٤، ٣٦٩، ٧٤/٧، ٨٤، ١٠٥، ٢١٣، ٦٧٩، ٤٤/٨، ٨٨، ١٨٦، ٢١٠/٩، ٢٥٩، ٤٢٣، ٦٢/١٠، ٨٥، ٢٧٩، ٣٠١، ٣٥٤، ٤٧٠، ٩٨/١١، ٢٧١، ٣٠٠، ٣١٦، ٤٨٣، ٩٦/١٢، ١٤٨/١٣، ٢٧١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٢٢/١٤، ٣٥٥، ٣٥٥/١٥، ٥٢/١٦، ١٧١، وينظر: المحيط في اللّغة ٣١/٣.

(٥) ينظر: التهذيب٢٦٢/٢، ٢١٢/٤، ٩٨/٦، ٤٣/٧، ٤١٣/٩، ٩٦/١٢، ٣٧٩.

١٣- أبــو عبد الله محمّد زياد المعروف بابن الأعرابيّ (٢٣١هـــ) نقل عنه في تسعة مواضع [١].

١٤- أبــو العميثل عبد الله بن خالد الأعرابيّ (٢٤٠هـــ) نقل عنه في موضعين [٢].

١٥- أبو مُحَلِّم محمّد بن سعيد البغداديّ (٢٤٨هـــ) روى عنه أبو تراب في موضع واحد [٣].

١٦- أبــو مــالك عمرو بن كركرة الأعرابيّ صاحب كتاب « خلق الإنســان » (مــن علماء القرنين الثّاني والثّالث) نقل عنه أبو تراب في موضع واحد [٤].

١٧- أبو الحسن عليّ بن حازم اللّحيانيّ (من علماء القرن الثّالث) نقل عنه في أربعة مواضع [٥].

١٨- نصــير بن أبي نصير الرازي النحوي (من علماء القرن الثّالث) أدرك الأصمعي وأبا زيد وسمع منهما، ونقل عنه أبو تراب في موضع واحد [٦].

هؤلاء هم مصادر أبي تراب الّذين نقل من كتبهم أو نقل عنهم بواسطة كتابٍ أو راوٍ، ويمكن أن نخرج في النهاية بالملحوظات التالية:

---

(١) يــنظر: التّهذيب ١/١٢٩، ٤/٦٥، ١١٨، ٦/٦، ١٢٢، ١٠/٢٧٩، ١٢/٢٢٧، ٣٠٦، ١٥/٥٧٣.

(٢) ينظر: التّهذيب ٩/٥٩، ١١/٥٤.

(٣) ينظر: التهذيب ١٤/٥٧.

(٤) ينظر: التّهذيب ١٢/٣٧٩.

(٥) ينظر: التّهذيب ١/٧٨، ٤٩٢، ٢/٣٨٨، ١١/٣١٨.

(٦) ينظر: التّهذيب ٢/٢١٧.

١- ينقل أبو تراب عن مصادره دون أن تسميه كتبهم.

٢- يروى أبو تراب عن مصادره الّتي لم يدركها من غير السند، أي من غير سماع مُتَّصِل.

وكـــان كثير من العلماء في القرنين الثّاني والثّالث يتحرجون من ذلك، ويعدونه منقصة فيمن يصنعه، ثم بدأ بعضهم ينقل من كتب المتقدمين وصحفهم فيسقط السند.

وفي ذلـــك يقول أحمد بن محمّد البشتي في مقدمة كتابه « التّكملة » بعد أن ذكـــر المصـــادر الّتي نقل عنها: « استخرجت ما وضعته في كتابي من هذه الكتب ... ولعل بعض الناس يبتغي العنت بتهجينه والقدح فيه؛ لأني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع ... وإنما إخباري عنهم إخبار من صحفهم ، ولا يزري ذلك على من عرف الغثّ من السمين ، ميّز بين الصحيح والسقيم.

وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب ، فأنّه روى عن الخـــليل بـــن أحمد و أبي عمرو بن العلاء والكسائي ، وبينه وبين هؤلاء فترة .. وكذلك فعل القُتيـــبيّ» [(١)].

وقـــال الأزهـــريّ رداً على البشتي ودفاعاً عن أبي تراب: « وأما قوله: إن غيره من المصنّفين رووا في كتبهم عَمَّن لم يسمعوا منه مثل أبي تراب والقتيبيّ، فليس روايـــة هذين الرجلين عمّن لم يرياه حُجَّة له، لأنّهما وإن كانا لم يسمعا من كل من رويا عنه فقد سمعا من جماعة الثّقات المأمونين» [(٢)].

---

(١) التهذيب ١/٣٣، وينظر: معجم الأدباء ١/٤٦١، ٤٦٢.

(٢) التهذيب ١/٣٤.

٣- يكـــثر أبـــو تراب من النقل عن الأصمعي وعلّة ذلك أن للأصمعي كـــتاباً في الإبـــدال و الاعـــتقاب ، واسمــــه « القلب والإبدال » [١] وهو يناسب موضوع كتاب « الاعتقاب » لأبي تراب.

ثانياً: من أدركهم أبو تراب، والتقاهم وسمع منهم :

١- شَـــمر بن حَمْدَوَيه الهَرَويّ (٢٥٥هـــ) روى عنه أبو تراب سماعاً في خمسة مواضع [٢] .

٢- أبـــو سعيد الضرير أحمد بن خالد البغداديّ ثمّ النّيسابوريّ اللّغويّ (مـــن علماء القرن الثّالث) وهو من شيوخ أبي تراب ، نقل عنه أبو تـــراب في ثلاثة وعشرين موضعاً [٣] بعبارة « قال » أو « سمعت » أو « سألت ».

٣- عـــرام بن الإصبغ السّلميّ (من علماء القرن الثّالث) نقل عنه أبو تراب في خمسة عشر موضعاً[٤] .

٤- أبـــو الـــوازع محمّد بن عبد الخالق الخراسانيّ اللّغويّ (من علماء القرن الثّالث) نقل عنه أبو تراب في موضعين [٥].

ثانياً: الأعراب الرّواة:

---

(١) ينظر: الفهرست ٨٨، ووفيات الأعيان ٣٤٩/٢، وبغية الوعاة ١١٣/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢٦٢/٣، ٢٦٣، ٢٧/٤، ٦٢٨/١٠، ٣٢٢/١٤.

(٣) يـــنظر: التّهذيب ٧٨/١، ٢٩٤، ٣٦٤، ٥٩/٢، ٢٦٤، ٢٧/٤، ٢٤٠، ٤٥٢، ٦/٦، ٢٢٤، ٦٩/٧، ١٨٢، ٣٨٣، ٥٣٨، ٢٠٧/٩، ٢٥٩، ٤٥/١٠، ١١٢، ٢٩٧/١١ (في موضعين) ٧٠/١٢، ٢٤٠، ٢٥/١٣، ١٢٨.

(٤) ينظر: التهذيب١ /٢١٣، ٢١٥، ١٨٤/٢، ٣٢٠، ٤٣٩/٣، ٩٤/٤، ١١٥/٦، ٣٩٧، ٧/ ٩٦، ١١٩، ١٠٥/١٠، ٣٠٧، ٣٦٣/١١، ٤٢٢/١٢، ٧٢/١٥.

(٥) ينظر: التّهذيب ٧٨/١، ٣٢٢/١١.

استـــورد ابـــن طاهر جماعة من الأعراب [١] نيسابورَ [٢]، وكانوا من قـــبائل مختـــلفة من تميم وبكر وسليم وقيس وغيرهم، فيهم الفصحاء والشعراء والـــرّواة، فالتقاهم علماء اللّغة في نيسابور، وأخذوا عنهم فوائد جمة، وكان من هـــؤلاء أبـــو تراب اللّغويّ فأنس بهؤلاء الأعراب، وصحبهم زمنا والتقط من أفواههم، من اللّغة، ونوادرها، وطرائفها، الشيء الكثير [٣].

وكـــان أبو تراب وفيّا معهم فحفظ أسماءهم في كثير من نقوله عنهم في كـــتابه الاعتقاب ، فيما تفرق في كتاب ((تهذيب اللّغة)) للأزهري ، إلا أنّه – أي الأزهريّ – قد يُجمل ذكرهم ويشير إليهم بقوله مثلاً: ((قال أبو تراب عن أصحابه)) [٤] أو: ((روى أبو تراب لبعضهم)) [٥] أو نحو ذلك، وهذا يحملنا على افتراض أنّه قد يُهمل ذكرهم اختصاراً ومن هؤلاء:

١- خَليفة الحُصينيّ:

وهـــو من أبرز رواة أبي تراب، وقد روى عنه في عشرين موضعاً [٦] ، يدلّ أكثرها على أنّه سمع منه مباشرة ، فهو يقول: سمعت، أو سألت، أو أخبرني أو أنشدني.

---

(١) ينظر: التّهذيب ١/٢٦، ومعجم الأدباء ١/٢٥٣، ونكت الهميان ٩٧.

(٢) نيسابور مفعول ثان لاستورد.

(٣) ينظر: إنباه الرّواة ٤/١٠٣.

(٤) التّهذيب ٧/٦٧٦ .

(٥) التّهذيب ١٣/١٦٩ .

(٦) ينظر: التّهذيب ١/١٥٦، ٣٧٥، ٤٥٠، ٢/١٢٢، ٤/٣٦، ٢٢٢، ٥/٦٩، ٦/٤٩٦، ٦/ ٢٤١، ٣١٧، ٣٢٠، ١٢/٤٣، ٨٢، ٢٢٧، ٣٨٤، ١٤/٥٤، ١١٩، ١٤١، ويـــنظر: اللسان (نشل) ١١/٦٦٢، والفائق ٢/٤٦.

٢- شُجَاع السُّلميّ:

روى عنه أبو تراب في سبعة عشر موضعاً [١].

٣- أبو السَّمَيْدَع الجَعْفَريّ:

روى عـــنه أبو تراب في أحد عشر موضعاً [٢]، يقول في أكثرها: ((سمعت أبا السميدع يقول))

٤- مُدْرِك بن غَزْوان الجَعْفَري:

روى عنه أبو تراب في ثمانية مواضع [٣]

٥- الغَنَويّ:

أعرابيّ من قبيلة غَنِيّ، روى عنه أبو تراب في سبعة مواضع [٤].

٦- مُبْتَكِر الجَعْفَريّ:

روى عنه أبو تراب في سبعة مواضع [٥].

٧- أبو مِحْجَن الضِّبابيّ:

---

(١) ينظر: التّهذيب ١/٣١٥، ٣٨٧، ٤/٢١٤، ٢٨٥، ٤٤١، ٧/٣٩٣، ٨/٢٠٦، ٣٧٣، ٩/ ٣٧٨، ١٠/١٠٨، ٥٣٧، ١١/٣٦٩، ٤٠٣، ١٢/٢٠٠، ١٣/١١٣، ١٦/٩٩، واللسان (بنش) ٦/٣٥٠.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢/١٧٩، ٥/٢٩٤، ٥٧٣، ٦/١٨٨، ٨/١٣٨، ١١/٨ في موضعين ، ٨٢ ، ١٣/١٤٤، ١٥/٤٨٠، وينظر: الفائق ٢/٤٦.

(٣) ينظر: التّهذيب ١/٣٨٧، ٢/٣٣١، ٣/٢٤٢، ٤/٤٢٨، ٧/٤٦٠، ٨/٣٣٧، ١١/٨، ١٣ /٣٤٥.

(٤) يـــنظر: التّهذيب ٢/٢٥٦، ٤/٢١٢، ٧/٤٨٧، ٨/٣٢٥، ٩/٤١١، ١٢/٣٠٨، وينظر: الصحاح (رغم) ٥/١٩٣٨، واللسان (رغم)١٢/٢٥٧.

(٥) ينظر: التّهذيب ٢/٣٠٢، ٣٣١، ٧/٢٠٣، ٩/٢٠٨، ٣٥٤، ١١/٨، ١٢٦.

روى عـــنه في ســـبعة مواضع [١] ، يقول في أكثرها « سمعت أبا محجن يقول ».

٨- واقع السُّلميّ:

روى عنه في خمسة مواضع [٢] .

٩- زائدة البَكْريّ:

روى عنه في أربعة مواضع [٣].

١٠- مُدْرِك الكلابيّ:

روى عنه في أربعة مواضع [٤].

١١- حَتْرَش الأعرابيّ:

روى عنه في أربعة مواضع [٥].

١٢- أبو الجَهْم الجَعْفَريّ:

روى عنه أبو تراب في ثلاثة مواضع [٦].

١٣- أبو مِقْدَام السُّلميّ:

روى عنه في ثلاثة مواضع [٧].

---

(١) ينظر: التّهذيب ٢/٢٨٧، ٨/٢٤٣، ١٠/١٣٨، ١٥٩، ٥٤٨، ١٥/٧٢، ٣٧٣.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٣٢٠، ٣/٢٠، ٦/٢٣٧، ١١/٣٨٣، ١٥/٨٢.

(٣) ينظر: التّهذيب ٢/٣٣١، ٧/١١٩، ٨/٢٢٩، ٩/٢٠١، ١٤/٦٤، ١٥/٣٤٣.

(٤) ينظر: التهذيب ١١/٣٩١، ١٢/٣٤، والعباب (حرف الفاء ٤٨٢)، واللسان (مشن)١٣/ ٤٠٨.

(٥) ينظر: التّهذيب ٨/٢٠٦، ٩/٢٠١، ١١/٢٩، ١٢/١٢١.

(٦) ينظر: التّهذيب ٤/٣٣٧، ٦/١٠٢، ٨/٢١٧.

(٧) ينظر: التّهذيب ٥/١٢٧، ٨/٣٩٣، ١٠/٦٧٣.

١٤- مُصْعَب الضّبانيّ:

روى عنه في ثلاثة مواضع [١].

١٥- شَبَانة الأعرابيّ:

روى عنه في ثلاثة مواضع [٢].

١٦- أبو الهَمَيْسَع الأعرابيّ:

وهو من أعراب مَدْيَنَ، روى عنه أبو تراب في موضعين [٣].

وقـــال: « وكان أبو الهَمَيْسَع ذكر أنّه من أعراب مَدْيَنَ ، وكنّا لانكاد نفهم كلامه » [٤].

١٧- أبو الرَّبيع البَكْريّ أو البَكْرَاويّ:

روى عنه في موضعين [٥].

١٨- مُزَاحِم الأعرابيّ:

روى عنه في موضعين [٦].

١٩- عُقْبَةُ السّلميّ:

روى عنه في موضعين [٧].

٢٠- الباهِليّ:

---

(١) ينظر: التّهذيب ٢١٥/٩، ٥٩٠/١٠، ٣٣١/١١.

(٢) ينظر: التهذيب ٢٣٣/٨، ١٩٤/١٢، ١٣٣/١٤.

(٣) ينظر: التّهذيب ٢٦٢/٣، ٨٣/١٢.

(٤) التّهذيب ٢٦٢/٣.

(٥) ينظر: التّهذيب ٦٩/١، ٣٣٢/١٠.

(٦) ينظر: التّهذيب ٢٨٠/١٠، ٢٤٨/١١.

(٧) ينظر: التهذيب ٢١٤/٦، ٨/١٠.

روى عنه في موضعين [١].

٢١- الجَعْفَرِيّ:

روى عنه في موضعين [٢]، ولا أدري هل هو أبو الجَهْمِ أو مُدْرِكٌ أو أبو السَّمَيْدَع أو مُبْتَكِرٌ أو غيرهم؟

٢٢- مُدرك السّلميّ:

روى عنه في موضع واحد [٣].

٢٣- مُبْتَكِر السّلميّ:

روى عنه في موضع واحد [٤].

٢٤- رافع الأعرابيّ:

روى عنه في موضع واحد [٥].

٢٥- حُصَين السُّلميّ:

روى عنه أبو تراب في موضع واحد [٦].

٢٦- عُتَيِّر بن غَرْزَة الأَسَديّ:

روى عنه في موضع واحد [٧].

٢٧- عُثمان الجَعْفَريّ:

---

(١) ينظر: التّهذيب ٧/٥٠٦، ٨/٢٧.

(٢) ينظر: التّهذيب ٦/١٥٩، ٧/٨٦.

(٣) ينظر: التّهذيب ٩/٣٠.

(٤) ينظر: التّهذيب ٩/٣٢.

(٥) ينظر: التهذيب ٧/٨٠.

(٦) ينظر: التّهذيب ٨/٣٨.

(٧) ينظر: التّهذيب ٣/٢٦٣.

روى عنه في موضع واحد [(١)].

٢٨- أبو الخَيْهَفْعَى التّميميّ:

روى عنه في موضع واحد [(٢)].

٢٩- سُلَيمان الكلابيّ:

روى عنه في موضع واحد [(٣)].

٣٠- زائدة القيسيّ:

روى عنه في موضع واحد [(٤)].

٣١- فُلان بن عبد الله التّميميّ:

روى عنه في موضع واحد [(٥)].

(٣٢) سَلْمَان بن المُغيرة :

في موضع واحد [(٦)].

ويلحق بهؤلاء جملة من الأعراب الرّواة، ممّا أجمله أبو تراب، أو أجملته المصادر الّتي نقلت عن كتابه « الاعتقاب » ولا نكاد نعرف عن هؤلاء شيئاً سوى أنّهم من الأعراب، أو من بعض القبائل، يشير إليهم بإشارات مجملة، كقوله:

سمعت أعرابياً من بني سليم

(١) ينظر: التّهذيب ٣٠٢/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢٦٣/٣.

(٣) ينظر: التّهذيب ١٦٩/٨.

(٤) ينظر: التّهذيب ١١٩/٧.

(٥) ينظر: التّهذيب ١٩٣/٣.

(٦) ينظر : التّهذيب ٢٠١/١٢ .

أو سمعت أعرابياً من أشجع

أو سمعت أعرابياً من بني تميم

أو سمعت بعض بني سليم

أو سمعت العَبْسيّين

أو سمعت الجعفريين

أو سمعت جماعة من أعراب قَيْس

أو قال أعرابيّ من بني عامر

أو قال رجل من بلحارث بن كعب

أو قال بعض بني أسد

أو قال بعض الكلابيّين

أو أنشدني جماعة من فصحاء قيس وأهل الصّدق منهم.

الفصل الثالث: شواهده

تقـــدم أنّ أبا تراب التقى جماعةً من الأعراب من رواة اللّغة والشّعر من الّذيـــن اسْـــتُقْدِمُوا إلى نيســـابورَ في خراســـان مطلع القرن الثّالث إبّان ظهور الطّاهـــريّين، وأنّـــه لازمهم زمناً طويلاً، وسمع منهم فوائد جمّة أودعها كتابه « الاعتقاب »

ويـــبدو أنّ ذلك انعكس على شواهده؛ فطغى استشهاده بالشّعر على غـــيره مـــن الشّواهد كالقرآن، والحديث النّبويّ، فلا نكاد نجد له من شواهد القرآن إلا الشّاهد أو الشّاهدين؛ في كلّ النّصوص الّتي جمعت [1].

وليـــس الحديث بأوفر من ذلك فهو نادر -أيضاً- في نصوص كتاب « الاعـــتقاب » الّتي جمعتها ، وقد وجدته يستشهد به على اعتقاب بعض الحروف في ثلاثة مواضع فحسب، أحدها أنّه روى عن رسول الله - صلّى الله عليّه وسلّم - أنّه قال لعمّار: « ويحك يا ابن سُميّة بؤساً لك، تقتلك الفئة الباغية» [2]

والثّاني روايته لحديث النّبي -صلّى الله عليّه وسلّم - وهو قوله لعائشة -رضي الله عنها - ليلة تبعته وقد خرج من حجرها، فنظر إلى سوادها فلحقها، وهـــي في جـــوف حجرها فوجد لها نفساً عـــالياً، فقال: ويسها، مـــاذا لقيت اللّيلة [3]؟

(١) ينظر: الفقرة رقم (٣٦٤) .

(٢) ينظر الفقرة رقم (٧٧) من القسم الثّاني.

(٣) ينظر الفقرة رقم (٧٧) من القسم الثّاني.

والثّالث روايته لحديث النّبيّ – صلّى الله عليّه وسلّم – أنّه أَبَدَّ يده على الأرض عند انكشاف المسلمين يوْم حنين فأخذ منها قبضة من تراب فحذا بها في وجوههم [١].

وروى أثـــراً واحداً عن ابن عباس –رضي الله عنه– استشهد به على معنى الفعل ((فرّع)) [٢].

أمّـــا الشّعر فكان هو الغالب في شواهد أبي تراب للسّبب الّذي ذكرته آنفاً، فعلى الرّغم من أن الكتاب لا يزال مفقوداً ، وأنّ النّصوص الّتي وردت في بعـــض المعـــاجم كالـــتّهذيب ركّز أصحابها –في الغالب– على نصّ التّعاقب (الإبدال) اختصاراً للشّواهد أو اكتفاء بورودها في مواضع أخرى.

وعلى الرّغم من ذلك فإنّ في النّصوص المجموعة قدراً طيباً من الشّواهد الشّـــعرية، وهذا كلّه يسمح لنا بالقول : إنّ ((الاعتقاب)) لأبي تراب كان من المصـــادر الـــلّغوية الغزيرة بالشّعر؛ الّتي أفادت منها المصنّفات اللّغويّة، وعلى رأسها المعاجم.

وممّـــن استشـــهد أبـــو تراب بشعرهم: لَبيد، وجِران العَوْد، وسَعْد بن المُنـــتحر الـــبارقيّ، ورؤبة، وعَديّ بن عليّ الغاضريّ، وعَليّ بن شَيبة الغَطَفانيّ، وعَـــدِيّ بـــن زيد ، والمُخرُوع السَّعْدِيّ، وذو الرُّمَّة، وأبو مَحْضَة، والأَخْطَل، وحاجِـــز بـــن الجعيد الأزديّ، ورويشد الطّائيّ، والأغلب العجليّ، وجَزْء بن الحارث، وأوس بن حجر، والأَفْوَه الأوديّ، وأبو الصّامت الجشميّ، والكُميت ابن زيد، والجَهْم الجَعْديّ، وأمّ البُهْلُول.

---

(١) ينظر الفقرة رقم (٤٩) .

(٢) ينظر الفقرة رقم (٢٣٨) من القسم الثّاني.

وبعض هؤلاء الشّعراء هم من غير المشهورين، وهم من شعراء الأعراب الّذين التقاهم أبو تراب في خراسان، أو من رواة الشّعر منهم.

وقـــد يروي عنهم أبو تراب ولا يذكر اسم الشّاعر أو الرّاوي، كقوله: «أنشدني جماعة من فصحاء قيس وأهل الصّدق منهم» [١].

(١) ينظر : التّهذيب ١٥/٥٧١، واللسان (نون) ١٣/٤٢٩ . .

الفصل الرّابع
قيمة الكتاب العلمية وأثره

يُعَدُّ كتاب « الاعتقاب » من المصادر اللّغويّة القديمة المتخصّصة في التّعاقب (الإبدال اللّغويّ) الّتي وجدت مادّتها طريقها إلى بعض المعاجم الكبيرة، وقد أفاد منه من اطّلع عليه، وأثنى عليه من خبره وعرف قيمته، كالأزهريّ الّذي رفع من قدره، وعدّه في المصنّفات اللّغويّة المعتمدة الموثّقة، ومدحه بخُلّتين:

إحداهما: خُلوّه من التّصحيف والتّحريف.

والأخرى: بُعْدُ مؤلّفه عن المجازفة فيما أودعه في نصوصه.

وفي ذلك يقول حين ذكر مؤلّفه أبا تراب : « وقد قرأت كتابه، فاستحسنته، ولم أره مُجازفاً فيما أودعه ، ولا مُصحّفاً في الّذي ألّفه» (١).

ومما يرفع من قيمة الكتاب أنّه كبير (٢) ، غزير المادّة الّتي أخذها عن علماء عصره، كشمر، وأبي سعيد الضّرير، وملازمته إيّاهما سنين عدّة، وسماعه منهما كتباً جمّة، سوى ما سمع من الأعراب الفصحاء لفظاً، وحفظه عن أفواههم خطاباً (٣).

ولكتاب « الاعتقاب » نصيب من الأثر في مصنفات اللّغويّين الّذين جاءوا بعده، الّتي نقل أصحابها عنه منذ أواخر القرن الثّالث، فقد وَجَدَتْ نصوصُهُ اللّغويّة طريقها إلى مصنّفات كثير من اللّغويّين، وبخاصّة الأزهريّ في التّهذيب، كما سيأتي ، ومن هؤلاء من صرّح باسم أبي تراب أو كتابه، ومنهم

---

(١) التّهذيب ١/٢٦.

(٢) ينظر: إنباه الرّواة ٤/١٠٢.

(٣) التهذيب ٢/١٤٥.

من لم يصرّح بشيء من ذلك إلا في النّادر، تمشّياً مع منهجه في الاختصار، كما فعل الصّاحب بن عبّاد في « المحيط في اللّغة ».

ولما تعذّر القطع بأثر « الاعتقاب» في نصوص لم يصرّح أصحابها بالنّقل عـــنه أو عـــن مؤلّفه فقد اكتفيت بتتبّع أثره في مصنّفات وجدت فيها تصريحاً بذلك، ورتّبتها زمنياً ، وهي:

١- «التّكملة» لأبي حامد الخارْزَنجي البُشتيّ (٣٤٨هـ)

وهو تكملة لكتاب العين للخليل، ويتعذّر أن نعرف – على وجه الدّقّة – مقـــدار الأثـــر الذي كان لأبي تراب في هذا الكتاب، لأنّه مفقود، فيبقى لنا تـــلمس ذلـــك من خلال ما نقل عن « التّكملة» من نصوص، وهي قليلة، ومن ذلـــك مـــا أورده الأزهريّ [1] من مقدّمة كتاب « التّكملة » هذا، وفيها ذكر لأبي تراب، وإشارة إلى اعتماده مصدراً من مصادره ، وروى الصّاحب بن عبّاد نصاً عنه عن أبي تراب، وهو في الإبدال والتّعاقب، قال الصّاحب: « الخارْزَنجي عن أبي تراب: حَمَظَهُ وحَمَزَهُ: بمعنى واحد، أي: عصره» [2] .

ونقل عنه شاهداً من الشّعر، أورده الأزهريّ [3] ، والقفطيّ [4] .

٢- « الإبدال » لأبي الطّيّب اللّغويّ (٣٥١هـ)

نقـــل عن أبي تراب في موضعين [5] ، هما في كتاب الاعتقاب، كما يأتي في القسم الثّاني.

---

(١) ينظر: التّهذيب ١/٣٢ -٣٤ .

(٢) المحيط في اللّغة ٣/٦٤.

(٣) ينظر: التّهذيب ١/٣٤.

(٤) ينظر: إنباه الرّواة ١/١٤٦.

(٥) ينظر: الإبدال ٢/٢٧٥، ٢٧٨ .

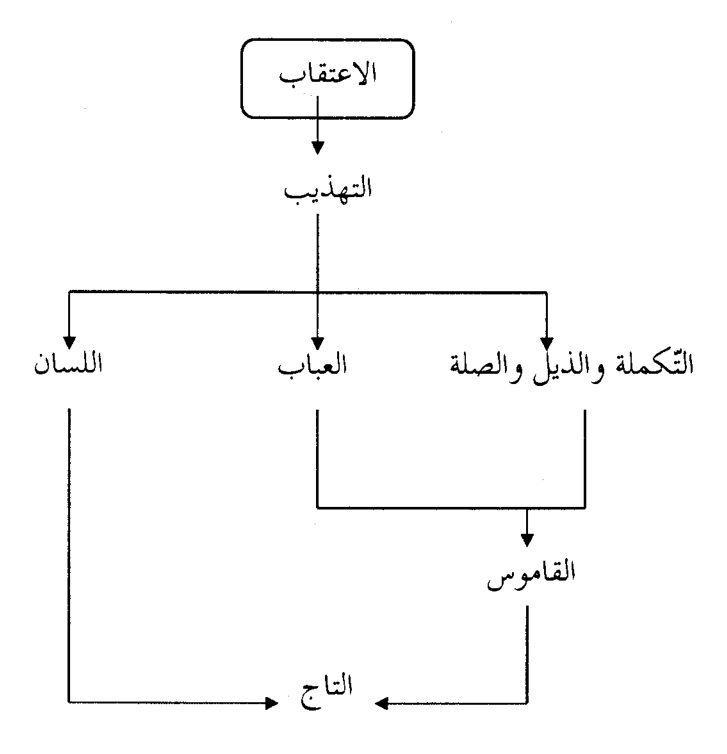
ولعله نقل عنه في غير هذين الموضعين دون أن يشير إليه.

٣- «تهذيب اللّغة» للأزهري (٣٧٠هـ)

اطّلع الأزهريّ على كتاب «الاعتقاب» فأعجب بمادّته، ودقة مؤلفه، وبعده عن التصحيف فأفرغ أكثر الكتاب في معجمه، وفَرَّقَه على موادّه، وقال في مُقدِّمته: «وما وقع في كتابي لأبي تراب، فهو من هذا الكتاب»[(١)].

وبهذا العمل حفظ لنا الأزهريّ جلّ الكتاب، وعن طريقه وصلت مواد «الاعتقاب» إلى كثير من معاجم اللّغة، كـ «التّكملة» و «العباب» للصّغانيّ، و «اللّسان» لابن منظور، و«القاموس» للفيروزاباديّ، و «التّاج» للزّبيديّ، كما يتّضح من الرّسم البيانيّ التّالي:

(١) التّهذيب ١/٢٦.



وقــد بلغت النّصوص الّتي نقلها الأزهريّ عن «الاعتقاب» ونصّ عليّها أكــثر مــن ستين وثلاثمائة نصّ، كما يظهر من القسم الثّاني من هذه الدراسة، ويظهر – من الإحالات الّتي أوردها عند الحديث عن اسمه والاضطراب فيه.

٤- «المحيط في اللّغة» للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ).

فيه نصّان لأبي تراب أحدهما من نصوص التّعاقب وهو الذي رواه الصاحب عن شيخه البشتي الخارزنجي [١]، وأشرت إليه فيما سبق، والآخر رواه الصاحب - فيما يظهر - عن أبي تراب [٢]، ولا أدري هل اطّلع على كتاب أبي تراب أو لا، ولا أدري هل هذا النّصّ من كتاب «الاعتقاب» أو من «الاستدراك» لأنّ المادة ليست من مواد التّعاقب (الإبدال)

ولعلّ الصاحب أفاد من كتاب الاعتقاب في مواضع أخرى ولكننا لم نتبيّنها بسبب منهجه القائم على الاختصار الذي قاده إلى حذف مصادره.

٥- «الصحاح» للجوهريّ (٣٩٢هـ).

نقل عن كتاب «الاعتقاب» في ثلاثة مواضع [٣]، وذكر اسم الكتاب نصاً [٤] في أحدها.

٦- «فقه اللّغة وسرّ العربيّة» للثّعالبيّ (٤٢٩هـ)

فيه ثلاثة نصوص منقولة عن أبي تراب [٥].

٧- «الفائق في غريب الحديث» للزّمخشريّ (٥٨٣هـ).

نقل عن أبي تراب في سبعة مواضع [٦]، كلّها من الاعتقاب، ويبدو أنّه

(١) ينظر: المحيط ٣/٦٤.

(٢) ينظر: المحيط ٣/٣١.

(٣) ينظر: الصحاح (هرر) ٢/٨٥٤، (حرشف) ٤/١٣٤٣، (كمل) ٥/١٨١٣.

(٤) ينظر: الصحاح (حرشف) ٤/١٣٤٣.

(٥) ينظر: فقه اللّغة وسر العربية ٤٨، ٥٢، ٣١٦.

(٦) ينظر: الفائق ١/٢٧، ٢/٧، ٤٦، ١٥٤، ٤١٦، ٣/٣٤٧، ٤/١٣.

أخذهـا مـن كتاب «الاعتقاب» بغير واسطة ، أو نقلها عن غير التّهذيب [(١)]، فـبعض النّصـوص الّـتي أوردها ليست في التّهذيب، أو هي فيه لكنّها ليست منقولة عن أبي تراب [(٢)].

٨- «العباب» للصّغانيّ (٦٥٠هـ)

فيـه نصـوص كثيرة [(٣)] عن أبي تراب من كتاب «الاعتقاب» ولعلّها مـأخوذه مـن التّهذيب للأزهريّ، لأنّه يسمّيه أباتراب تارة، وابن الفرج تارة أخرى.

٩- «التّكملة والذّيل والصّلة» للصّغانيّ (٦٥٠هـ)

نقل فيه الصّغانيّ عن أبي تراب في مواضع متعدّدة [(٤)]، ولعلّه -أيضاً - يـنقل عـن الأزهـريّ؛ لأنّه يسمّي صاحب الاعتقاب بالأسماء الثّلاثة الّتي وردت في التّهذيب.

---

(١) ينظر: التّهذيب ٧/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٤١٦/٢، والذي في التّهذيب ٣١٨/٣ عن أبي حاتم عن أبي عمرو .

(٣) ينظر: العباب (حرف الهمزة) ١١٠ (لفأ)، وحرف الغين ٣٤ (دوغ) ، ٧٦ (مشغ)، ٨٢، (نشغ) وحرف الفاء ٣٧ (أنف) ، ٢٨٧ (سلخف) ، ٢٨٧ (سلغف)، ٢٩٣ (شنغف) ، ٣١٩ (شـرهف) ، ٣٣٠ (شلخف) ٣٣٠ (سلعف) ، ٣٣١ (شلغف)، ٤٤٧ (عفف) ٤٨٢ (غلف) ، ٦١٠ (يغف) ، ٦٣٢ (وضف) ، ٦٥٩ (هلغف).

(٤) يـنظر: التّكمـلة ٤٨/١ (لفأ) ، ٥٠ (مطأ) ، ٢١٤ (عظب) ، ٣٤٢ (نثت) ، ١٣/٢ (ثعجج) ، ١٤٦ (ريخ) ، ١٢٧/٣ (عمر) ، ٢١٩ (نمر) ، ٢٢٧ (وهر) ، ٣٨١ (طهس) ، ٣٨٢ (عبس) ، ٤٥٦ (نبش) ، ٥٠٠ (فنش) ، ٥١٧ (ندش) ٤٣/٤ (معض) ، ٩٩ (نـوض) ، ١٩٢ (بـنط) ١٩٨ (شظظ) ، ٢٢٧ (حجلجع)، ٢٤٤ (خهفع) ، ٣٢٨ (قـزع) ، ٣٣٠ (قطع) ، ٣٤٢ (كبع) ، ٣٤٨ (كمع) ، ٣٦٧ (نصع) ، ٤٢٥ (مشغ) ٤٣٨ (أنف) ، ٤١٥/٥ (صمل) ، ٥٠٣ (كعظل) ، ١٤٠/٦ (كمم) ، ٢٧٥ (غسن).

١٠- «لسان العرب» لابن منظور (٧١١هـ).

وصلت إليه نصوص «الاعتقاب» عن طريق التهذيب، وفيه منها الكثير [(١)]، وفي «اللّسان» أيضاً اضطراب في اسم أبي تراب، على النّحو الّذي تقدّم ذكره،

---

(١) ينظر: اللسان ٩٥/١ (سطأ) ، ١٥٣ (لكأ) ، ١٥٧ (مطأ) ، ٤٥٠ (زعب) ، ٥٢٥ (صغب) ، ٥٨٧ (عرب) ، ٦٧٠ (قرطب) ، ٢٥/٢ (حلت) ، ٤٢ (سحت) ، ٨٣ (لحت) ، ١٠٥ (هـلت) ١٨٩ (مـشث) ، ٢٣٢ (حدج) ، ٢٩٩ (سلج) ، ٣٧١ (نبج) ، ٣٩٣ (هملج) ، ٤٥٠ (رضح) ، ٣٩٠ (سمح) ، ٥٤٩ (فلطح) ، ٥٥٧ (قدح) ، ٥٦٨ (قيح)، ٦١٨ (نضح) ، ٦٣٩ (ويـح) ، ٥٤/٣ (مـرخ) ، ٢٦٤ (سمح) ، ٥٤٩ (فلطح)، ٥٥٧ (قدح) ، ٥٦٨ (قيـح)، ٦١٨ (نضح) ، ٦٣٩ (ويح)، ٥٤/٣ (مرخ) ، ٢٦٤ (صدد) ، ٢٦٦ (ضهد) ، ٢٩٨ (عقد) ، ٤٠٢ (مرد) ، ٤١٠ (ملد) ، ٥٠١ (غذذ) ، ٤٨٠/٤ (صبر) ، ٦١١ (عنقر) ، ١٣٣/٥ (كثر) ، ١٣٥ (كدر) ، ٢٣٦ (نمر)، ٦/ ٨٥ (دغس) ، ١٢٧ (طهس) ، ١٢٧ (طـوس) ، ١٢٩ (عـبس) ، ٢١٧ (مرجس) ، ٢٣١ (نشش) ، ٢٧١ (جحش) ، ٢٧٦ (جـنش) ، ٢٨٥ (حشـش) ، ٣٠٦ (رمش) ، ٣٢٤ (غطش) ، ٣٤١ (كشش) ، ٢٨٥ (حشـش) ، ٣٠٦ (رمـش) ، ٣٢٤ (غطش) ، ٣٤١ (كشش) ، ٣٥٠ (نبش) ، ٣٥٢ (نخش) ، و٣٥٢ (ندش) ، ٣٥٨ (نقش) ٣٧٣، (وقش) ١٧/٧ (حقص) ، ٠٣٧ (دلص) ، ٦٧ (فـصّ) ، ١٢٢ (هض) ، ١٣٦ (حضض) ، ١٦٢ (رمض)ن ١٩٩ (غضض) ، ٢٤٨ (هضـض) ، ٢٦٦ (هـط) ، ٣٢٠ (سـقط) ، ٣٣٧ (شمعط) ، ٤٤٦ (شنط) ، ٤٠/٨ (حجلجع) ، ٥٠ (جعع) ، ٥٢ (جلع) ، ٨١ (خهفع) ، ١١٨ (رجع)، ٢٧١ (قزع)، ٣٦٤ (نكع)، ٤٥٠ (مشغ)، ١٩/٩ (توف) ، ٩٦ (درق) ، ١٨٣ (شلخف) ، ١٨٣ (شلغف) ، ١٨٤ (شنغف)، ٣١٥ (لحف) ، ٩٦/١٠ (درنق) ، ١٤٤ (زلق) ، ١٧٣ (شذق) ، ٢٠٤ (صـفق) ، ٢٠٧ (صمق) ، ٢٣٩ (عذق) ، ٢٩٥ (غهق) ، ٤٦٣ (ضزك) ، ٧٩/١١ (تلل) ، ٨٠ (تنبل) ، ١٥٣ (حسكل) ١٦٠ (حقل) ، ٣١٢ (زيجل) ، ٣٧٠ (شمل) ، ٣٨١ (صقل) ، ٣٨٥ (عثم) ، ٤٠٠ (طربل) ، ٥٥٥ (قرقل) ، ٥٨٨ (كعظل)، ٦٢٤ (مصل) ، =

وقــد لاحظــت عند مقابلة نصوص التّهذيب باللّسان أنّ ابن منظور قد يسقط اســم أبي تراب ، ويكتفي بذكر من روى عنه أبو تراب، أو يكتفي بذكر المادّة اللّغويّة الّتي فيها التّعاقب، وهو نوع من الاختصار.

١١- «وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم» لابن مالك (٦٧٢هـ)

وهو كتاب في التّعاقب (الإبدال) وفيه نقل عن أبي تراب في موضعين[١] أحدهما عن طـريق الأزهريّ، ويبدو أنّ ابن مالك لم يطّلع على كتاب «الاعتقاب» ولو اطّلع عليّه لأكثر من النّقل عنه؛ لأنّ موضوع كتابيهما واحد، وهو التّعاقب.

١٢- «تاج العروس» للزّبيديّ (١٢٠٥هـ)

=

٦٦٢ (نشـــل)، ٦٨٨ (هبركل)، ٦٩٤ (هرجل) ، ٦٩٨ (هضل) ، ١٢/١٤٠ (حظم) ، ٢٠٩ (دمم) ، ٢٤١ (رسم) ، ٢٥٧ (رثم)، ٣٢٥ (شلم) ، ٣٧١ (طمم) ، ٤٤٧ (فأم) ، ٤٨٤ (قشم) ، ٦٠٥ (هدم) ، ٦١١ (هزم) ، ١٣/٨ (أحن) ، ٨٨ (جزن) ، ١٦٠ (دفن) ، ٢٧٧ (عثن) ، ٢٨١ (عذن)، ٢٨٥ (عسن)، ٣١٣ (غسن) ، ٣٢١ (فدن) ، ٣٧٦ (فلن) ٣٢٤، (لـــين) ، ٤٠٨(مشـــن) ، ٤٢٩ (نـــون) ، ١٤/١٧٢ (حـــذذ) ، ٤٢٩ (شرى) ، ١٥/ ١٠٤ (عنا) ، ١٤٠ (غنذى)، ٣٧١ (هوا).

(١) ينظر: وفاق المفهوم ١٤٦، ٢١٠.

وصـــلت إليـــه نصوص «الاعتقاب» عن طريق «القاموس المحيط» و «اللّسان» و أكثرها كان عن طريق هذا الأخير؛ ولهذا يمكن القول: إنّ أكثر ما في «اللّسان» من نصوص «الاعتقاب» هو في «التّاج» أيضاً [١].

هـــذا أثر «الاعتقاب» لأبي تراب في المادّة اللّغويّة، أي من خلال النّصوص اللّغويّة المنقولة عنه.

* * *

وثمّـــة أثـــر له في المنهج، فقد كان أبو تراب يروي أحياناً عن علماء لم يدركهـــم كالخـــليل وأبي عمرو بن العلاء، فتابعه على ذلك الخارزنجيّ البشتيّ واحـــتجّ بصنيعه، وفي ذلك يقول الخارزنجي في مقدّمة كتابه «التّكملة»: «ولعلّ بعـــض النّاس يبتغي العنت بتهجينه والقدح فيه، لأنّي أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع... وإنّما إخباري عنهم إخبار عن صحفهم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب ، فأنّه روى عن الخليل بن أحمد، و أبي عمرو بن العلاء والكسائيّ، وبينه وبين هؤلاء فترة» [٢].

أمّـــا المنهج في التّرتيب فإنّني لا أستبعد أن يكون أبو الطيب اللغوي قد تأثّر بمنهج أبي تراب في ترتيب الأبواب ، وقد أشرت إلى هذا فيما تقدّم.

---

(١) ينظر على سبيل المثال وليس الحصر: التاج ٨٠/١ (شقأ) ، ١١٨ (مطأ) ، ٥٩٢ (نقت)، ١٠٣/٢ (نبج) ، ٤٩٩/٣ (مرد) ، ٥١٦ (كثر) ، ٣٩٥/٤ (دلص) ، ٤١٦ (فصص) ٥ /٣٢٥ (خثفع) ، ٤٠/٧ (غهق) ، ٣٢٣ (دقل) ، ٣٨٩/٨ (عثم) ، ٢٧٦/٩ (عذن).

(٢) ينظر: إنباه الرّواة ١٤٤/١.

القسم الثّاني

نصوص من كتاب «الاعتقاب»

«جمع وترتيب»

توطئة: في ترتيب النّصوص المجموعة

تقـــدّم في دراسة الكتاب أنّ أبا تراب جعل كتابه مبوّباً على الحروف، لكل حرفين متعاقبين بابٌ، غير أنّ النّصوص المتفرّقة في المعاجم، وعلى رأسها «تهذيـــب الـــلّغة» للأزهريّ لا تسعف في التّعرف على نظام الكتاب في ترتيب الأبواب، والرّاجح أنّها لم تكن مرتّبة، كما تقدّم ذكره في الدراسة.

وقـــد رأيـــت أن أرتّب ما جمعته من مادّة الكتاب على حروف الهجاء، بحســـب أبوابهـــا مقدّمـــاً أسبق الحرفين في الهجاء ثم أجعل التّرتيب له، فمثلاً: مدهمـــس ومدغمـــس، التّبادل فيهما بين الهاء والغين، والغين أسبق من الهاء في الهجاء، فيكونان في باب الغين والهاء، ويكون «اختنزع واختنزل» في باب العين واللام، و «حلتُّه وحلأته» في باب الهمزة والتّاء، و «الجرماق والجلماق» في باب الرّاء واللام، و «هرهرت الشّيء وفرفرته» في باب الفاء والهاء، وهكذا.

وإذا تساوى بابان أو أكثر في الحرف الأوّل قدّمت الأسبق من الحرفين الـــثّانيين، نحو أبواب: (البّاء والتّاء) و (البّاء والثّاء) و (البّاء والحاء) و (البّاء والدّال) وهكذا في جميع الأبواب [1]، وهي الطّريقة الّتي سار عليها أبو الطّيّب

---

(١) قد يشكل على القارئ أن صاحب الكتاب - فيما ورد فيه ذكر لأسماء الأبواب وهو قليل جـــداً - قـــد يقـــدم في التسمية الحرفَ المتأخّر على الحرف المتقدّم، كما جاء في قول الأزهري فيما نقله عن أبي تراب: «جاء به في باب الظّاء والزّاي» (التّهذيب ٤/٤٦١) لم يقل: الزّاي والظّاء و «قال ابن الفرج في باب الميم والباء» (التّهذيب ٢٤٤/١١) و لم يقل : الباء والميم .

و «قـــد طلبته في باب العين والحاء لأبي تراب...» (التّهذيب ١١٠/٤) لم يقل: الحاء والعين.

ونحو ذلك، فهل عليّ أن التزمَ في هذه الأبواب خاصة بهذا الترتيب بين الحرفين وهذه التسمية، أو لا ألتزم بذلك؟

اللّغويّ في كتابه « الإبدال » وليس بعيداً أن يكون قد اطّلع على ترتيب أبي تراب وتأثّر به، وقد وجدته ينقل عنه بعض النّصوص، كما تقدّم في الحديث عن أثر أبي تراب في غيره.

ثمّ رتّبتُ المادّة في كلّ باب بحسب أسبق الكلمتين المتعاقبتين في التّرتيب الهجائيّ الأبجديّ سواء كانت الكلمة الأولى أو الثّانية ، فمثلاً «داك الرجل المرأة

=

ولقد رأيت ألا ألتزم بذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن الالتزام به يؤدّي إلى خلل كبير في الترتيب الذي وضعته للأبواب.

ثانياً: أن أبا تراب نفسه - فيما نقل عنه - لم يلتزم به في المواد القليلة التي ورد فيها إشارة إلى تسمية الباب، فهو قد يقدم الحرف الأسبق من الحرفين، كما جاء في قول الأزهري مثلاً: « ذكره في باب اعتقاب الباء والذّال» (التّهذيب (١٦/ ٢١٠) و« قال أبو تراب في باب التّاء والميم» (التّهذيب /٢٥٩).

و « ذكره في باب الجيم والحاء» (التّهذيب ١١/ ٨).

و « رواه ابن الفرج ..... في باب الصّاد والفاء » (التّهذيب ١٥/ ٥٧٣).

و « نظرت في باب ما تعاقب من حرفي الصاد والطاء » (التّهذيب ١١/ ٢٩٥).

وهكذا، وهو يوافق المنهج الذي وضعته للأبواب في مادة الكتاب المجموعة.

ثالثاً: أني وجدت الأزهريّ يقول: « أبو تراب... ومثله مما تعاقب فيه الدّال والباء » (التهذب ١٤/ ٧٠) في حين يقول ابن منظور: « ومثله مما تعاقب فيه الباء والدال» فقدم الباء .

رابعاً: أنني تأملت المادة المجموعة كاملة مما نص فيها على الأبواب وهو قليل، ومما لم ينص عليه وهو الكثير، وتأملت الكلمات المتعاقبة وكيفية ترتيبها، فتبين لي أنه ليس ثمة طريقة ثابتة لترتيب الأبواب والمواد ولعلّ جهد المؤلف - رحمه الله - كان منصباً على تعاقب الحرفين في الباب فحسب.

وباكهـــا » أسبق في الترتيب من «حدجه بالعصا حدجاً، وحبجه بها حبجاً » لأنّ «باكها » هي الأسبق، فقدّم النصّ الأوّل بها.

وبمثل هذا أرجو أن يكون التّرتيب محكماً في الأبواب، وفي الموادّ داخل كل باب، وما من بأس إن كان ثمّة ألفاظ من المادة المجموعة من كتاب الاعتقاب لا يتضـــح فيها الإبدال أو الاعتقاب بمعناه النّاضج الذي تبلور عند بعض علماء العربية الذين يشترطون فيه حروفاً محددة يسمونها حروف الإبدال، ويشترطون فيه اتحاد الدلالة بين الكلمتين، وهذا أمر مهم نبّهت عليه في الدراسة، وذكرت أن أبـــا تـــراب يتّســـع في جمـــع المادة وينـــزع إلى الاستفاضة في جمع الأشباه والنّظائر، ويستطرد أحياناً.

وثمّـــة مواد قليلة جاء الاعتقاب فيها في ثلاثة أحرف من ثلاث كلمات نحو «جبس وعبس ولبس » و «احتفد واحتمد واحتفل » ولمثل هذا باب خاص، يشار فيه إلى الأحرف الثلاثة المتعاقبة، فيكون النّصّ الأوّل المشار إليه في باب « الجيم والعين واللام» ويكون الثّاني في باب: « الدّال واللام والميم ».

وربّما جاء الاعتقاب في حروف مختلفة في كلمتين أو ثلاثة، مثل « مرط فلان فلاناً وهرده » فالاعتقاب بين أربعة أحرف في كلمتين الميم والهاء من ناحية والطّاء والدّال من ناحية أخرى.

ونحو « بَضَّعَهُ وكَنَّعَهُ وكَوَّعَهُ » وهذا تعاقب بين حروف مختلفة في ثلاث كـــلمات، وهـــو ضـــرب من الاتّساع في مفهوم الإبدال أو الاعتقاب عند أبي تراب.

وجعـــلت لهـــذا النّوع باباً يلمّ شتاته سمّيته « باب الاعتقاب في حروف مختـــلفة » جاء في نهاية الأبواب الهجائيّة قبل الباب الأخير الّذي جعلته لما روى عـــن أبي تراب، ممّا لا يدخل في شيء من الأبواب السّابقة؛ لأنّ ما فيه ليس من الاعـــتقاب إنّمـــا هو من الفوائد اللّغوية المتفرّقة، واللّغات، وأقوال العلماء أو

الـــرواة، وأشـــعار الشعراء، ونحو ذلك، وسمّيته: « باب الفوائد والنّوادر » ولم أحذفه؛ لأنه جزء من كتاب « الاعتقاب».

وفـــيما يـــلي ما توفّرت عليه من نصوص كتاب الاعتقاب لأبي تراب مجموعاً، ومصنّفاً في أبواب، ومرتّباً على الحروف:

* * *

(باب اعتقاب الهمزة والتّاء)

١- « قَالَ ابنُ الفَرَجِ: قَالَ الكسَائِيُّ: حَلَتُّه؛ أَيْ: ضَرَبْتُهُ. قَالَ: وَغَيْرُهُ يَقُولُ: حَلأْتُهُ» [(١)].

(باب اعتقاب الهمزة والعين)

٢- « قَـــالَ أَبُو تُرَاب: قَالَ أَبُو زَيد: ذَأَتّه ذَأْتاً، وذَعَتَه ذَعْتاً، وهو أَشَدُّ الخَنقِ» [(٢)].

٣- « قَالَ ابنُ الفَرَجِ: قَالَ الأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ للْقَومِ : ذَرُونِي أُكَثِّعُ سِقَاءَكُمْ، وأُكَثِّئُهُ؛ أَيْ: آكُلُ مَا عَلاه مِنَ الدَّسَمِ » [(٣)].

٤- «قَالَ أَبُو تُراب: مَضَى هَجِيعٌ مِنَ اللَّيلِ وهَزِيعٌ، بمَعْنىً وَاحِدٍ [(٤)].

قَالَ: وقَالَ ابنُ الأعرابيّ: هَجَع غَرَثُه وهَجَأَ: إِذَا سَكَنَ.

قَـــالَ: وقَالَ ابْنُ شُميلٍ: هَجَعَ جُوعُ الرَّجُلِ يَهْجُعُ هَجعاً، أَيْ: انكَسَرَ جُوْعُهُ، ولم يَشْبَعْ بَعْد. قَالَ: وهَجَأَ فلان غَرَثُه وهَجَعَ غَرَثَه، وهَجَأَ غَرَثُه –أيضاً .

قال: وأَهْجَعَ غَرَثَه وأَهْجَأَه، إذا سَكَّنَ ضَرَمَهُ.

---

(١) التّهذيب ٤٤١/٤،وينظر: اللسان (حلت)٢٥/٢.

(٢) التّهذيب ٢٦٢/٢.

(٣) التّهذيب ٣٠٥/١، وينظر التاج (كثع) ٤٩١/٥.

(٤) ليس المراد في اعتقاب هذا الباب: هجيع وهزيع، وإنما هو في: هجع وهجأ .

قال: وهَجَّعَ القَوْمُ تَهْجِيْعاً، إذا نوَّمُوا» [١].

(باب اعتقاب الهمزة والغين)

٥- «قال أبو تُراب: سَمِعْتُ الباهِليَّ يَقُولُ: يُقَالُ لبَيْضَةِ القَمْلَةِ: صُغَابٌ وصُؤابٌ» [٢].

(باب اعتقاب الهمزة والميم)

٦- « رَوَى أبو تُرابٍ عَن شَمِرٍ: زَمَجَ بَيْنَ القَومِ، وَزَأَجَ؛ إذا حَرَّشَ» [٣].

(باب اعتقاب الهمزة والواو)

٧- « قَالَ أبو تُراب [٤] أَحِنَ عليه وَوَحِنَ منَ الإِحْنَة» [٥]

(باب اعتقاب الهمزة والألف اللّينة)

٨- قَالَ « ابنُ الفَرَجِ: سَمِعْتُ البَاهِلِيّينَ يَقُولون[٦]: وَطَا الرّجلُ المرأةَ ووَطَأَهَا، بالهَمْزِ؛ أيْ: وَطِئَها» [٧].

---

(١) التّهذيب ١٢٩/١.

(٢) التّهذيب ٢٧/٨، وينظر: اللّسان (صغب) ٥٢٥/١، ووفاق المفهوم ٢٠١.

(٣) التهذيب ٦٢٨/١٠، ويلاحظ تباعد مخرجي الميم والهمزة، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدّراسة.

(٤) في اللسان (أحن) ٨/١٣: « ابن الفرج...».

(٥) التّهذيب ٢٥٧/٥، وينظر: الفائق ٢٧/١.

(٦) في اللسان (مطأ) ١٥٧/١: «تقول» ولعله تحريف.

(٧) التّهذيب (مطأ) ١٥٧/١، وهذه المادة في التّهذيب (٤٤/١٤) منقولة بنصها عن ابن بزرج، وهي في التكملة (مطأ) ٥٠/١ عن ابن الفرج، وكذا في التاج (مطأ) ١١٨/١ مع اختلاف يسير في المادة، فلعل ما في التّهذيب سهو من بعض النساخ.

(باب اعتقاب الهمزة والياء)

٩- « قَـــالَ إسْحَاقُ بن الفَرَج[١]: قَالَ الأَصْمَعِيّ: الأَكَاسِمُ: اللُمَعُ من النَّبْتِ المُتَرَاكِبَة. يُقال: لُمْعَة أُكْسُومٌ ؛ أي: مُتراكمة، وأنشد:

أَكَاسِـــماً لـــلطَّرْف فِيهَـــا مُتَّسَـــعْ

وللأيُـــولِ الآيِـــلِ الطَّـــبِّ فَـــنَعْ

وقال غيره: روْضَةٌ أُكْسُومٌ ويَكسومٌ؛ أي نَديةٌ كثيرة ، وأبو يَكْسُوم من ذَلكَ» [٢].

(باب اعتقاب الباء والتاء)

١٠- « أبو تُراب: البَلابل والتَّلاتل: الشَّدَائد» [٣].

١١- « قَـــالَ أَبُـــو تُراب: قَالَ الأَصْمَعِيّ: رَجُل تِنبَلٌ وتِنتَلٌ، إذا كان قَصِيراً » [٤].

قَالَ ابنُ مَنظُور: « ورَوَاه أبو تُراب في باب الباءِ والتَّاءِ من الاعتقَابِ» [٥].

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب (٨٥/١٠) : « أبو تراب» بدل: وقال إسحاق بن الفرج.

(٢) التّهذيب ٨٥/١٠.

(٣) التّهذيب ٢٥٢/١٤، وينظر: الإبدال لأبي الطيب ٥٧٥/٢، و اللسان (تلل) ٧٩/١١.

(٤) التّهذيب ٣٥٥/١٤.

(٥) ينظر: اللسان (تنبل) ٨٠/١١.

(باب اعتقاب الباء والثّاء)

١٢- ((روى أبو تراب للأصمعيّ: بَلِجَ بالشَيء، وثَلِجَ به، بالباء والثّاء، إذا فرح به، يبلَجُ بَلَجاً، وقد أبلجني وأثلجني؛ أي: سَرَّني)) [١].

(باب اعتقاب الباء والحاء)

١٣- ((قال ابن الفرج: كان حَصِيص القوم وبَصِيصهم كذا؛ أي: عددهم)) [٢].

١٤- ((قال ابن الفرج: يقال احتضضت نفسي لفلان وابتضَضْتُها؛ إذا استزدتها)) [٣].

(باب اعتقاب الباء والحاء والنون)

١٥- ((قال أبو تراب: كان حَصِيص القوم وبَصِيصهم ونَصِيصهم كذا وكذا؛ أي: عددهم، بالحاء والنّون والباء)) [٤].

(١) التّهذيب ٩٨/١١، ويلاحظ تباعد مخرجي الحاء والباء في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدّراسة.

(٢) التّهذيب٤٠٢/٣، وينظر (باب اعتقاب الباء والحاء والنون)

(٣) التّهذيب ٣٩٨/٣، وينظر: اللسان (حضض) ١٣٦/٧.

(٤) التّهذيب ١١٧/١٢.

(باب اعتقاب الباء والدال)

١٦- « أبو تراب [١]: أَدَنَّ الرّجل بالمكان إدناناً ، وأَبَنّ إبناناً، إذا أقام، ومثله ممّا يعاقب فيه الدّال والباء: انبَرَى واندَرَى، بمعنى واحد» [٢].

١٧- قال أبو عمرو: « داكَ الرّجل المرأة يدوكها دَوْكاً، وباكها بَوْكاً، إذا جامعها. وأنشد:

فَدَاكَهـا دَوْكـاً عَـلَى الصِّـراطِ

لَيْـسَ كَـدَوْكِ زَوْجِهَـا الوَطْوَاطِ

وقال أبو تراب: قال أبو الرّبيع البكراويّ: دَاكَ القومُ إذا مَرِضوا، وهم في دَوْكَةٍ؛ أي : مَرَضٍ » [٣].

١٨- « قال ابن الفرج: حَدَجَه بالعَصا حَدْجاً وحَبَجَه بها حَبْحاً؛ إذا ضَرَبَهُ بِها» [٤].

(١) في اللسان (دنن) ١٣/١٦٠: ابن الفرج.

(٢) التّهذيب ١٤/٧٠.

(٣) التّهذيب ١٠/٣٣١، ٣٣٢.

(٤) التّهذيب ٤/١٢٦، وينظر: اللسان (حدج) ٢/٢٣٢.

(باب اعتقاب الباء والذّال)

١٩- « حكى أبو تراب [١] عن بعض بني سليم، يقال: تَذَقَّطْتُ الشيءَ تَذَقُّطـاً، وتَبَقَّطــته تَبَقُّطاً، إذا أخذتَهُ قليلاً قليلاً، ذكره في باب: اعتقابِ الباء والذال» [٢].

(باب اعتقاب الباء والسين)

٢٠- « قال ابن الفرج [٣]: سمعت أبا المقدام السّلميّ يقول: تسقّطت الخبرَ وتبقّطته؛ إذا أخذته شيئاً بعد شيء قليلاً قليلاً» [٤].

(باب اعتقاب الباء والسّين واللام)

٢١- « قــال ابــن الفرج: سمعتُ شُجَاعاً السّلميّ يقول: بَرْدٌ بَحْتٌ وسَحْتٌ ولَحْتٌ؛ أي: صادق، مثل ساحة الدّار وباحتها» [٥].

(باب اعتقاب الباء والشّين)

٢٢- « روى أبــو تراب، عن مُصعب الضِّبَابيّ: امرأة شِنظيانٌ بِنظيانٌ، إذا كانت سَيّئة الخلق صَخَّابَة» [٦].

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب ١٦/٢١٠: « قال ابن الفرج».

(٢) التّهذيب ١٦/٢١٠.

(٣) وفي اللسان (سقط) ٧/٣٢٠: «عن أبي تراب».

(٤) التّهذيب ٨/٣٩٣، ويلاحظ تباعد مخرجي السين والباء في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدّراسة.

(٥) التّهذيب ٤/٢٨٥، وينظر: اللسان (سحت) ٢/٤٢.

(٦) الــتّهذيب ١١/٣٣١، وينظر: اللسان (شنظ) ٧/٤٤٦، والمادة في هذا النّص أقرب إلى الإتباع، ولكن أبا تراب يتوسع في مفهوم الاعتقاب.

(باب اعتقاب الباء والصّاد)

٢٣- « أبو سعيد: هي الشَّصَائِبُ والشَّصَائِصُ للشَّدائد.

قال أبو تراب: وقال غيره: هي الشَّصَائب والشَّطَائب، للشّدائد» [١].

(باب اعتقاب الباء والطّاء)

٢٤- « أبو تراب عن الحُصَين [٢] يُقال: الْحَقْ بِطَيَّتِكَ وبِيَّتِكَ؛ أي: بحاجتك» [٣].

٢٥- « قال أبو تراب: الغَطَشُ والغَبَشُ واحد» [٤].

(باب اعتقاب الباء والعين)

٢٦- « أبو تراب عن زائدة: ما فيه بُلالة ولا عُلالة؛ أي: ما فيه بقيّة » [٥].

(باب اعتقاب الباء والفاء)

٢٧- « قال أبو تراب: سمعت السّلميّ يقول بَنَّشَ الرَّجُلُ في الأمر وفَنَّشَ، إذا استرخى فيه، وأنشد أبو الحسن:

إِن كُنتَ غَيْرَ صَائِدِي فَنَبِّشِ [٦]

---

(١) التّهذيب ٢٩٧/١١،والاعتقاب في هذا الباب في كلمتي: الشّصائب والشطائب، وأما الاعتقاب في «الشصائب» و «الشصائص» فسيأتي في فقرة رقم (١٧٩).

(٢) لعله: الحصيني.

(٣) التّهذيب ٥٤/١٤.

(٤) التّهذيب ١٦٢/١٦، وينظر: اللسان (غطش) ٣٢٤/٦، والإبدال في هاتين الكلمتين بين حرفين متباعدين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدّراسة.

(٥) التّهذيب ٣٤٣/١٥.

(٦) ينظر اللسان (نبش) ٣٥٠/٦.

قال: ويروى: فَبَنِّش، أي اقعُدْ» [١].

٢٨- « قال الأصمعي فيما يروي عنه أبو تراب: ضربه فجَعَبَهُ وجَعَفَهُ، إذا ضرب به الأرض. ويثقّلُ فيقال جَعَّبَهُ تَجْعِيْباً، أي صَرَعَهُ. قال: والْمُتَجَعِّبُ المَيِّتُ - أيضاً» [٢].

٢٩- «قال أبو تراب: قال الأصمعيّ: الشَّاسِب والشَّاسِف: الّذي يَبِسَ عليه جِلْدُهُ. وقال لبيد:

أَتِيكَ أَمْ سَمْحَجٌ تَخَيَّرَها ... خِلْجٌ تَسَرَّى نَحائِصا شُسُبا

وله:

تَتَّقِي الأَرْضَ بِدَفٍّ شاسِبٍ ... وضُلُوعٍ تَحْتَ زَوْرٍ قد نَحَلْ» [٣]

٣٠- « الأصمعيّ فيما روى له أبو تراب: شَطَفَ وشَطَبَ، إذا ذهب وتباعد، وأنشد:

أحان مِن جيرَتِنا خُفُوفُ ... وأَقْلَقَتْهُمْ نِيَّةٌ شَطُوفُ» [٤]

(باب اعتقاب الباء والقاف)

٣١- « قال ابن الفرج: سمعت أبا المقدام السّلميّ يقول: هذه بَاحَةُ الدار وقاحتُها، ومثله طين لازِبٌ ولازقٌ، ونَبِيْثَةُ البئر ونقيثَتُها، وقد نَبَّث عن الأمر ونَقَّثَ» [٥].

---

(١) التّهذيب ٣٧٧/١١.

(٢) التّهذيب ٣٨٨/١.

(٣) التّهذيب ٣٠٠/١١.

(٤) التهذيب ٣١٦/١١.

(٥) التّهذيب ١٢٧/٥، وزاد ابن منظور في اللسان (قيح) ٥٦٨/٢: «عاقبت القاف الباء»

(باب اعتقاب الباء واللام)

٣٢- « قـــال ابـــن الفَرَج: قال السّلميّ: بَرْدٌ بَحْتٌ لَحْتٌ؛ أي: برد صادق»[(١)].

٣٣- « أبـــو تـــراب: قال الأصمعيّ: شَخَل فلانٌ ناقته وشَخَبَها؛ إذا حلبها»[(٢)].

٣٤- « قـــال ابـــن الفرج: الهَرَاجِيبُ والهَرَاجِيْلُ: الضّخام من الإبل. وقال جِران العَوْد:

حـــتى إذا مَتعت والشمسُ حاميةٌ　　　مَدَّت سَوالِفَهَا الضُّهبُ الهَراجِيلُ

وقال رؤبة:

مِـــن كُـــلِّ قَرْوَاءَ وهِرْجابٍ فُـــنُقْ

وهو الضخم من كل شيء»[(٣)]

٣٥- « قال ابن الفرج: هو يَهْضِلُ بالكلام وبالشِّعْرِ ويَهْضِبُ به: إذا كان يَسُحّ سَحّاً، وأنشد:

كـــأَنّهُنَّ بِجِمَـــادِ الأَجْـــبَالْ

وقـــد سَـــمِعْنَ صَوْتَ حَادٍ جَلْجَالْ

مِـــنْ آخِـــرِ الـــلَّيْلِ عَلَيْهَا هَضَّالْ

عِقْـــبانُ دَجْـــنٍ ومَـــرازيحُ الغَالْ

---

(١) التّهذيب ٤٤١/٤، وينظر: اللسان (سحت) ٤٢/٢، و (لحت) ٨٣/٢.

(٢) التّهذيب ٨٤/٧.

(٣) التّهذيب ٥١٣/٦، وينظر: اللسان (هرجل) ٦٩٤/١١.

قال: قيل له:هَضَّال؛ لأنَّه يَهْضِلُ عليها بالشِّعر إذا حَدَا» [١].

(باب اعتقاب الباء والميم)

٣٦- « قال ابن الفرج في باب الميم والباء: المرجاس: حَجَرٌ يُرْمَى به في البِئرِ لِيُطَيِّب ماءَها، ويَفْتَحَ عُيُونَها، وأنشد:

إذا رأوا كـــــريهةً يَـــــرْمُونَ بي   رَمْيَــكَ بالمــرجَاس في قَعْــرِ الطَّــوِي

قال: ووجدت هذا الشعر في أشعار الأزد « بالبرجاس في قَعْرِ الطَّوِي» بالــباء. والشعر لسعد ابن المنتحِر البارقي، وهو جاهلي، رواه المؤرِّج له، وهو حَجَرٌ يُرْمَى به في البئر » [٢].

٣٧- قــال الأزهري: « أبو عبيد عن الفراء: جَرْدَبتُ الطَّعام، وهو أن يضع يده على الشيء يكون بين يديه [على]الخِوان كي لا يتناوله غيره ...

وروى أبــو تراب عن الفراء : جَرْدَبَ وجردَمَ بالمعنى الذي رواه أبو عبيد عنه. وأنشده الغنوي:

فــلا تجعَــلْ شِــمالَكَ جــردَبيلا

وزَعَمَ أنّ معناه أن يأخذَ الكسْرَةَ بيده اليُسرى، ويأكلَ باليُمْنَى فإذا فَنِيَ ما بين يدى القوم أكل ما في يده اليُسْرى» [٣].

٣٨- « أبــو عــبيدة: رجَــبتُ فلانــاً بقَولٍ سَيِّئٍ، ورَجَمْــتُهُ، بمعنى صككته. قال أبو تراب: وقال أبو العميثل مِثلَه» [٤].

---

(١) التّهذيب ٦/٩٩، وينظر: اللسان (هضل) ١١/٦٩٨.

(٢) التّهذيب ١١/٢٤٤، وينظر :اللسان (مرجس) ٦/٢١٧.

(٣) التّهذيب ١١/٢٤٩.

(٤) التهذيب١١/٥٤.

٣٩- «قال ابن الفرج حكاية عن بعض الأعراب، قال: السِّبَاح والسِّماح: بُيُوتٌ من أَدَم، وأنشد:

إذا كـان المسَارِحُ كالسِّماح» (١)

٤٠- قال أبو تراب: قال ابن شميل: خُذ الشَّفْرَة فالتُبْ بها في لَبَّة الجزور، والتُمْ بها بمعنى واحد، وقد لَتَمَ في لَبَّتها ولَتَبَ بالشَّفْرة؛ إذا طَعَن فيها بها انتهى والله أعلم» (٢).

(باب اعتقاب الباء والنون)

٤١- «قال أبو تراب: الكُبُوع والكُنُوع: الذّلّ والخضوع» (٣).

(باب اعتقاب الباء والياء)

٤٢- روى أبو تراب عن أبي سعيد الضّرير أنّه قال: إنّما هو اللّباء الّذي يجعل في قداد الجَدْي، وجعله تَصحيفاً من المُحَدِّث.

وقال أبو سعيد: اللبأ يُحْلَبُ في قدَاد، وهي جُلُودُ صغار المعْزَى، ثُمَّ يُمَلّ في الملّة حتّى يَيْبَس ويجمد، ثمّ يخرج ويباع كأنّه الجُبْن، فإذا أراد الآكل أكله قشا عنه الإهاب الّذي طُبِخَ فيه، وهو جلْدُ السَّخْلَة الّذي جُعلَ فيه.

قال أبو تراب: وقَالَ غَيْرُه: هو اللّياءُ - بالياء - وهو من نَبَات اليَمَن، ورُبّما نَبَتَ بالحِجاز في الخِصْب، وهو في خلْقَة البَصَلَة، وقَدْرِ الحِمَّصة، وعليه قُشُور رقاق، إلى السَّواد ما هو، يُقلَى ثمّ يُدَلك بشيء خشن، كالمِسْح ونحوه؛

(١) التهذيب ٣٤٦/٤، وينظر: اللسان (سمح) ٤٩٠/٢.

(٢) التّهذيب ٢٩٦/١٤.

(٣) التهذيب ٣٢٦/١.

فيخرج من قشرة؛ فيؤكل بحتاً ، ورُبَّمَا أُكِلَ بالعسل، وهو أبيض، ومنهم من لا يقبله» [١].

(باب اعتقاب التاء والطاء)

٤٣- « قـــال أبو تراب: سمعت عراماً يقول ... وكذلك امرأة سَلَطَانة وسَلَتَانة[٢] »

(باب اعتقاب التاء والفاء)

٤٤- « أبو تراب عن عرّام: ظلّ لبطنه نَتِيتٌ ونَفِيتٌ؛ بمعنى واحد » [٣]

(باب اعتقاب التاء والكاف)

٤٥- « روى ابـــن الفـــرج عن أبي سعيد قال: العِتْرة: ساق الشجرة. قـــال: وعـــترة النبي – صلى الله عليه وسلم – عبد المطلب وولده. قال: ومن أمثالهم: عادت لعِتْرِها لميس ولعِكْرِها؛ أي: أصلها» [٤].

٤٦- « أبـــو تراب: قال الأصمعيّ: لعن الله أمّا لتأت به، ولَكَأت به، أي: رمت به، قال: وقال شمر: لتأتُ الرجلَ بالحجر إذا رميته به، ولَتَأْتُه بعَيْنِي لَتْأً إذا أَحْدَدْتَ إليه النّظر» [٥].

(باب اعتقاب التّاء والميم)

---

(١) التّهذيب ٩/٢٠٧، وواضح أنه لا تعاقب بين اللفظين، فلكل منهما معنى ليس في الآخر، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٢) التّهذيب ١/٢١٣، وسيرد هذا النص في باب اعتقاب القاف والنون.

(٣) التهذيب ١٤/٢٥٤، وينظر: التكملة (نتت) ١/٣٤٢.

(٤) التّهذيب ٢/٢٦٤.

(٥) المتهذيب ١٤/٣٢٢، وينظر: اللسان (لكأ) ١/١٥٣.

٤٧- « قال أبو تراب في باب التاء والميم: قال الأصمعيّ: تئق الرُّجلُ، إذا امتلأ غضباً، ومَئِق، إذا أخذه شبه الفُواق عند البكاء قبل أن يبكي.

وقال : وكان أبو سعيد يقول في قولهم: أنا تَئِقٌ وأنت مَئِقٌ، أنت غضبان وأنا غضبان.

قال: وحكاه أبو الحسن عن أعرابي من بني عامر» [١].

(باب اعتقاب الثاء والذال)

٤٨- « قال أبو تراب: يقال: هو ذو ذَرْوَة من المال؛ أي ذو ثَرْوَة» [٢].

٤٩- « قال أبو تراب [٣]: حَذَوْتُ التُّرَابَ في وجوههم، وحَثَوْتُهُ بمعنى واحد. قال: وفي حديث النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أنّه أَبَدَّ يده على الأرض عند انكشاف المسلمين يوم حنين فأخَذَ منها قبضة من تراب فحذا بها في وجوههم فما زال حَدُّهم كليلاً، أي: حثا» [٤].

٥٠- قال الأزهريّ: « روى أبو تراب للأصمعيّ أنه قال: رأيتُ القومَ مُذْعَابِّين كَأَنَّهُم عُرْفُ ضِبعان، ومُثْعَابِّين بمعناه، وهو أن يَتْلُوَ بعضُهُم بعضاً.

قلت [٥]: وهذا عندي مأخوذ من انثعب الماء وانذعب إذا سَالَ واتَّصَلَ جَرَيَانُهُ في النَّهر» [٦].

---

(١) التّهذيب ٩/٢٥٩.

(٢) الفائق ٢/٧.

(٣) في اللسان (حذا) ١٤/١٧٢: « عن ابن الفرج».

(٤) التّهذيب ٥/٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) القائل: الأزهري.

(٦) التّهذيب ٢/٣٢٣.

(باب اعتقاب الثّاء والسّين)

٥١- « قال المُفضَّلُ: كَسَحَ وكَثَحَ بمعنى واحد. حكاه أبو تراب» [١].

(باب اعتقاب الثّاء والشّين)

٥٢- « قـــال أبو تراب: سَمِعْتُ أبا مِحْجَن الضّبابيّ يقول: مُثَّ الجُرْحَ ومُشَّه؛ أي: انفِ عنه غَثِيثَتَهُ» [٢].

(باب اعتقاب الثّاء والفاء)

٥٣- قـــال ابـــن منظور: « ويقال للحديد اللّيّن: أنِيفٌ وأنِيثٌ، بالفاء والثّاء، قال الأزهري [٣]: حكاه أبو تراب» [٤].

٥٤- « قال أبو تراب: الثّوج: لغة في الفوج. وأنشد لجندل:

مِـــنّ الدَّبَـــا ذَا طَـــبَقٍ أثَـــايِجِ

ويروى: أفاوِج؛ أي: فَوْجاً فَوْجاً» [٥].

٥٥- « قال ابن الفرج: يقال للعجوز عُفّة وعُثّة. قال: والعُفّة: سَمَكَة جَرداء بيضاء صغيرة إذا طبخت فهي كالأرز في طعمها» [٦].

٥٦- « روى ابـــن الفرج للأصمعيّ أنه قال: انقعث الجدار وانقعف، إذا سقط من أصله. وروى عنه – أيضاً – أنّه قال: اقتعث الحافر اقتعاثاً، إذا

---

(١) التهذيب ٩٣/٤.

(٢) التّهذيب ٧٢/١٥ن وينظر: اللسان (مثث) ١٨٩/٢.

(٣) ذكره الأزهري في التّهذيب ٤٨٣/١٥ ولم يعزه لأحد. ولعلّه ممّا غيره النُّسّاخ.

(٤) اللسان (أنف) ١٥/٩، وهو في العباب (أنف) ٣٧ عن أبي تراب أيضاً.

(٥) التّهذيب ١٧٠/١١.

(٦) التهذيب ١١٦/١،وينظر: العباب (حرف الفاء) ٤٤٧.

استخرج تراباً كثيراً من البئر» [١].

٥٧- « قـــال أبو تراب: وقال عرّام:القُعاث: داءٌ يأخذ الغنم في أنوفها قال: وانقعث الشّيء وانقعف، إذا انقلع» [٢].

٥٨- « قال أبو تراب: هي النَّفِّيَّة و النَّثِّيَّة» [٣].

(باب اعتقاب الثّاء والهاء)

٥٩- « قال أبو تراب: سمعت زائدة البكريّ يقول: العرب تدعو ألوان الصوف: العِهْن، غير بني جعفر فإنّهم يدعونه العِثْن، بالثاء. قال: وسمعت مُدْرِك ابن غَزْوان الجعفريّ وأخاه يقولان: العِثْن: ضربٌ من الـــخـــُوصةِ يرعاه المال إذا كان رَطْباً، فإذا يبس لم ينفع.

وقال مُبتكر: هي العِهْنة، وهي شجرة غبراء ذات زهر أحمر» [٤].

(باب اعتقاب الجيم والحاء)

٦٠- «أبـــو تراب عن اللّحيانيّ: رجل مُجَارَف ومحارف، وهو الّذي لا يكسِبُ خيراً » [٥].

٦١- قال الأزهريّ: « قال أبو تراب: سمعت أبا السّميدع يقول: سِرنا عُقْـــبَةً [٦] مَتُوجاً، ومَتُوحاً؛ أي: بعيدة، وذكره في باب الجيم والحاء. ويقال – أيضاً – في باب الجيم والحاء...» [٧].

---

(١) التّهذيب ٢١٥/١.

(٢) التّهذيب ٢١٥/١، والقُعاثُ ليس فيه اعتقاب، ولكنه في قوله: وانْقَعَثَ الشيءُ وانْقَعَفَ.

(٣) العباب (حرف الفاء) ٦١٠، والنَّفِّيَّة: سُفْرَة تتخذ من خُوْصٍ مُدَوَّرة، وينظر: الفائق ١٣/٤.

(٤) التهذيب ٣٣١/٢، وينظر: اللسان (عتن) ٢٧٧/١٣.

(٥) التّهذيب ٤٢/١١.

(٦) قال محقق التّهذيب ٨/١١: « كذا ضبطت في الأصول بضم العين وسكون القاف، وهو يوافق ما في التاج (متج) قال: وفي بعضها محركة وهو الأكثر».

(٧) التّهذيب ٨/١١.

(باب اعتقاب الجيم والخاء)

٦٢- « أبو تراب عن أبي المقدام السّلميّ: جَدَفَتِ السّماء بالثّلج، وخَذَفَتْ، تَجْدف وتَخْذف، إذا رَمَت به » [١].

٦٣- قال أبو تراب: بعد أن ذكر مَتُوجاً ومَتُوحاً [٢] في باب الجيم والحاء: « ويقال - أيضاً - في باب الجيم والخاء، [و]سمعت أبا السّميدع ومُدركاً ومُبتكراً الجعفريِّين، يقولون: سِرنا عُقْبَةً مَتُوجاً ومتوخاً، أي بعيدة، فإذا هي ثلاث لغات: مَتُوح ومتوخ ومتوج» [٣].

٦٤- قال الأزهريّ: « أمّا العظيم الهشّ الوالج في جوف القَرْن فإنّ أبا خيرة قال: هو المَريخ والمَريج. ويجمعان: أَمْرِخَة وأَمْرِجَة. رواه أبو تراب له في كتاب الاعتقاب [٤].

قال: وسألت عنهما أبا سعيد، فلم يعرفهما.

قال: وعَرَف غيرُه: المَرِيخ: القَرْن الأبيض، الذي يكون في جوف القَرْنِ» [٥].

---

(١) التّهذيب ٦٧٣/١٠ و في الهامش: « في ل حذفت بالجيم والذال المعجمتين، وفي الأصل بالخاء بدل الجيم والذال المعجمتين ، وكلاهما صحيح » وفي هذه المادة اعتقاب آخر بين الدال والذال، سيرد في مكانه ، وبهذا يكون الاختلاف في هاتين الكلمتين بين أكثر من حرفين، وقد أشرت إليه في نقد النصوص من الدراسة.

(٢) ينظر الفقرة رقم (٦١).

(٣) التّهذيب ٨/١١.

(٤)في بعض نسخ التّهذيب ٥٣٨/٧: « حكاه ابن الفرج في كتاب الاعتقاب».

(٥) التهذيب ٥٣٩/٧،٥٣٨.

٦٥- وقـال الأزهـريّ في موضع آخر: «أبو تراب[١] - عن بعض العرب - قال: المِرِّيخ: الرّجل الأحمق.

والمِرِّيخ: السَّهم الذي يُغالى به.

والمِرِّيخ: القَرْن الذي في جوف القَرْن.

ويقال له: المَرِيخ.

وقـال أبـو خـيرة: المِرِّيخ والمِرِّيج - بالخاء والجيم جميعاً - القَرْن الداخل ويُجمعان: أَمْرِخةٌ وأَمْرِجة.

وقال أبو تراب: سألت أبا سعيد عن المِرِّيخ والمِرِّيج فلم يعرفهما. قال: وعرف غيره: المِرِّيخ»[٢].

(باب اعتقاب الجيم والدّال والشّين)

٦٦- «روى ابـن الفرج عن أبي سعيد أنه قال : الارتعاج والارتعاش والارتعاد واحد»[٣].

(باب اعتقاب الجيم والزاي)

٦٧- «قـال أبـو تـراب: مضـى هجيعٌ من اللّيل، وهـزيعٌ، بمعنى واحـد»[٤].

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب ٣٨٣/٧ «ابن الفرج».

(٢) التّهذيب ٣٨٣/٧، ٣٨٤، وينظر: اللسان (مرخ) ٥٤/٣ ويلاحظ أن اتحاد الدلالة بين الكلمتين ليس واضحاً، وقد أشرت إلى هذا في نقد النصوص من الدراسة.

(٣) التّهذيب ٣٦٤/١.

(٤) التّهذيب ١٢٩/١.

(باب اعتقاب الجيم والعين واللام)

٦٨- «قــال أبــو تراب : يقال: هو جِبس عِبْس لِبس: إتباع، ويوم عبوس: شديد» [(١)].

(باب اعتقاب الجيم والكاف)

٦٩- «قــال الأصــمعيّ - فيما رِوى ابن الفرج - الجذّان والكذّان: حجــارة رِخْــوة، الواحدة: جَذّانه وكذّانة، ومن أمثالهم السّائرة في الّذي يقدم على اليمين الكاذبة: جَذَّهَا جذّ البعير الصِّلّيانة، أرادوا أنّه أسرع إليها» [(٢)].

٧٠- « قال إسحاق بن الفرج: سمعت شجاعاً السّلميّ يقول: العبكة: الرجل البغيض الطَّغَامة ، الذي لا يَعِي ما يقول ، ولا خير فيه.

قــال: وقــال مُــدرك الجعفريّ: هو العَبَجة، جاء بهما في باب الكاف والجيم» [(٣)].

(باب اعتقاب الحاء والخاء)

٧١- « أبو سعيد - فيما روى عنه أبو تراب: حَبَجَهُ بالعصا، وخَبَجَه بها، إذا ضربه بها » [(٤)].

٧٢- «قــال ابن الفرج: سمعت أبا الجهم الجعفريّ يقول: سَبَحْتُ في الأرض، وسبختُ فيها؛ إذا تباعدت فيها.

قال: وسَبَحَ اليربوع في الأرض إذا حَفَرَ فيها، وسَبَحَ في الكلام إذا أكثر فيه» [(٥)].

---

(١) التّهذيب ٢/١١٥، ينظر: اللسان (عبس) ٦/١٢٩.

(٢) التّهذيب ١٠/٤٧٠.

(٣) التهذيب ١/٣٨٧، وينظر: اللسان (عبج) ٢/٣١٧.

(٤) التّهذيب ٧/٦٩.

(٥) التّهذيب ٤/٣٣٧.

٧٣- «قال أبو سعيد المتْح: القَطْع. يقال: مَتَحَ الشيء ومَتَخَه إذا قطعه من أصله، وقال: مَتَحَ بسَلْحه ومَتَخَ به؛ إذا رَمَى به. رواه أبو تراب عنه» [١].

٧٤- «قال ابن الفَرَج: مَحَجَ المرأة ومَخَجَها إذا نَكَحَها، ومَحَجَ اللبن ومَخَجَه إذا مَخَضَه» [٢].

٧٥- «قال ابن الفرج: سمعت جماعة من قيس يقولون: النَّضْحُ والنَّضْخُ واحد، قال: وقال أبو زيد: نضحته ونضخته بمعنى واحد، قال: وسمعت الغنوي يقول: النَّضْح والنَّضْخ، وهو فيما بان أَثَرُهُ وما رَقَّ بمعنى واحد.

قال: وقال الأصمعي: النَّضْخ: الذي ليس بينه فُرَج، والنَّضْحُ أَرَقّ منه» [٣].

(باب اعتقاب الحاء والراء)

٧٦- «قال أبو تراب: وسمعت عُتَيِّر بن غَرْزَة الأسديّ يقول: اثْعَنجَحَ المَطَرُ بمعنى اثْعَنجَرَ [٤] إذا مال وكثر وركب بعضه بعضاً، فذكرته لشمر فاستغربه حين سمعه، وكتبه، وأنشدته فيه ما أنشدني عُتَيِّر لعَدِيّ بن عليّ الغاضريّ في الغيث:

جَوْنٌ تَرَى فيه الرَّوَايَا دُلَّحا
كَأَنّ جِنّانا وبَلْقا ضُرَّحَا
فيه إذا ما جُلْبُهُ تَكَلَّحا

(١) التّهذيب ٤/٤٥٢.

(٢) التهذيب ٤/١٧١.

(٣) التّهذيب ٤/٢١٢، وينظر: اللسان (نضح) ٢/٦١٨.

(٤) في التّهذيب ٣/٢٦٣: «اثعحنجر» وهو تحريف أو سهو.

وســـحَّ سحّاً مَاؤُهُ فاثْعَنجَحَا »[١]

(باب اعتقاب الحاء والسين)

٧٧- « قـــال أبو تراب: جاء عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم - أنه قال لعمّار: ويحك يا ابن سُمَيَّة بُؤساً لك، تَقْتُلك الفئة الباغية.

[و] قـــال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعائشة ليلة تبعته [٢] وقد خرج من حُجْرَتها، فنظر إلى سوادها فلحقها، وهي في جوف حُجرها، فوجد لها نَفَساً عالياً، فقال: وَيْسَها، ماذا لَقِيت اللّيلة؟» [٣]

(باب اعتقاب الحاء والسّين واللام)

٧٨- « قـــال اليزيديّ: الوَيحُ والوَيْسُ بمنزلة الوَيْل في المعنى. وقال أبو تراب: سمعت أبا السّميدع يقول في هذه الثّلاثة: إنّ معناها واحد»[٤].

٧٩- « قـــال إســـحاق [بن] الفرج: الوَيْحُ والوَيْلُ والوَيْسُ بمعنى واحد.

قال: وقال الخليل: ويس [٥] كلمة في موضع رأفة واستملاح، كقولك للصّبيّ: ويحه ما أملحه، ووَيْسَه ما أملحه.

قال: وسمعت أبا السميدع يقول: ويحك وويسك ووَيْلك بمعنى واحد.

قال: وقال اليزيدي: الوَيْح والويل بمعنى واحد»[٦].

(باب اعتقاب الحاء والعين)

---

(١) التّهذيب ٢٦٣/٣.

(٢) في التهذيب ٢٩٥/٥: « تبعت النبي ».

(٣) التّهذيب ٢٩٥/٥، وينظر: اللسان (ويح) ٦٣٩/٢.

(٤) التّهذيب ١٤٤/١٣.

(٥) في التّهذيب ٢٩٤/٥ « وليس » و التصويب من العين ٣٣٢/٧.

(٦) التّهذيب ٢٩٤/٥، ينظر: اللسان (ويح) ٦٣٩/٢.

٨٠- «روى (١) أبـــو تراب للأصمعي: حَظَبَ على العمل وعَظَب إذا مَرَنَ عليه.

وقال: وقال أبو نصر: عَظَبَتْ يده إذا غلظت على العمل.

قال: وعَظَب جِلْدُه: إذا يبس.

وقال عثمان الجعفريّ: إنّ فلانا لحسن العُظُوب على المصيبة، إذا نزلت به، يعني أنّه حسن التَّصَـبُّر جميل العزاء.

وقـــال مبـــتكر الأعرابيّ: عَظَب فلان على مالِه، وهو عاظب؛ إذا كان قائماً عليه؛ وقد حَسُنَ عُظُوبُهُ عليه» (٢).

٨١- «روى ابـــن الفـــرج عـــن أبي سعيد الضّرير أنه قال: الأَرْصَحُ والأَرْصَعُ والأَزَلُّ: واحد.

قال: وقال ذلك أبو عمرو.

ويقـــال: الرَّصَـــعُ: قـــرب ما بين الوَرِكين، وكذلك الرَّصَحُ والرَّسَحُ والزَّلَل» (٣).

٨٢- «قـــال ابـــن الفَـــرَج: سمعـــت خليفة الحصينيّ يقول: المُقاذحة والمقاذعة: المشاتمة، وقاذحني فلان وقابحني: شاتمني» (٤).

(باب اعتقاب الحاء والكاف)

٨٣- «قـــال أبـــو تـــراب: قـــال أبو عمرو وابو سعيد في باب الحاء والكاف: السُّلَحَة والسُّلَكَة: فَرْخ الحَجَل، وجمعه سِلْحانٌ وسِلكانٌ» (٥).

(١) في التّهذيب ٣٠٢/٢ «رواه» والتصويب من الهامش.

(٢) التّهذيب ٣٠٢/٢

(٣) التهذيب ٢٤٠/٤، ٢٤١، وينظر: اللسان (رصح) ٤٥٠/٢.

(٤) التّهذيب ٣٦/٤، وينظر: اللسان (قذح) ٥٥٧/٢.

(٥) التّهذيب ٣١١/٤.

(باب اعتقاب الخاء والهاء)

٨٤- قال ابن الفرج: أمر مُدَخْمَسٌ ومُدَهْمَسٌ: إذا كان مستوراً»[١].

٨٥- «قـــال أبوتراب – عن أصحابه : شباب مُطْرَهِمٌّ ومُطْرَخِمٌّ: بمعنى واحد»[٢].

(باب اعتقاب الدّال والذّال)

٨٦- « أبـــو تـــراب عن أبي المقدام السّلميّ: جَدَفَتِ السَّماءُ بالثلج، وخَذَفَتْ، تَجْدِفُ وتَخْذِفُ، إذا رَمَتْ به»[٣].

٨٧ – « روى إســـحاق بـــن الفرج عن شبانة الأعرابيّ أنه قال: غُلامٌ أُملودٌ وأفلودٌ إذا كان تاماً محتلماً شَطْباً»[٤].

(باب اعتقاب الذّال والزّاي)

٨٨- «قـــال إســـحاق بـــن الفرج: تقول العرب: أَقْزَعَ له في المنطق، وأَقْذَعَ، وأَزْهَفَ ؛ إذا تعدّى في القول»[٥].

---

(١) التّهذيب ٧/٦٦١.

(٢) التّهذيب ٧/٦٧٦.

(٣) التهذيب ١٠/٦٧٣، وفي هذا النصّ اعتقاب آخر بين الجيم والخاء، وقد أوردته هناك في المادة ذات الرقم (٦٢).

(٤) التّهذيب ١٤/١٣٣، وسيأتي أيضاً في اعتقاب الفاء والميم في المادة ذات الرقم (٢٧٢).

(٥) التّهذيب ١/١٨٦، وينظر: اللسان (قزع) ٨/٢٧١، وفيه «قال أبو تراب...»

(باب اعتقاب الذّال والضّاد)

٨٩- « روى ابن الفرج عن بعض العرب: غَضَضْتُ منه وغَذَذْتُ؛ أي: نقصت» [١].

(باب اعتقاب الرّاء واللام)

٩٠- « قال أبو تراب: قال شجاع: الجِرْمَاق والجِلْماق : ما عُصِبَ به القوس من العَقَب. والجرامقة: جيل من النّاس» [٢]

٩١- «أبو تراب: مَرَّ مَرّاً دَرَنفَقَا ودَلَنفَقَا، وهو مَرٌّ سريع شبيه بالهَمْلَجَة [٣]. وأنشد قول عليّ بن شيبة الغَطَفَانيّ:

فَـراحَ يُعَـاطِيهُنَّ مَشْياً دَلَنفَقَا وهُـنَّ بِعِطْفَيـهِ لَهُنَّ خَبِيبُ» [٤]

٩٢- « أبـو تراب عن زائدة: يقال: رَدَّه عن الأمْر ولَدَّه، أي: صَرَفَهُ عنه برفق، قال: والرَّدُّ: الظّهْر والحَمُولَةُ من الإبِل» [٥].

٩٣- « يقـال: انشـمل الرّجل في حاجته، وانشمر فيها، وأنشد أبو تراب:

وَجْـناءُ مُقْـورَّةُ الأليـاطِ يَحْسَـبُها
مـن لم يكُـن قـبلُ رَاهـا رَأْبَـةً جَمَلاً

حَـتّى يَـدُلَّ عـليها خَـلْقُ أَرْبَعَـةٍ
في لازقٍ لَحِـقَ الأَقْـرَابَ فانشَـمَلا

---

(١) التّهذيب ٦١/١٦، وينظر: اللسان (عذذ) ٥٠١/٣.

(٢) التّهذيب ٣٧٨/٩.

(٣) الهَمْلَجَةُ: حُسْنُ سير الدّابّة في سرعة وبخترة. ينظر: اللسان (هملج) ٣٩٣/٢/ ٣٩٤.

(٤) التّهذيب ٤٢٢/٩، وفيه : فراح يعاطين. وهو تحريف، وينظر: اللسان (درفق) ٩٦/١٠.

(٥) التّهذيب ٦٤/١٤، ٦٥.

أراد أربعة أخلاف في ضرعٍ لازقٍ لَحِقَ أقرابها فانشمَرَ وانضمّ.

وقال لآخر:

رَأَيْـــتُ بَـــنِي العَـــلاَّتِ لمـــا تَضَـــافَرُوا
يَحُـــوزون سَـــهْمِي دُونَهُـــم في الشَّمائِلِ

أي: يُترلونني بالمترلة الخسيسة، والعرب تقول: فلان عندي باليمين، أي بمترلة حسنة، وإذا خَسَّتْ مترلته قال: أنت عندي بالشِّمال.

وقال عديّ بن زيد يخاطب النّعمان بن المنذر، ويفضّله على أخيه:

كَيْـــفَ تَـــرْجُو رَدَّ المُفِيـــضِ وقَدْ أخَّـــ
رَ قِدْحَيْـــــكَ في بَيَـــاضِ الشِّـــمالِ

يقول: كنت أنا المُفيضَ بقدح أخيك وقِدْحك ففَوّزْتُك عليه، وقد كان أخوك قد أخَّرَك، وجعل قِدْحَك بالشِّمَال لئلا يَفوزَ.

قـــال: ويقال: فلان مشمول الخلائق، أي كريم الأخلاق، أُخِذَ من الماء الّذي هَبّتْ به الشَّمَال فَبرَّدَتْه» [١].

٩٤- « أبـــو تراب: قال الأصمعيّ: إنّه لُمطْرَخِمٌّ و مُطْلَخِمٌّ، أي: متكبِّرٌ و متعظِّمٌ وكذلك: مُسْلَخِمٌّ» [٢].

٩٥- « عُلْجُوم وعُرْجُوم؛ عن أبي عمرو و أبي تراب» [٣].

٩٦- « قـــال ابن الفرج: يقال: فَرْطَح القُرْصَ و فَلْطَحَه، إذا بسطه، وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حيَّة:

جُعِـــلَتْ لَهَازِمُـــهُ عِـــزِينَ ورأسُـــه

---

(١) التّهذيب ١١/٣٧٣، ٣٧٤، وينظر: اللسان (شمل) ١١/٣٦٥.

(٢) التّهذيب ٧/٦٧٩.

(٣) الفائق ٢/٤١٦، والعُرْجوم والعُلْجوم: الناقة الشديدة الغليظة.

كالقُــرص فُــرْطِحَ من طَحِين شعير [1]

٩٧- قال الأزهريّ: «قال الأصمعيّ فيما روى عنه أبو تراب - أيضاً: القَندَفِيلُ: الضَّخم:

وقال المخروع السَّعديّ:

مَائِــرة الضَّــبْعَين قَــنْدَفيلُ

وقال ابن دريد: القَنْدَفِيرُ: العَجُوز» [2]

٩٨- «أبو تراب: نَمَر في الجَبَلِ والشَّجَر ونَمَل، إذا عَلا فيها» [3].

٩٩- «روى أبو تراب للأصْمَعِيِّ: هَدَر الغُلامُ وهَدَلَ: إذا صَوَّت، قال. وقــال أبــو السَّمَيْدَع: ذاك؛ [4] إذا أراغ الكلام وهو صغير، وأنشد قول ذي الرُّمَّة:

طَــوَى الــبَطْنَ زَيّــامٌ كَــأنَّ سَــحِيلَه

عَــلَيهِنَّ إذ وَلَّــى هَدِيــلُ غُــلام

أي: غِناء غلام» [5].

١٠٠-«قال أبو تراب أنشدني أبو خليفة الحُصينيّ لرجل يصف الجُعَلَ:

أَسْــوَدُ كالــلّيلِ وَلَيْــسَ بالــلَّيْلْ

لَــه جَــناحان وليــس بالطَّــيْــرْ

(١) التّهذيب ٣٢٩/٥، وينظر: اللسان (فلطح) ٥٤٩/٢.

(٢) التّهذيب ٤٢٣/٩.

(٣) التّهذيب ٢١٨/١٥، وينظر: اللسان (نمر) ٢٣٦/٥.

(٤) أي هذا القول الّذي تقدّم وهو «هَدَرَ الغلام وهَدَل».

(٥) التهذيب ١٨٨/٦.

يَجُـــرُّ فَدَّانـــا وليـــس بالـــثَّوْر

فجمع بين الرّاء واللام في القافية، وشَدَّد الفدّان» [١].

(باب اعتقاب الراء والميم)

١٠١- « قـــال أبو تراب: سَمْعتُ رافعاً يقول: لي عنده خُرَاشةٌ وخُمَاشَةٌ؛ أي: حَقٌّ صغير» [٢].

١٠٢- «قال أبو تراب: قال شُجَاع: سار القومُ وساموا، بمعنى واحد» [٣].

١٠٣- « قـــال ابـــن الفـــرج: قال الأصمعي:تركت القوم في غَيثرة وغَيثمة؛ أي: في قتال واضطراب» [٤].

١٠٤- « قـــال إســـحاق بن الفرج: سمعت أبا السَّمَيدع يقول: كَمَعَ الفَرَسُ والرَّجُلُ والبعير في الماء وكرع، ومعناهما شرع» [٥].

١٠٥- «وقال ابن الفرج: قال الأصمعيّ: الوغرُ والوغم الذَّحْلُ. قال: وقـــال بعضـــهم: ذهب وَغَرُ صدره ووَغَمُ صدره ؛ أي: ذهب ما فيه من الغِلّ والعَداوة» [٦].

---

(١) التّهذيب ١٤/١٤١، وينظر: اللسان (فدن) ١٣/٣٢١ وبهذا يرى أبو تراب أن الجمع بين الراء واللام في القافية ضرب من الاعتقاب، وقد أشرت إلى توسّعه في مفهوم الاعتقاب في الحديث في نقد النصوص، من الدراسة.

(٢) التّهذيب ٧/٨٠.

(٣) التّهذيب ١٣/١١٣.

(٤) التهذيب ٨/٨٨.

(٥) التّهذيب ١/٣٣٠، وينظر: التكملة (كمع) ٤/٣٤٨.

(٦) التّهذيب ٨/١٨٦.

(باب اعتقاب الرّاء والنّون)

١٠٦- « قال إسحاق بن الفرج: قال الأصمعيّ: يقال: ما أصبت منه حَبَرْبراً ولا حَبَنبَراً؛ أي: ما أصبت منه شيئاً.

قال: وقال أبو عمرو: يقال: ما فيه حَبَرْبَرٌ ولا حَبَنبَرٌ، وهو أن يخبرك بالشيء فتقول ما فيه حَبَنْبَرٌ» [1].

١٠٧- «قال ابن الفرج: سمعت بعض بني سليم يقول: قد رَجَعَ كلامي في الرّجل ونَجَعَ فيه، بمعنى واحد.

قال: ورجع في الدّابّة العَلَفُ ونَجَعَ؛ إذا تَبَيَّنَ أثره.

قال: والتّرجيع في الأذان: أن يكرّر قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله.

ورَجْع الوَشْم والنُّقوش وترجيعه: أن يعاد عليه السَّواد مَرَّةً بعد أُخرى» [2].

١٠٨- « قال أبو تراب: سَمعت أبا السَّمَيْدَع يقول: المَنجُولُ الّذي يُشَقّ من رجليه إلى مَذْبَحه، والمَرْجُول: الّذي يُشَقُّ من رجليه ثم يُقْلَبُ إهابه» [3].

١٠٩- «قال ابن الفرج: الضِّبْن والضِّبر: الإبط، وأنشد:

ولا يَئُوبُ مُضْمَراً في ضِبْرِي
زَادي وقَدْ شَوَّلَ زادُ السَّفرِ

(١) التّهذيب ٣٣٧/٥.

(٢) التّهذيب ٣٦٨/١، وينظر: اللسان (رجع) ١١٨/٨.

(٣) التّهذيب ٨٢/١١.

أي: لا أخبأُ طعامي في السَّفَرِ فأؤوب به إلى بيتي، وقد نَفِدَ زادُ أصحابي، ولكن أطعِمُهم إياه.

ومعنى: شَوَّلَ: خَفَّ وقَلَّ، كما تُشَوِّل المَزَادةُ، إذا بقي فيها جُزَيعةٌ من ماء» [١].

١١٠- « رَوى أبو تراب للأصمعي: إنه لمنيع الفِنطِيسة والفِرْطِيسة، وهي الأرنبة؛ أي: هو منيع الحوزة حَمِيُّ الأنف.

وقال أبو سعيد: فِنطيسة الذِّئب وفِرْطيسته: أَنْفُه» [٢].

١١١- « قال أبو تراب: سمعت مُزَاحِماً يقول: تفكّن وتفكّر: واحد» [٣].

١١٢ :- «قال أبو تراب: قال أبو عمرو: الكَدَنُ أن تُنزحَ البئر فيبقى الكَدَرُ، فذلك الكَدَن.

يقال: أدركوا كَدَن مائكم؛ أي: كَدَرَه.

ويقال: كَدِن الصِّلِّيان إذا رُعِيَ فُرُوعُهُ وبقيت أُصُولُه» [٤].

(باب اعتقاب الرّاء والهاء)

١١٣- « قال أبو سعيد: هَدَّمَ [٥] فلان ثوبه ورَدَّمَه: إذا رَقَّعَهُ . رواه أبو تراب [٦] عنه» [٧].

١١٤- «قال ابن الفرج: المِهزام: عصا قصيرة، وهي المرزام، وأنشد:

فَشَامَ فيها مِثْلَ مِهزامِ العَصَا

(١) التّهذيب ١٢/٣٠، وينظر: اللسان (ضبر) ٤/٤٨٠.

(٢) التّهذيب ١٣/١٤٨.

(٣) التّهذيب ١٠/٢٨٠.

(٤) التّهذيب ١٠/١٢٢.

(٥) في التّهذيب ٦/٢٢٤: « هَدَمَ » وفي اللسان (هدم) ١٢/٦٠٥: «هَدَّم».

(٦) في بعض نسخ التّهذيب ٦/٢٢٤: « ابن الفرج» وكذا في اللسان (هدم) ١٢/٦٠٥.

(٧) التّهذيب ٦/٢٢٤.

ويُرْوَى: مثل مِرْزام» [١].

١١٥- «روى أبو تراب لبعضهم: نَزَّرَه عن كذا؛ أي: نَزَّهَهُ» [٢].

(باب اعتقاب الراء والواو)

١١٦- «روى أبــو تــراب [٣] لبعض العرب: رُمْحٌ مَرْكوزٌ، وموكوزٌ بمعنى واحد، وأنشد:

والشَّوْكُ في أَخْمصِ الرّجلين مَوكُوزُ» [٤].

(باب اعتقاب الرّاء والألف اللّينة)

١١٧- «قال أبو تراب [٥]: سمعت مدركاً يقول: رجل أجْخَى وأجخرُ إذاكان قليل لحم الفَخذَين، وفيهما تخاذل من العظام، وتَفَاحُج» [٦].

(باب اعتقاب الزّاي والسّين)

١١٨- «قــال أبو تراب: سمعت أبا السميدع الحصيني يقول: الرِّجز والرِّجس: الأمر الشّديد يترل بالنّاس» [٧].

١١٩- «قــال أبــو تراب: امَلَزَ من الأَمْر، وامَّلَسَ: إذا انفلت، وقد مَلَّزتُه ومَلَّستُهُ: إذا فعلت به ذلك» [٨].

---

(١) التهذيب ٦/١٦٤،وينظر: اللسان (هزم) ١٢/٦١١.

(٢) التّهذيب ١٣/١٦٩.

(٣) في بعض نسخ التّهذيب ١٠/٣٢٣: «روى ابن الفرج»

(٤) التّهذيب ١٠/٣٢٣.

(٥)في بعض نسخ التّهذيب ٧/٤٦٠: «قال ابن الفرج...»

(٦) التّهذيب ٧/٤٦٠.

(٧) الفائق ٢/٤٦.

(٨) التّهذيب ١٣/٢٢١.

(باب اعتقاب الزّاي والسّين والصّاد)

١٢٠- « أبــو تراب – عن الأصمعي: يقال: بَخَزَ عَيْنَه وبَخَسَها: إذا فقأها، وبخصها كذلك» [١].

(باب اعتقاب الزّاي والشّين)

١٢١- «قال أبو تراب: قال عَرَّامٌ: نِيَّةٌ زَمَخٌ وشَمَخٌ، وزَمُوخٌ وشموخٌ. وقد زمخ بأنفه وشمخ» [٢].

(باب اعتقاب الزّاي والضّاد)

١٢٢- «قال مُدْرِك الكلابيّ فيما روى ابن الفرج [٣] ارتمزت الفرس بالرّجل، وارتمضت به؛ أي: وثبت به» [٤].

١٢٣- « روى أبــو تــراب للخــليل: قــال: التّعريز كالتّعريض في الخُصُومة» [٥].

١٢٤- « أبــو تراب عن مصعب الضّبابيّ: تقوَّزَ البيت وتَقَوَّضَ ، إذا انهدم، سواءٌ كان بيتَ مَدَرٍ أو شَعَرٍ» [٦].

---

(١) التّهذيب ٢١٣/٧، وينظر ١٥٣/٧.

(٢) التّهذيب ٩٦/٧.

(٣) في بعض نسخ التّهذيب ٣٤/١٢: « أبو تراب» وكذا في اللسان (رمض) ١٦٢/٧.

(٤) التهذيب ٣٤/١٢.

(٥) التّهذيب ١٣١/٢.

(٦) التهذيب ٢١٥/٩.

١٢٥- «قال ابن الفرج: جاء يَهِزُّ المشي ويَهُضُّه؛ إذا مشى مشياً حسناً في تدافع» [١].

(باب اعتقاب الزّاي والظّاء)

١٢٦- قــال الأزهريّ: «قال أبو تراب: سمعت بعض بني سُلَيم يقول: حَمَزَه وحَمَظَه؛ أي: عَصَرَه. جاء به في باب الظّاء والزّاء» [٢].

باب اعتقاب الزّاي والفاء

١٢٧- «قال أبو تراب: سمعت مبتكراً يقول: زاخرته فزخرته، وفاخرته ففخرته» [٣]

(١) التّهذيب ٣٤٦/٥، وينظر: اللسان (هضض) ٢٤٨/٧.

(٢) التّهذيب ٤٦١/٤، وينظر: المحيط في اللغة ٦٤/٣، وينظر: اللسان (حظم) ١٤٠/١٢.

(٣) التّهذيب ٢٠٣/٧.

(باب اعتقاب الزّاي والقاف)

١٢٨- « أبو تراب: قال الأصمعي: زَأَبْتُ وقَأَبْتُ؛ أي: شَرِبت»[١].

(باب اعتقاب الزّاي واللام)

١٢٩- «روى ابن الفرج عن أبي السّميدع، أخذت بِزَغَبِ رقبته، ولَغَبِ رقبته، قال: وهي باللام في تميم، قال: وذلك إذا تبعه وقد ظنّ أنّه لم يدركه ، فلحقه، أخذ برقبته أولم يأخذ»[٢].

١٣٠- « قال الكسائيّ وأبو عمرو: «الزّقْمُ واللّقْمُ: واحد، والفعل: زَقَمَ يَزْقُمُ ولَقِمَ يَلْقَم. حكى ذلك عنهما إسحاق بن الفرج»[٣].

(باب اعتقاب السّين والشّين)

١٣١- قال الأزهريّ: « قال ابن الفرج: قال الفراء: يقال: أَلْحَقَ الحِسَّ بِالإسّ.

قال: وسمعت بعض بني أسد يقول: أَلْحَقَ الحِشَّ بِالإشِّ.

قال : كأنّه يقول: ألحق الشَّيء بالشّيء؛ إذا جاءك شيء من ناحية فافعل مثله. جاء به أبو تراب في باب الشّين والسّين وتعاقبهما»[٤].

١٣٢- « قال ابن الفَرَج: قال ابن الأعرابيّ: الجَحْشُ: الجِهَادُ.

قال: وتُحَوَّل الشّين سينا، وأنشد:

---

(١) التّهذيب ٢٧١/١٣.

(٢) التّهذيب ١٣٨/٨، ١٣٩.

(٣) التّهذيب ٢٠٥/١٦، وفي بعض النسخ من التّهذيب: « أبو تراب عن الكسائيّ وأبي عمرو...»

(٤) التّهذيب ٣٩٥/٣، وينظر: اللسان (حشش) ٢٨٥/٦، وتحبير الموشين في التعبير بالسين والشين ٤أ.

يَوْمــاً تَــرَانَا في عِــرَاكِ الجَحْــشِ

نَنْــبُو بــأَجْلالِ الأُمُــورِ الــرُّبْشِ

أي: الدّواهي العظام» [1].

١٣٣- « قــال أبو تراب: سمعت أبا مِحجَنٍ وباهلياً يقولان: تَجَشَّمْتُ الأمر وتَجَسَّمْتُه؛ إذا حملتَ نفسك عليه» [2].

١٣٤- « قــال أبــو تراب: سَمِعْتُ عَرَّاما يقول: هو الرَّسْمُ والرَّشْمُ للأثر، ورسم[3] على كذا ورشم؛ أي: كتب.

وقــال أبــو عمــرو: يقــال للذي يطبع به: رَوْسَم ورَوْشَم، وراسُوم وراشُوم، مثل رَوْسَم الأكداس ورَوْشَم الأمير» [4].

١٣٥- « قال أبو تراب: سَمِعْتُ عَرَّاما يقول: الرَّسْمُ والرشمُ: الأثر، ورَسَم على كذا، ورَشَمَ؛ أي كتب.

ويقال للخاتم الّذي يُختَم به البُرّ: الرَّوْسَم، والرَّوْشَم» [5].

١٣٦- «رَوَى أبــو تــراب: قال [6] ابن الأعرابيّ: تركت القوم قد ارهَســوا، وارهَشوا، وارهَست رِجْلا الدّابّة، وارهَشتا؛ إذا اصطَكّتا، وضرب بعضها بعضاً» [7].

---

(١) التّهذيب ١١٨/٤، وينظر: اللسان (جحش) ٢٧١/٦.

(٢) التّهذيب ٥٤٧/١٠، ٥٤٨.

(٣) في التّهذيب ٤٢٢/١٢: «ووشم» وهو تحريف، والتصويب من اللسان (رسم) ٢٤١/١٢

(٤) التّهذيب ٤٢٢/١٢.

(٥) التّهذيب ٣٦٣/١١.

(٦) كذا في التّهذيب ١٢٢/٦ والسياق يقتضى أن يقول: قال: قال...

(٧) التّهذيب ١٢٢/٦.

١٣٧- «روى ابن الفرج [١] لأبي عمرو: السَّوْذق والشّوذق: السِّوَار. قال أبو إسحاق [٢]: السّوذانق والشّوذانق: الصّقر» [٣].

١٣٨- « أبو تراب: سَرْهَفَ غذاءه، وشرهفه، إذا أحسن غِذاءه» [٤].

١٣٩- « قـال أبو سعيد: سَطَأَ الرّجـلُ المـرأة وشَطَأَها: إذا وَطِئها، رواه أبو تراب عنه» [٥].

١٤٠- « أبـو تـراب - جماعـة مـن أعـراب قيـس-: الشِّلَّخْفُ والسِّلَّخْفُ:المضطرب الخلق» [٦].

١٤١- « ابن الفرج: الشِّلَّعْقُ والسِّلَّعْفُ: المضطرب الخلق» [٧].

١٤٢- « أبـو تراب: قال ابن الأعرابيّ: السَّناسِن والشَّناشِن: العِظامُ، وقال الجَرَنفَشُ:

كَيْـفَ تَـرَى الغَـزْوَةَ أَبْقَـتْ مِـنّي
شَنَاشِـــنا كَخَــلَقِ المِجَـــنِّ» [٨]

١٤٣- «قال أبو تراب: العَشَقُ والعَسَقُ، بالشّين والسّين: اللّزوم للشّيء لا يفارقه، ولذلك قيل للكَلِيف عَاشِقٌ، للزومه هَوَاه» [٩].

---

(١) في بعـض نسخ التّهذيب ٨/٣١١: «روى أبو تراب...» وكذا في اللسان (شذق) ١٠/ ١٧٣.

(٢) في بعض نسخ التّهذيب ٨/٣١١: « أبو تراب».

(٣) التّهذيب ٨/٣١١.

(٤) التّهذيب ٦/٥٣٥، وينظر: العباب (حرف الفاء) ٣١٩.

(٥) التّهذيب ١٣/٢٥، وينظر: اللسان (سطأ) ١/٩٥ والمادة فيه مروية عن ابن الفرج.

(٦) التّهذيب ٧/٦٤٩، وينظر: اللسان (شلخف) ٩/١٨٣.

(٧) العباب (حرف الفاء) ٣٣٠.

(٨) التّهذيب ١٢/٣٠٦.

(٩) التهذيب ١/١٧٠.

١٤٤- «قال ابن الفرج: قال الخليل: المَعَشُّ: المطلب.
قال: وقال غيره: المَعَسُّ: المطلب» [١].

١٤٥- «قـــال أبـــو تراب: سمعت الجعفريَّ يقول: نُخِشَ لحم الرجل، ونُخِسَ؛ أي: قَلَّ.
قال: وقال غيره: نَخَشَ - بفتح النّون» [٢].

(باب اعتقاب السّين والشّين والياء)

١٤٦- «قـــال أبـــو تراب: قال خليفة الحصينيّ: يقال: تَعَامَسْتُ عن الأمر وتَعَامَشْتُ وتعاميت بمعنى واحد» [٣].

(باب اعتقاب السّين والصّاد)

١٤٧- «قـــال أبو تراب [٤]: قال الغنويّ: سخا النّار وصخاها؛ إذا فتح عينها» [٥].

١٤٨- «قـــال أبـــو تراب: قال أبو عبيدة: جاء فلان يضرب أَسْدَرَيه وأَصْدَرَيه؛ أي: عِطْفَيْه، وذلك إذا جاء فارغاً» [٦].

١٤٩- «قـــال أبـــو تراب: قال النضر: هو صُقْع الرّكيّة وأصقاعها، لنواحيها. قال: ويقال سُقْعٌ، والدِّيكُ يَسْقَعُ ويَصْقَعُ» [٧].

---

(١) التّهذيب ٧١/١.

(٢) التّهذيب ٨٦/٧، وينظر اللسان (نخش) ٣٥٢/٦.

(٣) التّهذيب ١٢٢/٢.

(٤) في بعض نسخ التّهذيب ٤٨٧/٧: «ابن الفرج»

(٥) التّهذيب ٤٨٧/٧.

(٦) التهذيب ٣٥٥/١٢.

(٧) التّهذيب ١٨٣/١.

١٥٠- ((قــال أبــو تــراب: قال الفَرَّاء: سُندوق وصُندوق، ويجمع صناديق وسناديق)) [١].

١٥١- ((روى أبــو تــراب للخليل أنّه قال: فريصة الرّجل: الرّقبة. وفريسُها: عروقها.

وفي حديث قيلة: أن جُوَيرِيَةً لها كانت قد أخذها الفَرْصَةُ.

قــال أبــو عبيد: العامَة تقول لها: الفَرْسه – بالسَين – المسموع من العرب بالصّاد، وهي ريح الحَدَبَة.

قال: والفَرْس – بالسين – الكَسْر، والفَرْص: الشّق)) [٢].

١٥٢- ((قال أبو تراب: قال شَبانة [٣]: فَصَلَتِ المرأةُ وَلَدَهَا وفسلته؛ أي: فطمته)) [٤].

(باب اعتقاب السّين والطّاء)

١٥٣- ((روى إسحاق بن الفرج عن الأصمعيّ: بعته المَلَسَى والمَلَطَى، وهو البيع بلا عُهدة)) [٥].

---

(١) التّهذيب ٩/٣٩٢.

(٢) التّهذيب ١٢/١٦٦.

(٣) في الــتّهذيب ١٢/٩٤ ((شَبَّابة)) بالياء، وهو تصحيف. ينظر: اللسان (ملد) ٣/٤١٠، و (دغس) ٦/٨٥، و (دغس) ٦/ ٩٠، (دهمس) ٦/ ١٠٣.

(٤) التّهذيب ١٢/١٩٤.

(٥) التّهذيب ١٣/٣٦٠.

(باب اعتقاب السين والعين)

١٥٤- ((قـــال أبو الحسن اللّحيانيّ: سمعت العامريّة تقول في كلامها: تركتهم [١] سامراً بمكان كذا وعامراً.

قال أبو تراب: فسألت مُصْعباً عن ذلك فقال: مقيمين مجتمعين)) [٢].

١٥٥- ((قـــال ابن الفرج: سمعت أبا السَمَيدع يقول: تنطّع في الكلام وتنطّس؛ إذا تأنق فيه)) [٣].

(باب اعتقاب السّين والفاء)

١٥٦- ((أبـــو تراب عن الحصينيّ: ذهب منّي الأمرُ فلْتَةً وسَلْتةً؛ أي: سبقني وفاتني)) [٤].

(باب اعتقاب السين والقاف)

١٥٧- ((قـــال أبو تراب: قال أبو عبيدة: به أُلاقٌ وأُلاسٌ، من الأَوْلَق والألْس، وهو الجنون)) [٥].

١٥٨- ((قـــال إســـحاق بـــن الفرج: قال أبو عمرو: طَريقٌ مدعوس ومدعـــوق، وهو الّذي دعقه النّاس. وقال الأصمعيّ: طريق دَعْسٌ ودَعْقٌ؛ أي: مَوْطُوء كثير الآثار)) [٦].

---

(١) في التّهذيب ٣٨٨/٢: ((تركتم)) والتصويب من اللسان (سمر) ٣٧٧/٤.

(٢) التّهذيب ٣٨٨/٢.

(٣) التهذيب١٧٩/٢، ويلاحظ تباعد مخرجي السين والعين في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٤) التّهذيب ٣٨٤/١٢.

(٥) التّهذيب ٣١١/٩.

(٦) التّهذيب ٢٠٧/١.

١٥٩- ((قـــال أبو تراب: قال أبو زيد: القندَأْو: القصير من الرجال، وهم قِندَأْون. والسِّنْدَأْو: الفسيح من الإبل في مشيه، والجمع السِّنْدَأْوون)) [١].

١٦٠- ((قـــال مُدْرِك السّلميّ فيما روى ابن الفَرَج [٢] عنه: مَلَسني الـــرّجل بلســـانه ومـــلقني ودَرَقَني؛ أي: ليّنني وأصلـــح منّي، يَدْرُقُني ويمْلُسُني ويمْلُقُني)) [٣].

(باب اعتقاب السين والكاف)

١٦١- ((روى أبو تراب عن الأصمعي: يقال: اختصر فلان الجارية ، وابتسرها وابتكرها [٤]؛ إذا اقتَرَعَها [٥] قبل بلوغها)) [٦].

١٦٢- ((قال أبو تراب: سمعت الغنويّ يقول: ناقة ذات نسناس؛ أي: ذات سير باق.

قـــالَ: ويقال: بلغ من الرَّجُل نَسيسُهُ؛ إذا كان يموت وقد أشرف على ذهاب نكيسته [٧] وقد طُعِنَ في حَوْصِهِ مثلُه)) [٨].

---

(١) التهذيب ٩/٤١٣ والدلالة مختلفة في الكلمتين، وقد نبهت على ذلك في نقد النصوص، في الدراسة.

(٢) في بعض نسخ التّهذيب ٩/٣٠: ((أبو تراب عن مدرك السّلميّ)) وكذا في اللسان (درق) ٩/٦٩.

(٣) التّهذيب ٩/٣٠.

(٤) قوله: ابتسرها وابتكرها هما كلمتا الاعتقاب.

(٥) بالقاف - كافترعها بالفاء.

(٦) التّهذيب ٧/١٠٥.

(٧) في اللسان (نسس) ٦/٢٣١، ((نكيثته)).

(٨) التّهذيب ١٢/٣٠٨، وينظر اللسان (نسس) ٦/٢٣١.

(باب اعتقاب السّين واللام)

١٦٣- « قـــال ابــن الفرج: قال السّلميّ: غُسّ له الخنجَرَ والسِّنانَ، وغُلَّهُ له؛ أي: دُسَّهُ له، وهو لا يَشْعُر به» [(١)].

١٦٤- قـــال الأزهريّ: « قال أبو تراب:قال الأصمعيّ: كَلَّسَ على القوم، وكَلَّلَ وصَمَّمَ؛ إذا حمل.

وقـــال أبــو الهيثم: كَلَّسَ فــلان عن قِرْنِه وهَلَّلَ؛ إذا جَبُنَ وفرَّ عنه. قــلت [(٢)]:وهذا أصح مِمّاروى أبو تراب» [(٣)].

(باب اعتقاب السّين والميم)

١٦٥- «قـــال أبو تراب: قال بعض أعراب قيسٍ: سَلَجَ الفَصِيلُ النّاقةَ ومَلَجَها؛ إذا رَضَعَها» [(٤)].

١٦٦- « أبــو تراب؛ عن مصعب: امْتَلَّ واسْتَلَّ ، وانملَّ وانسَلَّ، بمعنى واحد» [(٥)].

(باب اعتقاب السّين والهاء)

١٦٧- « قـــال ابن الفرج: سمعت واقعا السّلميّ يقول: انهلَتَ يعدو، وانْسَلَتَ يعدو.

---

(١) التّهذيب ١٦/٩٩.

(٢) القائل : الأزهريّ.

(٣) التّهذيب ١٠/٦١، ٦٢.

(٤) التّهذيب ١٥/٣٥٣،وينظر : اللسان (سلج) ٢/٢٩٩..

(٥) التّهذيب ١٥/٣٥٣، وينظر: اللسان (سلج) ٢/٢٩٩.

قال: وقال الفرّاء: سَلَتَه وهَلَتَهُ. وقال اللّحيانيّ: سَلَتَ الدَّمَ وهَلَتَه: قَشَرَه بالسّكّين» [١].

(باب اعتقاب الشّين والصّاد)

١٦٨- « أبو تراب: سمعت مبتكراً يقول: الوَقَشُ والوَقَصُ ؛ صِغَارُ الحَطَبِ الّذي يُشَيَّعُ به النّار» [٢]

(باب اعتقاب الشّين والغين)

١٦٩- « أبو تراب : سمعت السّلميّ يقول: أَشْرَيتُ بين القوم وأغريت، وأشريته به فَشَرِيَ، مثل أَغْرَيْتُه به فَغَرِيَ» [٣].

١٧٠- « قال إسحاق بن الفرج: سمعت شُجَاعاً وحَتْرَشاً يقولان: هذه كلمة فاغية فينا؛ أي: فاشية» [٤].

(باب اعتقاب الشّين والفاء)

١٧١- «روى ابو تراب عن الضّبابيّ: لَعَنَ الله أُمًّا شَطَأَت به، وفَطَأَتْ به، أي: طَرَحَتْهُ» [٥].

١٧٢- « روى أبو تراب، عن أبي الوازع: نَدَفَ القطن ونَدَشَه، بمعنى واحد، قال رؤبة:

في هِبْرِياتِ الكُرْسُفِ المَندُوشِ» [٦]

---

(١) التّهذيب ٦/٢٣٧، وينظر: اللسان (هلت) ٢/١٠٥.

(٢) التّهذيب ٩/٢٠٨، وينظر: اللسان: (وقش) ٦/٣٧٣، و فقه اللّغة للثّعالبيّ ٤٨.

(٣) التّهذيب ١١/٤٠٣، وينظر: اللسان (شرى) ١٤/٤٢٩.

(٤) التّهذيب ٨/٢٠٦.

(٥) التهذيب١١/٣٩٢.

(٦) التّهذيب ١١/٣٢٢، وينظر : اللسان (ندش) ٦/٣٥٢.

١٧٣- « قال أبو تراب قال الأصمعيّ: ماءٌ لا يُنكَفُ ولا يُنزَح.
قال: وقال ابن الأعرابيّ: نَكَفَ البِئرَ ونكَشَها؛ أي: نزحها» [(١)].

(باب اعتقاب الشّين واللام)

١٧٤- « قال ابن الفرج [(٢)]: سمعت الغَنَوِيّ يقول: المُنَقِّشَةُ والمُنَقِّلَةُ من الشِّجَاجِ الّتي تَنَقَّلُ منها العظام» [(٣)].

(باب اعتقاب الشّين والنّون)

١٧٥- « أبــو تــراب: إنّ فلاناً لَيَمْتَشُّ من فلان، ويَمْتَشِنُ من فلان؛ أي: يُصِيبُ منه» [(٤)]

(باب اعتقاب الصّاد والضّاد)

١٧٦- قــال الأزهــريّ: « رَوَى أبــو تراب: الكسائيّ: يقال: هذه الصِّنْبِلُ، للدّاهية. قال: وهي لغة لبني ضَبَّةَ:
قال : وهي بالضّاد أعرف.
قلت: وأبو عبيد رواه الضِّنبِل - بالضّاد - ولم أسمعه بالصّاد إلاما جاء به أبو تراب» [(٥)].

١٧٧- « قــال أبو تراب: سمعت زائدة يقول: صَدَّه عن الأمر وضَدَّه، أي: صرفه عنه بِرِفْق» [(٦)].

---

(١) التّهذيب ٢٧٩/١٠.

(٢) في اللسان (نقش) ٣٥٨/٦: « قال أبوتراب»

(٣) التّهذيب ٣٢٥/٨.

(٤) التهذيب ٣٨٣/١١، وينظر: اللسان (مشن) ٤٠٨/١٣.

(٥) التّهذيب ١٩٤/١٢.

(٦) التّهذيب ٤٥٦/١١، وينظر: وفاق المفهوم ١٤٦، واللسان (صدد) ٢٦٤/٣.

١٧٨- «أبو تراب: قال الأصمعيّ: مضمض إناءه ومصمصه، إذا حرّكَهُ. وقال اللّحيانيّ: إذا غسله» [١].

(باب اعتقاب الصّاد والطّاء)

١٧٩- «قال أبو تراب: الشَّطائب والشَّصَائب: الشّدائد» [٢].

١٨٠- «أبو سعيد: هي الشَّصَائب والشَّصائصُ [٣]، للشّدائد. قال أبو تراب: وقال غيره: هي الشّصائب والشّطائب، للشّدائد» [٤].

١٨١- «قال ابن الأعرابيّ: أنشد أبو محضة أبياتاً ثمّ قال: هذه بِصَراهُنَّ وبِطَرَاهنّ.

قال أبو تراب: وسألت الحُصينيّ عن ذلك فقال: هذه الأبيات بِطَرَاوَتِهِنَّ وصَرَاوَتِهِنَّ؛ أي: بجِدَّتِهِنَّ وغَضَاضَتِهِنّ» [٥].

١٨٢- «قال المؤرّج - فيما روى له أبو تراب: النِّصَع والنِّطَع لواحد الأنطاع [٦] وهو ما يُتخذ من الأَدَم. وأنشد لحاجز بن الجعيد الأزديّ:

فَنَحرُهَا ونَخْلِطُهَا بأُخْرَى كَأَنَّ سَرَاتَها نِصَعٌ دَهِين

قال: ويقال: نِصْع بسكون الصّاد» [٧].

---

(١) التّهذيب ١١/٤٨٣.

(٢) التّهذيب ١١/٣١٧.

(٣) هاتان ليستا كلمتي الباب، والمراد ما بعدهما.

(٤) التّهذيب ١١/٢٩٧.

(٥) التّهذيب ١٢/٢٢٧.

(٦) أصاب هذه الكلمة والتي قبلها بعض التحريف في مطبوعة التّهذيب ٢/٣٧.

(٧) التّهذيب ٢/٣٧.

(باب اعتقاب الصّاد والفاء)

١٨٣- ((روى ابن الفرج لابن الأعرابيّ في باب الصّاد والفاء: فَئِبْتُ وصَئِبْتُ، إذا رَدِيتَ من الماء)) [١].

١٨٤- ((قال أبو تراب: سمعت أبا السَّمَيدع يقول: فَئِمْتُ في الشَّرَابِ وصَئِمْتُ، إذا كَرَعْتُ فيه نفساً)) [٢].

(باب اعتقاب الصّاد والقاف)

١٨٥- ((قال أبو تراب: قال الأصمعيّ: يقال: شَرِب حتّى نَصَعَ وحتّى نَقَع، وذلك إذا شَفَى غليله)) [٣].

(باب اعتقاب الصّاد والكاف)

١٨٦- ((قال أبو تراب: قال أبو محجن وغيره من الأعراب: صَلَتُّ الفَرَسَ وكلَتُّهُ؛ إذا ركضته.

قال: وصببته: مِثله، ورجل مِصْلتٌ مِكَلَتٌ إذا كان ماضياً في الأمور)) [٤].

(باب اعتقاب الصّاد واللام)

١٨٧- ((قال أبو تراب: قال حترش: فصَصْتُ [٥] كذا من كذا؛ أي: فصلته: وانفَصَّ منه؛ أي: انفَصَلَ ، وافْتَصَصْتُهُ: افْتَرَزْتُه)) [٦].

---

(١) التّهذيب ٥٧٣/١٥.

(٢) التهذيب ٥٧٣/١٥، وينظر: اللسان (فأم) ٤٤٧/١٢.

(٣) التّهذيب ٣٧/٢.

(٤) التّهذيب ١٣٨/١٠.

(٥) في التّهذيب ١٢١/١٢ ((قصصت)) (بالقاف) وهو تصحيف، يدلّ عليه السّياق وما في اللسان (فصص) ٦٧/٧، والتاج (فصص) ٤١٦/٤.

(٦) التّهذيب ١٢١/١٢.

(باب اعتقاب الصّاد والهاء)

١٨٨- « روى أبــو تــراب لأبي عمرو قال: المهروع: المصروع من الجهد وقاله الكسائي» [١].

(باب اعتقاب الضّاد والطّاء)

١٨٩- «قــال ابن الفرج: قال أبو عمرو: الإحباض: أن يَكُدَّ الرّجل رَكِيَّته فلا يَدَعُ فيها ماء، قال: والإحباط : أن يذهب ماؤها فلا يعود كما كان ، قال: وسألتُ الحصينيّ عنه، فقال: هما بمعنى واحد» [٢].

١٩٠- أبــو تراب عن أبي سعيد البغداديّ، قال: الأنواضُ والأنواطُ واحد، وهي ما نُوِّط على الإبل إذا أُوقِرَتْ، وقال رُؤبة:

جــاذَبْنَ بالأصْــلاب والأَنْــوَاض» [٣]

١٩١- « قــال أبــو تــراب:سَمِعتُ الباهليّ يقول: وَخَطَهُ الشَّيْبُ، ووَخَضَهُ، بمعنى واحد» [٤].

---

(١) التهذيب ١/١٤١.

(٢) التّهذيب ٤/٢٢٢.

(٣) التّهذيب ١٢/٧٠.

(٤) التّهذيب ٧/٥٠٧.

(باب اعتقاب الضّاد والظّاء)

١٩٢- ((قـــال أبو تراب: سمعت أعرابياً من أشجَعَ يقول: بهضني هذا الأمر وبَهَظَنِي؛ أي: فدَحَني.

قال : ولم يتابعه على ذلك أحد، والله أعلم)) [١].

١٩٣- ((قـــال بعـــض الكلابيّين – فيما روى أبو تراب: تماضَّ القوم وتماظُّوا، إذا تلاحَوا وعَضَّ بعضهم بعضاً بألسنتهم)) [٢].

(باب اعتقاب الضّاد والعين)

١٩٤- ((قـــال أبـــو تـــراب: سمعت الغَنَويّ يقول: العَمَدُ والضَّمَدُ: الغضب)) [٣].

١٩٥- ((قـــال أبـــو تراب: قال أبو زيد والأصمعيّ معاً: سمعت ضَوَّةَ القَوْمِ وعَوّتَهُم؛ أي: أصواتَهم)) [٤].

(باب اعتقاب الضّاد والغين)

١٩٦- ((أبو تراب: قال الأصمعيّ: أَغَدَّ الرجُلُ فهو مُغِدٌّ، وأضَدَّ فهو مُضِدٌّ؛ أي : غضبان)) [٥].

---

(١) التهذيب ٦/١٠٤، وينظر: اللسان (بهض) ٧/١٢٢.

(٢) التّهذيب ١١/٤٨٣.

(٣) التّهذيب ٢/٢٥٦.

(٤) التّهذيب ١٢/٩٦.

(٥) التهذيب ١٦/٥٢، وفيه غضان، وهو تحريف، وينظر: الإبل للأصمعيّ ١١٧.

(باب اعتقاب الضّاد والفاء)

١٩٧- «روى ابن الفرج عن بعضهم: غَضَضْتُ الغُصْنَ، وغضفته، إذا كسرته، فلم تُنعِم كسرَهُ» [١].

(باب اعتقاب الضّاد والكاف)

١٩٨- «روى أبو تراب للأصمعيّ: هو آرَضُهُم أن يفعلَ ذاك، وآركُهُم أن يفعَلَهُ؛ أي: أخلَقُهُم.

قال: ولم يبلغني ذلك عن غيره» [٢].

(باب اعتقاب الضّاد واللام)

١٩٩- «روى أبو تراب للفراء: رَجُل جَلْدٌ، ويبدلون اللام ضاداً: رَجُل جَضْدٌ» [٣].

٢٠٠- «قال ابن الفرج: قال الفراء: يقال: اضجعتُه فاضطجع.

قال: وبعضهم يقول: فالطجع [٤] بإظهار اللام، وهو نادر. قال: وربّما أبدلوا اللام ضاداً كما أبدلوا الضّاد لاماً، قال بعضهم: الطِراد واضطِرادُ، لطراد الخيل.

قال: وروى إسحاق عن المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد والحكم قالاً: إذا كان عند اضطرادٍ، وعند ظلّ السّيوف أجزَى الرّجلَ أن تكونَ صلاته

---

(١) التّهذيب ٣٨/١٦، وينظر: الإبدال لأبي الطّيب ٢٧٥/٢، واللّسان (غضض) ١٩٩/٧.

(٢) التّهذيب ٣٥٤/١٠.

(٣) التهذيب ٥٥٢/١٠، وينظر: الإبدال لأبي الطّيب ٢٧٨/٢.

(٤) في التّهذيب ٣٣٤/١: ((فالضجع)) بالضّاد، وهو تحريف، والتّصحيح من اللّسان (ضجع)٢١٩/٨، وهو ما يقتضيه السياق.

تكبيراً. قال: وفَسَّرَهُ ابن إسحاق: الطّراد» [١].

٢٠١- «قال أبو تراب [٢]:قال أبو زيد: أضهدت بالرّجل إضهاداً، وألهدت به إلهاداً، وهو أن تجور عليه وتستأثر» [٣].

(باب اعتقاب الطّاء والظّاء)

٢٠٢- قال الأزهريّ: « قال أبو تراب: سمعت الأَشْجَعِيَّ يقول: بَهَظَنِي الأمْرُ وبَهَطَنِي [٤] بمعنى واحد.

قلت: ولم أسمعها بالطّاء لغيره» [٥].

٢٠٣- «روى أبو تراب عن الأصمعيّ أنّه قال: لا تذهب بما صنعت طَلَفاً ولا ظَلَفاً؛ أي: باطلاً» [٦].

٢٠٤- « قال أبو تراب [٧]: قال أبو عمرو: المُغَطْغَطَةُ والمُغَظْغَظَةُ – بالطّاء والظّاء –: القِدْرُ الشّديدة الغليان» [٨].

---

(١) التّهذيب ١/٣٤٤، ٣٣٥.

(٢) في اللسان (ضهد) ٣/٢٦٦: ((روى ابن الفرج لأبي زيد....))

(٣) التّهذيب ٦/٩٨، وينظر: اللسان (ضهد) ٣/٢٦٦.

(٤) في التّهذيب ٦/١٨١: ((بهظني)) بالظّاء المعجمة، وهو تصحيف طباعي، والتصويب من هامشه، وقد تقدمت هذه المادة في باب الضاء والظّاء، وهي هنا برواية أخرى مختلفة.

(٥) التّهذيب ٦/١٨١، ينظر : اللسان (بهط) ٧/٢٦٦.

(٦) التّهذيب ١٣/٣٥٠.

(٧) في بعض نسخ التّهذيب ١٦/٥٩ : ((روى ابن الفرج لأبي عمرو ...)).

(٨) التّهذيب ١٦/٥٩.

(باب اعتقاب الطّاء والعين)

٢٠٥- «روى ابن الفرج [١] لبعض بني كلاب: أنّه قال: مررت على عَرَقَة الإبل وطرقتها؛ أي: على أثرها» [٢].

(باب اعتقاب الطّاء والغين)

٢٠٦- « أبو تراب عن الأصمعيّ: غَسَمَ الليلُ وأَغْسَمَ إذا أَظْلَمَ. قال: والغَسَم والطَّسَم عند الإمساء، وفي السّماء غُسَمٌ من سحاب وأَغْسَامٌ، ومثله أَطْسَامٌ من سَحاب ودُسَمٌ وأدسامٌ، وطُلَسٌ من سحاب، وقد أغسمنا في آخر العَشِيِّ» [٣].

(باب اعتقاب الطّاء والقاف)

٢٠٧- «قال أبو تراب: سمعتُ بعضَهم يقول: احتَطَبَ عليه في الأمر واحتَقَبَ بمعنى واحد» [٤].

٢٠٨- قال الأزهريّ: «قال اللحياني: الصَّعوط والسّعوط [٥] بمعنى واحد. وروى أبو تراب له في كتابه: خطيب مِصْطَعٌ ومِصْقَعٌ، بمعنى واحد» [٦].

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب ١٦/٢٣٨: ((روى أبو تراب)).

(٢) التّهذيب ١٦/٢٣٨.

(٣) التّهذيب ٨/٤٤.

(٤) التّهذيب ٤/٣٩٤.

(٥) التعاقب ليس في هاتين الكلمتين، وإنما هو فيما يأتي من كلام أبي تراب في قوله: مِصْطَع ومِصْقَع.

(٦) التّهذيب ١/٤٩٢.

٢٠٩- «قـال أبو تراب: سمعت عَرّاما يقول: عَفَقَ بها وعَفَطَ بها إذا ضَرَطَ» [١].

٢١٠- «قال أبو تراب: قال الخليل [٢]: الممشوط الطّويل الدَّقيق.
قال: وغيره يقول: هو الممشوق» [٣].

٢١١- «قـال زائدة البكريّ وحَتْرَشٌ فيما روى أبو تراب عنهما: هو يَـنتَـبِقُ الكلامَ انتباقاً، ويَـنتَـبِطُهُ؛ أي: يستخرجه» [٤].

(باب اعتقاب الطاء واللام)

٢١٢- «قـال أبـو تراب: سمعت بعض قيس يقول: اشمعطَّ القوم في الطـلب، واشمعـلّوا، إذا بـادروا فيه، وتفرّقوا. واشمعلّت الإبل واشمعطّت إذا انتشرت» [٥].

٢١٣- «قال بعض الأعراب: الطَّخِيفة واللَّخِيفة: الخَزِيرة - رواه أبو تراب» [٦].

٢١٤- «أبو تراب عن خليفة: نَشَلَتْهُ الحيّةُ ونَشَطَتْهُ بمعنى واحد» [٧].

---

(١) التّهذيب ٢/١٨٤.

(٢) في التّهذيب ١١/٣١٩: «قال الخيل» وهو تحريف، والتصويب من اللسان (مشط) ٧/ ٤٠٣.

(٣) التّهذيب ١١/٣١٩.

(٤) التّهذيب ٩/٢٠١.

(٥) التهذيب ٣/٣٢٦، وينظر: اللسان (شمعط) ٧/٣٣٧.

(٦) التّهذيب ٧/٢٤٥.

(٧) اللسان (نشل) ١١/٦٦٢ و لم أجده في التّهذيب.

(باب اعتقاب الطّاء والنّون)

٢١٥- « أبـو تـراب عـن أبي محجن: التَّنوُّل لا يكون إلا في الخير؛ والتَّطَوُّل، قد يكون في الخير والشّرّ» (١).

(باب اعتقاب الظّاء والعين)

٢١٦- « روى أبـو تـراب للأصـمعيّ: طار القوم شَظاظاً وشَعاعاً. وأنشد لرويشد الطّائيّ يصف الضَّأن:

طِـرْنَ شَـظَاظاً بـين أَطْـرافِ السَّـنَدْ
لا تَـرْعَوِي أمٌّ بهـا عَـلَى وَلَـدْ
كأَنَّمَـا هَـايَجَهُـنَّ ذُو لِـبَدْ» (٢)

(باب اعتقاب الظّاء واللام)

٢١٧- « قـال أبـو تراب: قال بعض بني سُلَيم: فلان مُحَافِظ على حَسَبِه ومُحَافِلٌ عليه؛ إذا صانه» (٣).

(باب اعتقاب العين والغين)

٢١٨- «قال أبو تراب: قال الخليل: الثُعْبان: ماء، الواحد ثَعْبٌ. قال: وقال غيره: هو الثّغب بالغين» (٤).

٢١٩- « ابن الفرج: سمعت جماعة من أعراب قيس يقولون: الشِّلَّغْفُ والشِّلَّعفُ المضطرب، بالعين والغين» (٥).

---

(١) التّهذيب ١٥/٣٧٣.

(٢) التّهذيب ١١/٢٧١، وينظر: التكملة (شظظ) ٤/١٩٨.

(٣) التّهذيب ٥/٧٧.

(٤) التّهذيب ٢/٣٣٣.

(٥) اللسان (شلغف) ٩/١٨٣، وينظر: التّهذيب ٨/٢٢٩.

٢٢٠- «قال ابن الفرج: سمعت زائدة البكريّ يقول: الشّنّعْفُ والشّنّغْفُ والهلّغْفُ: المضطرب الخلق» (١).

٢٢١- «قال أبو الحسن اللّحيانيّ: صَعْصَعَ رأسَه بالدّهن وصَغْصَغَه، إذا رَوَّاه وروَّغَهُ.

وقال أبو سعيد: الصَّعْصَعَة: نَبْتٌ يُستَمْشَى به.

وقال إسحاق بن الفرج قال أبو الوازع: قال اليماميّ: هو نبت يشرب ماؤه للمَشْي» (٢).

٢٢٢- «قال ابن الفرج: قال حُصين السّلميّ: فلان على أَغْسَان من أبيه وأَغْسَان؛ أي: أخلاق، وغَسَّان: ماء نزل عليه قومٌ من أهل مأرب إليه نُسِبَ ملوك غَسَّان» (٣).

٢٢٣- «قال أبو تراب:قال بعض العرب: عفقت الإبل تَعْفِق عَفْقاً، إذا كانت ترجع إلى الماء في كلّ يوم أو كلّ يومين. وكلّ راجع مختلف عافق وغافق. ويقال: إنّك لتَعفِقُ؛ أي: تكثر الرّجوع» (٤).

٢٢٤- «قال أبو تراب: يقال: ما أَعْنَى شيئاً، وما أَغْنَى شيئاً بمعنى واحد» (٥).

---

(١) اللسان (سنغف)٩/١٨٤، وينظر: التّهذيب ٨/٢٢٩، والعباب (حرف الفاء) ٦٥٩.

(٢) التّهذيب ١/٧٨.

(٣) التّهذيب ٨/٣٨، ٣٩، وينظر: اللسان (غسن) ١٣/٣١٣.

(٤) التهذيب ١/٢٦٨

(٥) اللسان (عنا) ١٥/١٠٤.

٢٢٥- ((قـال ابن الفرج [١]: سمعت الضبابي يقول: إن فلانة لتُغَنذي بالناس وتُعَنذي بهم؛ أي: تُغري بهم، وقطع الله عنك عَنذاها؛ أي: إغراءَها)) [٢].

٢٢٦- ((قـال أبو تراب: سمعت واقعاً السّلميّ يقول: أَفْعَمْتُ الرّجل وأَفْغَمْتُهُ إذا مَلأتَهُ غضباً أو فرحاً)) [٣].

٢٢٧- ((روى ابن الفرج عن أبي سعيد: في بطن الرّجل مَعَص ومَغَص وقد مَعِص ومَغِص، قال: وتَمَعَّصَ بَطني وتَمَغَّصَ؛ أي: أوجعني)) [٤].

٢٢٨- قـال الأزهريّ: ((يقال: إنّه لطويل مُمَّعِطٌ كأنّه قد مُدَّ. قلت: المعـروف في الطّول المُمَّغِطُ بالغين معجمة، كذلك رواه أبو عبيد عن الأصمعي ولم أسمـع مُمَّعِـط بهذا المعنى لغير الليث، إلا ما قرأته في كتاب الاعتقاب لأبي تـراب، قـال: سمعت أبا زيد وفلان بن عبد الله التميمي يقولان: رجل مُمَّغِط ومَمَّعِط؛ أي: طويل.

قـلت: ولا أبعـد أن يكونا لغتين، كما قالوا لَعَنَّكَ ولَغَنَّكَ بمعنى لعلّك والمَعَص والمَغَص: البِيض من الإبل، وسُرُوع وسُرُوغ للقضبان الرَّخصة)) [٥].

---

(١) في اللسان (غتذى) ١٥/١٤٠: ((قال أبو تراب...))

(٢) التّهذيب ٨/٢٤٣، واللسان (غنذى) ١٥/١٤٠.

(٣) التّهذيب ٣/٢٠.

(٤) التّهذيب ٢/٥٩، ٦٠، وينظر: التكملة (معض) ٤/٤٣.

(٥) التّهذيب ٢/١٩٣.

٢٢٩- « روى ابــن الفرج [١] للأصمعيّ: نَشَغَهُ ونَشَعَهُ: إذا أَوْجَرَهُ. قال: وقال أبو عمرو: نُشِغَ به، ونُشِعَ به، وشُعِفَ به؛ أي: أُوْلِع به» [٢].

٢٣٠- « قــال الأصــمعي فــيما روى عنه أبو تراب: هو النَّشُوع والنَشُوغ، للوَجُور» [٣].

٢٣١- «قال ابن الفرج: قال مدرك الجعفريّ: كذبت وَبّاعَتُهُ ووَبَّاغَتُهُ، ونَبَّاعَتُهُ ونَبَّاغَتُهُ» [٤].

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب ١٦/١٧١: ((أبو تراب)).

(٢) التّهذيب ١٦/١٧١، ١٧٢، وينظر: العباب (حرف الغين) ٨٢.

(٣) التّهذيب ١/٤٣٤،

(٤) التّهذيب ٣/٢٤٢.

(باب اعتقاب العين والفاء)

٢٣٢- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت أبا الرّبيع البكريّ يقول: الجَعْجَعَ والجَفْجَفُ من الأرض: المتطامن، وذلك أنّ الماء يتجفجف فيه فيقوم؛ أي: يدوم.

قال: وأردته أن يقول: يتجعجع ، فلم يَقُلْها في الماء. وقال: جعجع الماشية وجفجفها؛ إذا حَبَسَها» [١].

٢٣٣- «أبو تراب، عن أبي السَّمَيْدَع: بنو فلان ما يُعانون ما لَهم ولا يُفانونه؛ أي: ما يقومون عليه ولا يُصْلحونه» [٢].

٢٣٤- « قال أبو تراب: سَمِعْتُ خليفة الحُصَينيّ يقول: أَوضَفَتِ النَّاقَةُ وأَوْضَعَتْ: إذا خَبَّتْ. وأَوضفتُها فوضفت؛ أي: أَخْبَبْتُها فخَبَّتْ» [٣].

٢٣٥- « أبو تراب: الهَجَنَّعُ والهجنّفُ: الطّويل العظيم. وأنشد الأصمعيّ لجران العَوْد:

يُشَبِّهُهَا الـرَّائِي المُشَبِّهُ: بَيْضَةً غَدَا في النَّدَى عَنْهَا الظَّلِيمُ الهَجَنَّفُ» [٤]

(باب اعتقاب العين والقاف)

٢٣٦- « روى ابن الفَرَج أبو تراب عن خليفة الحُصَينيّ أنّه قال: الجَلَعة والجَلَقة: مَضْحَك الإنسان» [٥].

(١) التهذيب ١/٦٩، ٧٠، وينظر: اللسان (جعع) ٨/٥٠.

(٢) التّهذيب ١٥/٤٨٠.

(٣) التّهذيب ١٢/٨٢، وينظر: العباب (حرف الفاء) ٦٣٢.

(٤) التّهذيب ٣/٣٧٢.

(٥) التهذيب ١/٣٧٥، وينظر: اللسان (جلع) ٨/٥٢.

٢٣٧- «حكـــى ابن الفرج عن بعض العرب أنّه قال:فتح الله عليك الجَلَقَة والجَلَعَة؛ أي: المكشر» [١].

٢٣٨- «قـــال نصـــير - فـــيما روى له أبو تراب: اندلع بطن المرأة واندلق إذا عَظُم واسترخى.

وقال غيره: اندلع السّيف من غمده واندلق» [٢].

٢٣٩- «قـــال أبو تراب: فَرَّع بين القوم وفَرَّق بمعنى واحد. وروى في ذلـــك حديثاً بإسناد له عن أبي الطُفَيل قال: كنت عند ابن عبّاس فجاء بنو أبي لَهَب يختصمون في شيء بينهم، فاقتتلوا عنده في البيت ، فقام يُفَرِّعُ بينهم؛ أي: يحجز بينهم» [٣].

٢٤٠- «قال ابن الفرج: سمعت خليفة الحُصيني يقول: امتشعتُ ما في الضّرع وامتشقته، إذا لم تدع فيه شيئاً.

قـــال: وكذلـــك امتشعت ما في يد الرّجل وامتشقته، إذا أخذت ما في يديه كلّه» [٤].

٢٤١- «قـــال أبـــو تراب: ناقة مَيْلَع مَيْلَق؛ إذا كانت سريعة ، وقال شَمِر: المَيْلَع: النّاقة الخفيفة السّير» [٥].

---

(١) التّهذيب ٣٠٧/٨.

(٢) التّهذيب ٢١٧/٢.

(٣) التّهذيب ٣٥٦/٢.

(٤) التهذيب ٤٥٠/١.

(٥) التّهذيب ٤٢٦/٢، ٤٢٧.

(باب اعتقاب العين والكاف)

٢٤٢- «روى إسحاق بن الفرج عن عرّام أنه قال: العذّانة: الاست. والعرب تقول: كذبت عذّانته وكذّانته بمعنى واحد»[١].

(باب اعتقاب العين واللام)

٢٤٣- «روى أبو تراب عن أبي مِحجَن قال: الانبتاع والانبتال: الانقطاع»[٢].

٢٤٤- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت خليفة الحُصينيّ يقول: اختزعَ فلاناً عِرق سوء فاختزله، أي: اقتطعه دون المكارم وقعدَ به»[٣].

٢٤٥- «قال أبو تراب: سمعتُ الغنويّ يقول: دَرْقَل القومُ درقلةً ودرقعوا درقعة، إذا مَرّوا مرّاً سريعاً»[٤].

٢٤٦- «روى ابن الفرج [٥]للفرّاء: فلان في صُقْعِ خالٍ وصُقْلٍ خالٍ؛ أي: ناحية خالية.

قال: وسمعت شجاعاً يقول: صَقَعَه بالعصاوصَقَلَه، وصَقَعَ به الأرض وصقل به الأرض؛ أي: ضَرَبَ به»[٦].

٢٤٧- «روى أبو تراب عن واقع السّلميّ: نكع عن الأمر ونكل بمعنى واحد. وأنشد أبو حاتم في الإنكاع بمعنى الإعجال:

أَرَى إِبِلي لا تُنكَعُ الوِرْدَ شُرَّداً

---

(١) التّهذيب ٢/٣٢٠.

(٢) التّهذيب ٢/٢٨٧.

(٣) التّهذيب ١/١٥٦.

(٤) التّهذيب ٩/٤١١.

(٥) في اللسان (صقل) ١١/٣٨١: ((أبو تراب عن الفراء....))

(٦) التّهذيب ٨/٣٧٣.

إذا شُلَّ قَوْمٌ عَنْ وُرُودٍ وَكُعْكِعُوا» [١]

(باب اعتقاب العين والنون)

٢٤٨- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت بعض بني سليم يقولون: عَكَّظَهُ عن حاجته ونَكَّظَهُ، إذا صرفه عنها، وعَكَّظَ عليه حاجته ونَكَّظَها، إذا نَكَّدَها» [٢].

٢٤٩- « قال ابن الفرج: سمعت جماعةً من قيس يقولون: تماجَنَ الرّجلان وتماجعا، إذا ترافثا» [٣].

(باب اعتقاب العين والهاء)

٢٥٠- «روى أبو تراب عن أعرابي من قيس أنّه قال هذا البيت:

مُجْتَزِئٍ بِزِغْبِهِ وزِهْبِهِ

أي: بنفسه. وزَعَبَ لي زُعْبَةً من ماله، وزَهَبَ لي زُهْبَةً؛ إذا أعطاه قطعة وافرة. وأعطاه زِهْباً من ماله فازدهبه وزِعبا فازدعبه؛ أي: قطعةً» [٤].

٢٥١- « أبو تراب عن الجعفريّ: أعطاه زِهْباً من ماله فازدهبه؛ إذا احتمله وازدعبه مثله» [٥].

---

(١) التّهذيب ١/٣٢٠، ٣٢١.

(٢) التهذيب ١/٣٠٣.

(٣) التّهذيب ١/٣٩٥، وينظر: الفائق ٣/٣٤٧.

(٤) التّهذيب ٢/١٥٠، وينظر: اللسان (زعب) ١/٤٥٠.

(٥) التّهذيب ٦/١٥٩.

٢٥٢- ((قــال إسحاق [١] بن الفرج: قال الأصمعيّ: عِذْفَةٌ وعِذَفٌ، وهِذْفَةٌ وهذَفٌ بمعنى: قطْعَةٌ.

قال: وقال عُقْبَةُ: رأيت هِذْفةً من النّاس: أي فِرْقَة)) [٢]

٢٥٣- ((قــال أبو تراب: قال أبو عمرو: النَّعَجُ: السِّمَن، يقال: نَعَجَ هذا بعدي، أي سَمِن.

قال: والنَّعْجُ: أن يربو وينتفخ.

قال: وقال غيره: النَّهَج مثله)) [٣].

(باب اعتقاب الغين والقاف)

٢٥٤- ((روى ابن الفرج [٤] لبعض العرب: مشغه مائة سَوْط ومشقة مائة سَوْط؛ إذا ضربه)) [٥].

٢٥٥- ((قــال أبو تراب: سمعت الحُصَيني يقول: سمعت نَغْيَةَ حَقٍّ ونَقْيَةَ حَقٍّ، أي: كلمة حقٍّ)) [٦].

(باب اعتقاب الغين والكاف)

٢٥٦- ((قــال ابن الفرج: سمعت سُليمان الكلابيّ يقول: داغ القومُ وداكــوا: إذا عَمَّهُم المرض، والقوم في دوغة من المرض وفي دوكة، إذا عمّهم وآذاهم

وقال غيره: أصابتنا دوغة ؛ أي: بردٌ.

---

(١) في بعض نسخ التّهذيب ٦/٢١٤: ((قال ابن الفرج...))

(٢) التهذيب ٦/٢١٤.

(٣) التّهذيب ١/٣٨٢.

(٤) في بعض نسخ التّهذيب ١٦/١٨٨: ((أبو تراب...)) وكذا في اللسان (مشغ) ٨/٤٥٠.

(٥) التّهذيب ١٦/١٨٨، وينظر: العباب (حرف الغين) ٧٦.

(٦) التّهذيب ٩/٣٢٠.

وقال أبو سعيد: في فلان دوغة ودوكة ؛ أي: حمقٌ» [١].

٢٥٧- «قـــال أبو تراب: سمعت أبا مِحْجَن يقول: غَنَظَه وكَنَظَه؛ إذا ملأه وغمَّه» [٢].

٢٥٨- «قـــال أبو تراب: المغَمّة والمكمَّة:شيء يوضع على أنف الحِمار كالكيس؛ وكذا الغِمامة والكمَامة» [٣].

(باب اعتقاب الغين والهاء)

٢٥٩- «قـــال أبـــو تـــراب: سمعـــت شَبانَةَ يقول: هذا أمرٌ مُدَغْمَسٌ ومُدَهْمَسٌ إذا كان مستوراً» [٤].

٢٦٠- « قال ابن الفرج: سمعت أبا الجَهْم الجعفريّ يقول: نَهْضنا إلى القَوْمِ ونَغَضْنَا إِلَيْهم بمعنى واحد» [٥].

(باب اعتقاب الفاء والقاف)

٢٦١- « قـــال أبو تراب: سمعت الحصينيّ يقول: هم لا يقانون ما هم ولا يُفَانُونَه بَالقَافِ والفاء؛ أي: ما يقومون عليه» [٦].

(باب اعتقاب الفاء والكاف)

٢٦٢- « ثعـــلب عن ابن الأعرابيّ: إذا جاء الرّجل ومعه صبيانه قلنا: جاء بِحِسْكِلِه وبِحِسْفِلِه وحَمَكِه ودَهْدائه.

---

(١) التهذيب ٨/١٦٩، وينظر: اللسان (دوغ) ٨/٤٢٥، والعباب (حرف الغين)٧٦.

(٢) التّهذيب ١٠/١٥٩.

(٣) التّهذيب ٩/٤٦٧، وينظر: التكملة (كمم) ٦/١٤٠.

(٤) التّهذيب ٨/٢٣٣، وينظر: اللسان (دغس)٦/٨٥،وقد تقدم مثل هذا النص في باب الخاء والهاء.

(٥) التّهذيب ٦/١٠٢.

(٦) التّهذيب ٩/٣١٧.

وقال ابن الفرج: الحساكِل والحسافِل [١]: صغار الصّبيان، يقال: مات فلان وخلّف يتامى حَساكِل، واحدها حِسْكِل، وكذلك صغار كلّ شيء حَسَاكِل» [٢].

٢٦٣- « ابن الفرج عن عُرَّام: أزحَفَ الرّجل وأزحك إذا أعيت به دابّته» [٣].

٢٦٤- « قال أبو تراب: سمعت الثّعلبيّ يقول: فَرَسٌ فُلَّتٌ كُلَّتٌ، وفُلَتٌ كُلَتٌ؛ إذا كان سريعاً» [٤].

٢٦٥- « روى أبو تراب في باب الكاف والفاء: الأفعى تَكِشُّ وتَفِشُّ [٥]، وهو صوتها من جلدها، وهو الكشيش والفشيش.

قال: والفحيح: صوتها من فيها.

قال: وقال بعض قيس: البكر يَكِشُّ ويَفِشّ، وهو صوته قبل أن يهدر)) [٦].

٢٦٦- « أبو عمرو: لَفَأه بالعصا ولكَأه، إذا ضربه بها. ولفأه حَقَّه، إذا أعطاه كلّه.

قال: ولفَأه حقه؛ إذا أعطاه أقلّ من حقّه.

قال أبو سعيد: قال أبو تراب: أحسب هذا الحرف من الأضداد» [٧].

(للبحث بقيّة في العدد القادم – إن شاء الله)

---

(١) ويروى أيضاً ((الحساقل)) بالقاف، وقد ذكره ابن منظور في اللسان في ثلاثة مواضع (حسفل) و حسقل) و (حسكل) ١١/١٥٣، وكذلك في القاموس (حسفل) و (حسقل) و (حسكل) ١٢٧٢.

(٢) التّهذيب ٥/٣٠٦.

(٣) التّهذيب ٤/٩٤.

(٤) التهذيب ١٠/١٣٧.

(٥) التّهذيب ٩/٤٢٥:((تقش)) بالقاف، وهو تصحيف يدلّ عليه قوله: باب الكاف والفاء، وما في اللسان (كشش) ٦/٣٤١.

(٦) التّهذيب ٩/٤٢٥.

(٧) التّهذيب ١٥/٣٨٢، وينظر: العباب (حرف الهمزة) ١١٠.


دار
للطباعة والنشر
جدة
تليفون ٦٧٠٠٣٢٣
